

من الحرب الباردة حتى الوفاق
١٩٤٥ - ١٩٨٠

تأليف : كولن باون وبيتر موني

تعريب : صادق ابراهيم عودة

من الحرب الباردة
حتى الوفاق
١٩٤٥-١٩٨٠



من الحرب الباردة حتى الوفاق ١٩٤٥-١٩٨٠

تأليف : كولن باون وبيتر موني

تعريب : صادق ابراهيم عودة

الطبعة الاولى

دار الشروق للنشر والتوزيع
شارع الملك حسين ـ بناية الشركة المتحدة للتأمين
تلفون : ٢٤٣٢١ ـ ص . ب : ٩٢٦٤٦٣ ـ عمان ـ الاردن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعرب

ساد الساحة الدولية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في آب سنة ١٩٤٥ تنافس بين القوى الشيوعية والقوى المناوئة لها من أجل الهيمنة والنفوذ العالمي. غير أن طبيعة هذا التنافس اصابتها تبدلات مثيرة متداخلة ابتداء من المجابهات المباشرة خلال فترة الحرب الباردة وهي حرب الدعاية والتنافس السياسي والاقتصادي والتهديد بالقوة، ومروراً بمرحلة الوفاق التي حاولت الدول العظمى فيها تجنب اخطار المواجهة العسكرية المروعة (لا سيا اذا ما استخدمت فيها الاسلحة النووية) ، وفي الوقت ذاته السعي وراء مصالحها المتضاربة باستخدام وسائل أخرى ، وانتهاء بسنوات ١٩٧٥ - ١٩٨٠ التي يدعوها المؤلفان فترة ما بعد الوفاق . ومما زاد الموقف الدولي تعقيداً بروز الصين كدولة عظمى وانتقال قدر ولو محدود من النفوذ الاقتصادي والتأثير السياسي الى بعض اقطار العالم الثالث وان كانت حتى الان لم تحظ بما تستحقه من وزن في المجال الدولي .

ويقدم هذا الكتاب لطلبة السياسة الدولية دليلاً واضحاً وحديثاً يرشدهم الى التعرف على هذه التطورات ويلخص النتائج التي توصلت اليها احدث الابحاث . وذلك في اسلوب يتصف بالايجاز والوضوح ، مما دفع الى ترجمته الى اللغة العربية لعل في ذلك مزيداً من الفائدة للقارىء العادي والطالب الجامعي على حد سواء .

ولا بد أن نلاحظ أن مؤلفي الكتاب بريطانيان ولذلك فهما يعرضان

الامور ويفسرانها من وجهة النظر الغربية لا الشرقية وذلك رغم محاولتهما اسباغ ثوب الموضوعية على بحثهما .

ويحتوي الكتاب على عدد لا بأس به من الخرائط وبعض الجداول التوضيحية والزمنية وملاحظات الهوامش وقد رؤى الابقاء على الخرائط في صورتها الانجليزية لعدم صعوبة قراءتها وكذلك الابقاء على مراجع الهوامش والملاحظات في كل فصل باللغة الانجليزية وكما جاءت في آخر الكتاب في الاصل الانجليزي لعدم جدوى ترجمة اسماء هذه المراجع وكتابة اسماء مؤلفيها باللغة العربية .

ولا يسعني في هذا المقام الا تقديم الشكر للدكتور حسين سرية الاستاذ المساعد سابقاً بدائرة العلوم الانسانية ، ولكل من المؤلفين السيدين كولن باون Colin Bown وبيتر موني Peter Mooney ودار هينمان Heinnemann للنشر بلندن على سماحهم بترجمة هذا الكتاب الى العربية راجياً العلي القدير أن لا يخلو من الفائدة والعبرة لمن يقرأه .

والله ولي التوفيق

صادق ابراهيم عوده
جامعة اليرموك
آب سنة ١٩٨٣

مقدمة الطبعة الثانية

كتبت هذه الدراسة في الاصل لتغطي الفترة بين ١٩٤٥ وحتى ١٩٧٥ . ثم جرت مراجعتها وتنقيحها في هذه الطبعة الثانية حتى ١٩٨٠ . كما اضيف فصل جديد اخير في محاولة لتتبع مسار الأحداث التي ادت الى الانتقال من الحرب الباردة الى الوفاق وما بعده . وهذا الفصل الجديد الذي عنوانه « ما بعد الوفاق ١٩٧٥ - ١٩٨٠ » يتناول فيما يتناوله ، معاهدة سالت الثانية ، والمفاوضات المصرية الاسرائيلية ، واعتراف الولايات المتحدة بجمهورية الصين الشعبية ، والاحداث في ايران وافغانستان ، والتوازن النووي ، وقرار مجلس حلف شمال الاطلسي في كانون الاول ١٩٧٩ برفع مستوى اسلحته النووية ، ونداء امريكا الصادر في نيسان ١٩٨٠ ، والذي يطالب حلفاءها في اوروبا الغربية ان يؤ يدوها في القيود التجارية والمالية التي فرضتها على الاتحاد السوفياتي ، ومقاطعة الالعاب الأولمبية في موسكو سنة ١٩٨٠ ، واخيراً تقويماً لما حققه كل من الشرق والغرب من نجاح وما مني به من فشل بعد عقد من الوفاق .

كولن باون

بيتر ج . موني

نيسان ١٩٨٠

قائمة بالخرائط

الفصل الأول

مقدمة

قبل أن يدخل اصطلاح « الحرب الباردة » قاموس العلاقات الدولية بقرن ، نشر كارل ماركس وفردريك انجلز « البيان الشيوعي » سنة ١٨٤٨ . واختتما بحثهما بنداء مدو جاء فيه « يعلن الشيوعيون . . . بوضوح انه لا يمكن تحقيق غاياتهم الا بالقضاء بالقوة على جميع الظروف الاجتماعية القائمة . ولترتعد فرائص الطبقات الحاكمة خوفاً من ثورة شيوعية . وليس لدى الكادحين (البروليتاريا) ما يخسرونه سوى قيودهم . كما أن امامهم عالماً بأسره سوف يربحونه »[1] . ولكن في سنة ١٩٤٨ لم تستطع اية دولة أن تقدم مأوى للثورة أو اسلحة ترافق النداء الى المعركة . وفي تشرين الاول سنة ١٩١٧ عندما اقتحم حرس ليون تروتسكي الاحمر قصر الشتاء في بتروغراد ، ولدت تلك الدولة في سنة ١٩١٩ وتنبأ زعيمها اليش اولانوف لينين بما يلي « نحن لا نعيش في مجرد دولة بل في منظومة من الدول . ولا يمكن للجمهورية السوفياتية أن تستمر في وجودها مدة طويلة جنباً الى جنب مع الدول الامبريالية . ولا بد في نهاية الامر أن يتغلب احد الطرفين . والى أن تحدث هذه النهاية ، فلا مناص من حدوث صدامات مروعة بين الجمهورية السوفياتية والدول البورجوازية »[2] .

كانت هذه هي لغة الحرب الاهلية الدولية ـ الشيوعية ضد الديمقراطية ـ التي ستندلع في العالم بأكمله الى أن تتغلب حقيقة على غيرها . ولكن العالم الغربي تدخل في الحرب الاهلية الروسية عام ١٩١٩ . وكانت مقتضيات الثورة المضادة هي التي حفزته للعمل. وكان تدخلاً يفتقر الى الحماس ، وانجلى عن هزيمة مريعة على حد قول تشرتشل لان الغرب اخفق في خنق البلشقية في

مهدها . بيد أن لينين وستالين الذي خلفه سنة ١٩٢٤ قد تعلما الدرس وتصرفا طبقاً لذلك ، لان استفزاز الامبرياليين للهجوم بالضغط على الشيوعية الدولية (الكومنترن) لتشعل ثورة عالمية سيكون عملاً صادراً من « يسارى طفل » قبل أن يصبح الاتحاد السوفياتي قوياً وقبل أن تصبح لديه صناعة ومصانع ذخيرة وملايين من الرجال تحت السلاح .

وفي سنة ١٩٤٥ كان اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية قوياً . وترك انهيار الرايخ « الذي توقع له هتلر الف سنة من العمر » فراغ قوة عبر اوروبا الوسطى والشرقية . وفي ٢ نيسان سنة ١٩٤٥ كان الفوهرر (هتلر) يمعن النظر في مستقبل اوروبا والعالم واستنتج انه « بهزيمة الرايخ ، والى أن تظهر قوميات اسيوية وافريقية وربما جنوب امريكية ، فانه سيظل في العالم قوتان عظيمتان قادرتان على مواجهة بعضهما بعضاً وهما الولايات المتحدة وروسيا السوفياتية وسوف ترغم قوانين التاريخ والجغرافيا هاتين القوتين الكبريين على اختبار قوتهما أما عسكرياً أو في ميادين الاقتصاد والعقائديات » . ومن المسلم به أن القوة الدافعة للعقائد أو الايديولوجيات قوة عظيمة . ولكن من الحماقة بالطبع ، أن نتجاهل تنافس القوى العظمى كاساس لمولد علاقات الحرب الباردة واستمرارها بين القوتين الاعظم في هذا القرن .

وبحلول سنة ١٩٤٧ كان اختبار القوة حسبما تنبأ به هتلر قد بدأ بين الولايات المتحدة وشركائها وحلفائها والاتحاد السوفياتي وشركائه وحلفائه وكان المعسكران يتنافسان فيما يبدو على احتكار العقائديات أو الايديولوجيات في العالم ـ ومع أن كلاً من الكتلتين كان لها « منحرفوها » إلا أن إحداهما كانت تؤيّد التكوين السياسي والاجتماعي القائم على المبدأ الشمولي والمساواة بينما كانت الكتلة الأخرى تتبنى مفهوم الحرية الفردية والديمقراطية المتعددة الأحزاب . ورحّبت الولايات المتحدة بطبيعة الحال بانضمام بعض الأقطار إلى معسكرها مثل إسبانيا واليونان وكوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية وكانت كلها دون المرحلة الديمقراطية ، ولكنها كانت تتمتع بمزايا معاداة الشيوعية . ومن ناحية

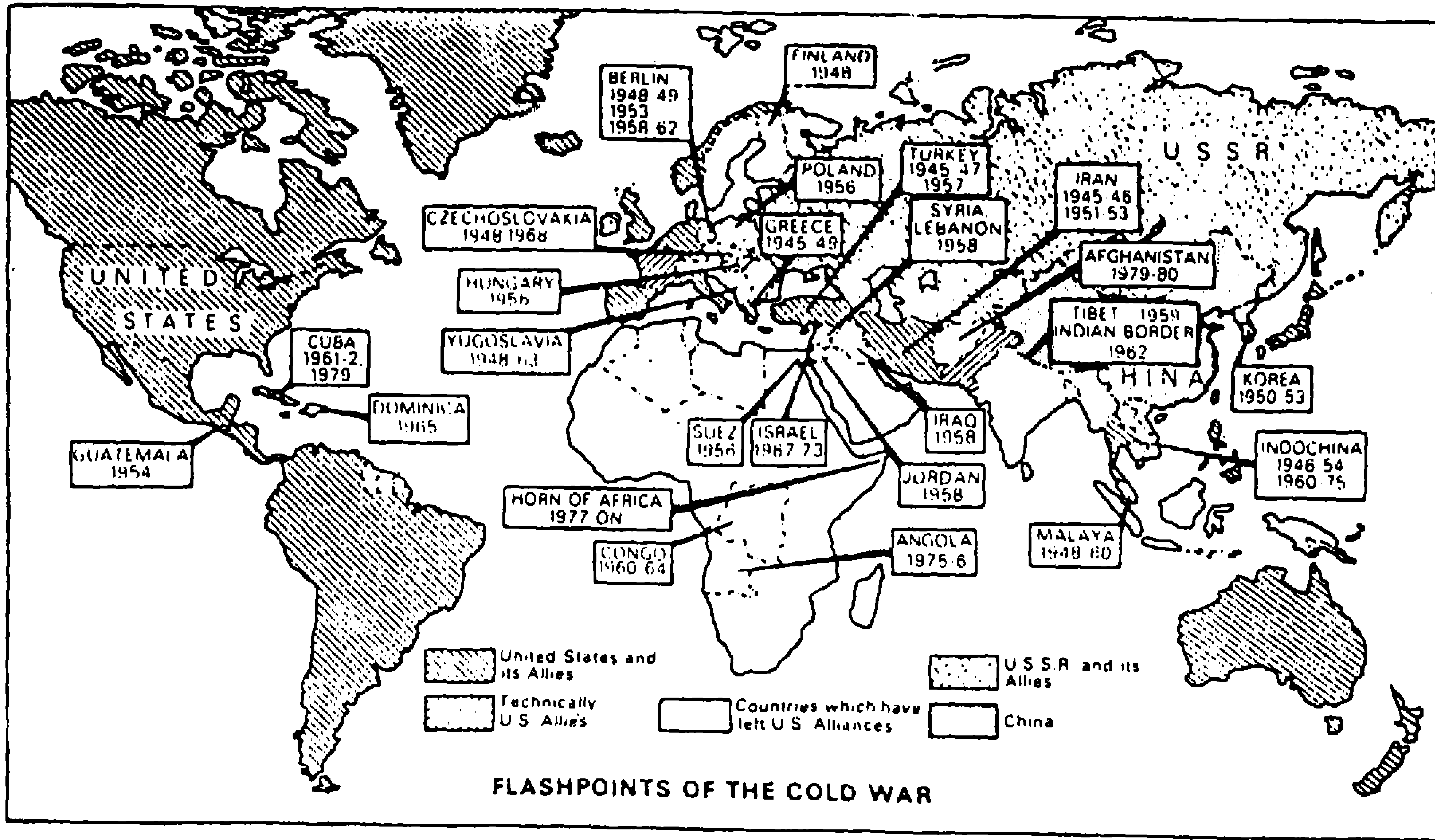
أخرى فقد قوّى الاتحاد السوفياتي علاقاته بأقطار لم تكن تابعة للعالم الغربي أو العالم الشيوعي ـ وهي أقطار « العالم الثالث » مثل الهند وأندونيسيا ومصر لأن معاداتها للامبريالية كانت توازي معارضتها للشيوعية .

وهكذا فقد تم خوض الحرب الباردة في عقول وقلوب الناس في كافة قارات المعمورة . وكان الجدل العقائدي يؤدي احياناً الى الصراع العسكري . غير أن الصراع العسكري كان يجري من كوريا الى الملايو الى فيتنام الى الشرق الاوسط بين دول تقوم به نيابة عن غيرها . فالقوتان الاعظم لم تشتبكا في حرب ساخنة « لان كلا من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة اخذت تشعر بصورة متزايدة » بالخسائر غير المقبولة ، التي قد تتحملها كل منهما وبقية الجنس البشري في حالة اندلاع حرب عالمية ثالثة وذلك بسبب تطور الاسلحة النووية وتوزيعها . الا ان كلا الدولتين قد احتفظت منذ عام ١٩٤٥ بحالة من الاستعداد المتقدم الذي قد يعطي حالات المجابهة مظهراً مروعاً لمعركة فاصلة كبرى تصطلي بنارها جميع شعوب الارض وكانت ثمة مواقف محفوفة بالخطر مثل حصار برلين سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ومن سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٢ والشرق الاوسط سنة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ م وثانية سنة ١٩٧٣ ومضايق تايوان سنة ١٩٥٥ واعلان الرئيس الامريكي جون ف . كندي « أن على كل امة أن تعلم . . . اننا سندفع اي ثمن وسنتحمل اي عبء ونواجه اية مشقة ، وندعم اي صديق ونعارض اي عدو لضمان بقاء الحرية ونجاحها » .

بيد أن الثمن قد يكون فاحداً ولم يرغب أي من الجانبين ولا هو راغب الان أن يقوم بدفع الثمن من ارواح الديمقراطيين أو الدكتاتوريين. ولذلك فالبديل هو الوفاق . ومن المفارقات أن الترسانات النووية الهائلة والمصالح العالمية لكل من الدولتين الاعظم اعطتها على حد قول الرئيس نيكسون « قدراً من النظرة المشتركة للامور ونوعاً من الاعتماد المتبادل على بعضهما من أجل البقاء ومع اننا قد تنافسنا الا أن صراعنا لم يسمح لنا بالحسم عن طريق النصر . . . ويبدو اننا مرغمون على التعايش » . وكان نيكسون بذلك يلمح الى القاسم المشترك

الادنى للوفاق وهو انه كان يشمل « تخفيفاً لحدة التوتر » وزيادة في التعاون احياناً في بعض المناطق الجغرافية ولكن ليس بالضرورة فيها جميعاً . ولم يتنازل الكرملين أو البيت الابيض عن عقائدهما أو مصالحهما القومية في دعم الوفاق ومع ذلك فرغم أن خصائص الوفاق المميزة كانت مفهومة كل الفهم لدى الدوائر الرسمية في الشرق والغرب ، الا أن الرأي العام اجمالاً ولا سيما في الغرب ، كان يتوقع من الوفاق أموراً اكثر مما تسمح به حقائق الامور . ربما حاول الغرب اتباع الوفاق كنوع من الاستراتيجية ، لكن السوفيات لم يخفوا ان الوفاق كان مجرد تكتيك بالنسبة لهم وفي سنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٨٠ عندما لم يثمر الوفاق ، كان السوفيات ثم الامريكيون مستعدين لاعادة تقييم الوفاق والنكوص ولو مؤقتاً عن كثير من الروابط التي كان الطرفان قد صاغاها مؤخراً بينهما .

خارطة /١



FLASHPOINTS OF THE COLD WAR

الفصل الثاني

الشركاء المختلفون

في أول كانون الثاني سنة ١٩٤٢ اجتمع في واشنطن العاصمة ممثلو ستة وعشرين بلداً من ضمنها المملكة المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ووقعوا على « وثيقة بيان الأمم المتحدة » التي تعهدوا فيها ـ من بين ما تعهدوا به ـ بالقضاء على دول المحور وهي المانيا وايطاليا واليابان وكان هذا التفاهم الظاهري بين « الثلاثة الكبار » نقيضاً صارخاً لما كانت عليه العلاقات بينهم منذ سنة ١٩١٧ م . فقد تدخلت كل من بريطانيا والولايات المتحدة عسكرياً في الحرب الاهلية الروسية بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٠ ضد الثوار البلاشفة .

ولم تمنح بريطانيا وفرنسا الاعتراف الدبلوماسي للاتحاد السوفياتي الا سنة ١٩٢٤ ، اما الولايات المتحدة فقد انتظرت حتى ١٩٣٣ . وقد سخط الرأي العام في الغرب على المعاهدة الروسية الالمانية وتقسيم بولندا سنة ١٩٣٩ . كذلك فقد فكرت كل من بريطانيا وفرنسا تفكيراً جدياً في محاربة الاتحاد السوفياتي من اجل حماية فنلندا في اوائل سنة ١٩٤٠ وذلك بعد اخفاقهما في ابرام تحالف معه ضد هتلر في صيف سنة ١٩٣٩ . ويجب أن لا نقلل من قيمة عنصر عدم الثقة والعداء العقائدي بين الاتحاد السوفياتي والغرب . فقد توقع كل من الطرفين كل شر من الطرف الآخر ، لذلك فقد كان التعاون بين الحلفاء زمن الحرب تعاوناً محدوداً وحذراً بصورة دائمة .

ولم يكن ثمة تخطيط عسكري مشترك بين الاتحاد السوفياتي والدول الغربية خلال الحرب كما كان الاتصال بين الروس العاديين واندادهم من الحلفاء في حدوده الدنيا . لقد ارسل الانجليز والامريكيون كميات هائلة من

المعدات العسكرية الى روسيا ، غير أن الموقف السوفياتي ازاء هذه المعونة كان دائماً يتسم بالغموض . وعلى سبيل المثال ، تلقى الروس الافاً من الشاحنات التي كانت بسبب تفوقها على الانواع الروسية ذات فائدة كبيرة من ناحية عسكرية لكنها كانت خطرة سياسياً لان الروس العاديين قد ينظرون اليها على انها انتاج لمجتمعات افضل . وكان الاتحاد السوفياتي يترنح تحت ضربات الجيش الالماني من سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٤٣ لذلك كان بحاجة ماسة جداً الى أن يفتح الحلفاء جبهة ثانية ضد الالمان في فرنسا . وبقي ستالين ـ الذي كان يجسد السلطة العليا في الاتحاد السوفياتي ـ في حالة شك مريب من الدوافع الغربية في الاحجام عن فتح الجبهة الثانية حتى سنة ١٩٤٤ اذ كان يخشى أن يحاول حليفاه الغربيان ، اللذان كانت قواتهما العسكرية لا تزال سليمة الى حد كبير ، الاستفادة من حرب اصابت الاتحاد السوفياتي والمانيا بأنهاك شديد . وعندما اعلم ستالين في ٥ حزيران سنة ١٩٤٤ بأن البريطانيين والامريكين سيغزون فرنسا في اليوم التالي ظلت الشكوك تساوره اذ قال « اجل ، سيكون هناك انزال اذا لم يكن هناك ضباب . وحتى الان كان يوجد دائماً سبب لتأجيل الغزو . واخشى أن يكون ثمة شيء آخر في الغد . ربما قد يقابلون بعض الالمان ! وماذا لو التقوا ببعض الالمان ؟ قد لا يكون انزال عندئذ ولكن مجرد وعود كالعادة (١) » .

وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى بدأت الخلافات بين الثلاثة الكبار والتي كانت مختفية الى حد بعيد خلال الحرب ، في الطفو على السطح بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٨ ، وبدأ يتضح بصورة متزايدة أن سياسات الاتحاد السوفياتي واولوياته لم تكن تشترك في شيء يذكر مع اولويات حلفائه وسياساتهم .

في ربيع سنة ١٩٣٩ ضمنت بريطانيا وفرنسا حدود بولندا . فاعلنتا الحرب على المانيا في ايلول سنة ١٩٣٩ بعد غزو الالمان لبولندا . وبما أن بريطانيا كانت قد دخلت الحرب بسبب بولندا ، فقد كان من المتوقع جداً أن تولي

بريطانيا اهمية كبرى لمستقبل ذلك البلد ، الا أن الاتحاد السوفياتي كان له ذات الموقف ايضاً وكانت بولندا طريق الغزو التقليدية لروسيا من الغرب ، وبالنسبة للزعامة السوفياتية كانت بولندا مسؤ ولة بعض الشيء عن اندلاع الحرب العالمية الثانية وذلك عندما اعترضت بنجاح تقديم العروض السوفياتية لمساعدة تشيكوسلوفاكيا ومنعت القوات السوفياتية من حق المرور سنة ١٩٣٨ . وخلال الحرب كان ستالين يوضح بأستمرار انه مهما كان مصير بولندا بعد الحرب فان الاتحاد السوفياتي لن يقبل على حدوده وجود بولندا معادية لروسيا . والى حد ما كان الحلفاء الغربيون يتعاطفون مع هذا الهم السوفياتي في مؤتمر الثلاثة الكبار في طهران في تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ . وكان تشرشل مستعداً لقبول تغيير نحو الغرب في حدود بولندا ، بيد أن الحكومة البولندية في المنفى (في لندن) لم تكن مستعدة لذلك .

وكانت العلاقات بين الحكومة البولندية في المنفى (في لندن) وبين ستالين رديئة دائماً بسبب الغزو السوفياتي لبولندا سنة ١٩٣٩ ، وازدادت سوءاً عندما تسربت انباء مذبحة غابة كاتين . ومنذ سنة ١٩٣٩ كانت الحكومة البولندية في لندن تحاول دون جدوى أن تعرف ماذا حدث لعدد كبير من الضباط البولنديين الذين كان من المعتقد انهم وقعوا في اسر الروس . وفي نيسان سنة ١٩٤٣ كشف الجيش الالماني النقاب عن عثوره على قبر جماعي في غابة كاتين يحتوي على عشرة الآف جثة للضباط ، وضباط الصف البولنديين . ولم يتم اثبات الامر بصورة قاطعة ، لكن من المحتمل فيما يبدو أن الروس وليس الالمان كانوا المسؤ ولين عن ذلك ، وبالتأكيد كان هذا التفسير هو الذي قبلته الحكومة البولندية في لندن وطالبت هذه الحكومة البولندية بتحقيق يقوم به الصليب الاحمر في الحادث . وفي نيسان سنة ١٩٤٣ قطع الكرملين علاقاته الدبلوماسية مع الحكومة البولندية في لندن . واقام في تموز سنة ١٩٤٤ حكومة بولندية منافسة« وهي اللجنة البولندية للتحرير الوطني » أو لجنة لوبلين ، التي كان يسيطر عليها الشيوعيون ويعتمدون عليها في تنفيذ السياسة السوفياتية .

وازدادت الامور تعقيداً في آب سنة ١٩٤٤ م ، عندما ثار الجيش السري البولندي ضد الالمان عندما كان الجيش الاحمر على بعد ستة اميال فقط من وارسو . ولم يتحرك الروس للمساعدة ورفضوا السماح للطائرات البريطانية والامريكية باسقاط المؤ ن للجيش الوطني البولندي والهبوط بعدئذ في الارض التي يحتلها السوفيات للتزود بالوقود . ودامت انتفاضة وارسو اكثر من شهرين وكلفت البولنديين ٣٠٠ الف قتيل ودمرت وارسو ، وخلال الانتفاضة لم يحاول الجيش الاحمر عبور الحاجز النهري الذي كان يقع بينهم وبين وارسو . ولو نجح التمرد ، لواجهت ستالين مجموعة مسلحة جيدة التنظيم من البولنديين غير الشيوعيين الذين حرروا العاصمة البولندية بأسم الحكومة البولندية في لندن . وعندئذ ستظهر لجنة لوبلين انها صنيعة للكرملين لا تمثل الشعب البولندي ، ولمنيت سياسة ستالين في اوروبا الشرقية بنكسة كبيرة . والذي حدث أن نزاعاً خطيراً حدث بين الحلفاء الغربيين والاتحاد السوفياتي عندما اعترف الكرملين في كانون الثاني سنة ١٩٤٥ بلجنة لوبلين على انها الحكومة الشرعية لبولندا متجاهلاً بذلك مطالب الحكومة البولندية في لندن .

واذا كانت سياسة ستالين في كاتين وخلال انتفاضة وارسو تقوم على ازالة المفكرين والقادة البولنديين غير الشيوعيين في المستقبل فقد جاء مثال آخر على ذلك بعد وفاة الرئيس الامريكي روزفلت في نيسان سنة ١٩٤٥ ببرهة وجيزة . ففي ٢ حزيران سنة ١٩٤٥ القى الروس القبض على كبار قادة الجيش الوطني البولندي وزعماء الاحزاب البولندية غير الشيوعية وحكم على ثلاثة عشر منهم بالسجن بسبب نشاطات « معادية للسوفيات » . وفي طريقه الى مؤتمر الامم المتحدة في سان فرانسسكو في نيسان سنة ١٩٤٥ اجتمع وزير الخارجية السوفياتي مولوتوف مرتين مع ترومان واكتشف أن الرئيس الجديد لم يكن مستعداً كالرئيس السابق لاتباع سياسة ملاينة مع ستالين . وقد اكد ترومان لمولوتوف أن الولايات المتحدة تعتبر المسألة البولندية « رمزاً للتطور المستقبلي لعلاقاتنا الدولية » . بل أن ترومان كان اكثر وضوحاً في اجتماعه الثاني مع

مولوتوف اذ قال لمولوتوف : « ان الاخفاق في السير قدماً في هذا الوقت في تنفيذ مقررات القرم (*) حول بولندا سوف يهز بشكل خطير الثقة في وحدة الحكومات الثلاث »[٢] .

وعندما حل موعد مؤتمر بوتسدام في تموز سنة ١٩٤٥ كان السوفييت قد قبلوا ميكولاتشيك زعيم الحكومة البولندية في لندن كنائب لرئيس الدولة البولندية . كذلك فقد وعدت اتفاقية بوتسدام بأجراء انتخابات حرة في بولندا ، الا أن الحلفاء الغربيين لم يتمكنوا من الحصول على مزيد من التنازلات . وبعد ثمانية عشر شهراً اضطر ميكولاتشك للهرب من بولندا من أجل أن ينجو بحياته ، واصبح حزبه المسمى حزب الفلاحين محظوراً واصبحت بولندا في قبضة قوية لحكومة شيوعية لا تعتمد على تأييد الناخبين البولنديين بل على وجود الجيش الاحمر بأعداد كبيرة وعلى الشرطة السرية السوفياتية .

ومع أن الحلفاء الغربيين كانوا قد وافقوا على حدود بولندا الشرقية قبل بوتسدام الا أنه في ٢ نيسان سنة ١٩٤٥ م كان الاتحاد السوفياتي قد وقع من جانب واحد اتفاقاً مع حكومة وارسو اعطاها فيه الاراضي الالمانية الواقعة شرقي نهر الاودر والنيسي الغربي . لكن المملكة المتحدة والولايات المتحدة تمكنتا من الحصول على اتفاق في بوتسدام مؤداه أن الحدود الغربية لبولندا لم تستقر ولا بد لها من انتظار تسوية سلمية . والى حد ما فان الحجج الغربية حول هذه القضية كانت تفتقر الى القوة لان تشرشل ـ الذي حل محله أتلي كرئيس للوزراء خلال مؤتمر بوتسدام ـ كان معروفاً بأنه ميال لحصول بولندا على اراضي على حساب المانيا وان حكومة ديغول الفرنسية المؤقتة ـ التي لم تكن ممثلة في بوتسدام ـ كانت قد قبلت حدود الاودر ـ النيسي ، ولم يكن حصول بولندا على هذه الاراضي الالمانية في حد ذاته مبعث معارضة المملكة المتحدة والولايات المتحدة ولكن

(*) في مؤتمر يالطا في شباط سنة ١٩٤٥ كان الحلفاء قد اختلفوا حول الحدود الغربية لبولندا ولكن توصلوا الى اتفاق من حيث المبدأ على أن ينضم بعض اعضاء الحكومة البولندية بلندن الى لجنة لوبلين ، وستحصل هذه بدورها على اعتراف دبلوماسي من قبل حكومات الثلاثة الكبار .

الطريقة التي تم بها البت في المشكلة هي التي أدّت الى معارضتها .

وكان مؤتمرا يالطاوبوتسدام المرحلة البارزة في تعاون الثلاثة الكبار ، غير أن المواقف كانت قد اخذت تتبدل في بوتسدام وتتبدل معها الشخصيات ايضاً . فقد خلف ترومان روزفلت بعد وفاته وخسر تشرشل الانتخابات العامة أمام اتلي . وكان كلاهما غير معروف لستالين ، فقد كانا رئيسين لحكومتين وقت السلم ولم يكن تحت تصرفهما سلطات واسعة لصناعة القرارات والتصرف كما كان حال سلفيهما . ولم يعد ممكناً تسوية القضايا الصعبة بين ساسة ثلاثة كهول . وكان لا بد الان من احالة الامر على لندن وواشنطن وهذا اجراء لم يكن في وسع الدكتاتور ستالين ان يقدره حق قدره . كان روزفلت قد علق امالاً عريضة على عالم ما بعد الحرب الذي سيصان فيه السلام على يد الثلاثة الكبار من خلال عمل متناسق عن طريق منظمة الامم المتحدة وكان روزفلت مستعداً للذهاب بعيداً من اجل تحقيق ذلك . ولذلك فقد تقبل باشمئزاز المطالب السوفياتية بأن يكون للاربعة الكبار بما فيهم الصين حق النقض أو الفيتو في مجلس الامن ، الامر الذي كان معناه قدرة اي من الدول الكبرى على تعطيل اي عمل في الامم المتحدة . كما كان على الامريكيين أن يتقبلوا في يالطا أن يكون للاتحاد السوفياتي ثلاثة اصوات في الجمعية العامة للامم المتحدة وهي الاتحاد السوفياتي واكرانيا وبيلو روسيا ، وان كان روزفلت قد رفض أن يكون لجميع الجمهوريات الست عشرة التي تكون الاتحاد السوفياتي اصوات في الامم المتحدة . وبدا أن التكتيكات السوفياتية بالنسبة للامم المتحدة تقوم على الاعاقة ، غير انها كانت اكثر من ذلك . فعندما دخل ميثاق الامم المتحدة حيز التنفيذ في تشرين الاول سنة ١٩٤٥ ، كان باستطاعة الاتحاد السوفياتي أن يعتمد فقط على اصوات اتباعه في منغوليا واوروبا الشرقية . ولم يمكن التغلب عليه في الاصوات في اية قضية والواقع انه بنهاية سنة ١٩٤٩ كان الاتحاد السوفياتي قد استخدم حق النقض في مجلس الامن اربعين مرة ولم تتمخض آمال روزفلت العراض في التعاون بين حلفاء ايام الحرب عن شيء .

غير أن ترومان كان يعرف منظمة الامم المتحدة على حقيقتها وسرعان ما نفد صبره مع الروس إذ استطاع ان يكتب في كانون الثاني سنة ١٩٤٦ « لقد مللت من تدليل السوفيات » [٣] .

الفصل الثالث

الحرب الباردة تبدأ

خلال الحرب كان يربط الاتحاد السوفياتي الى الحلفاء الغربيين ولا سيما بريطانيا ، التهديد المشترك لانظمتهم السياسية ووجودهم القومي . وعندما اصبح بقاؤهم مضموناً بحلول عام ١٩٤٣ اصبحت الرابطة التي تجمع بينهم هي الاندفاع نحو النصر . ولكن خلافاتهم العقائدية البالغة الخطورة بقيت على حالها كما بقيت الريبة المتأصلة التي كان النظامان السياسيان المتعارضان ينظران بها الى بعضهما البعض وفي المؤتمرات التي كانت تعقد اثناء الحرب بين الثلاثة الكبار عقد عدد من الاتفاقيات حول تسيير امور السلام بعد أن ينتهي القتال ، غير انها كانت في الغالب اتفاقيات حول مسائل مبدئية غامضة .

واجتمعت وفود الكبار الثلاثة في بوتسدام وكانت تحمل معها شكوكها ومفاهيمها الشديدة التباين حول معنى الانتصار على المانيا .

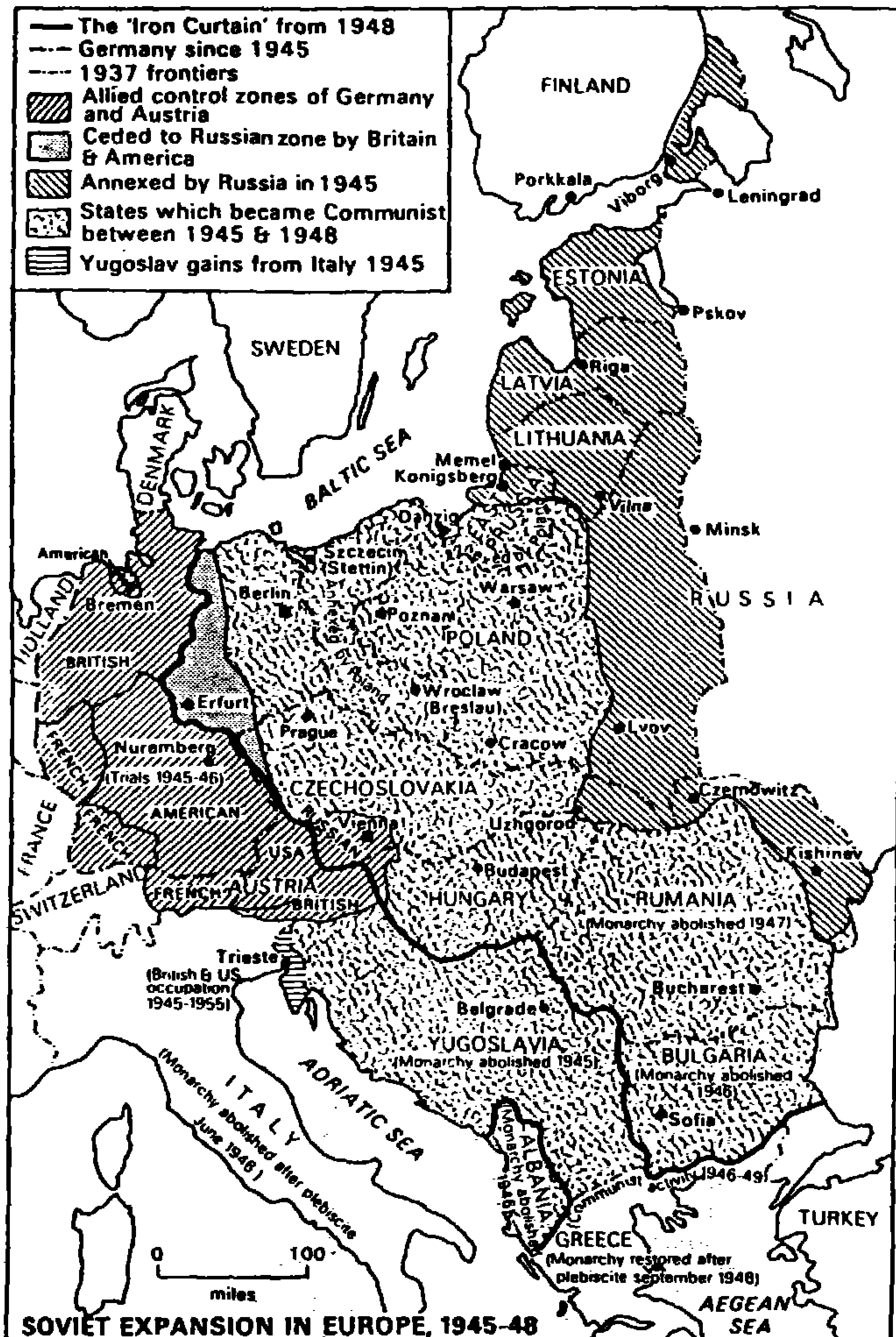
كانت تجربة الولايات المتحدة اثناء الحرب ، مضافاً اليها تاريخها الانعزالي الحديث وتقاليدها الديمقراطية وحجمها القاري واكتفاؤها الذاتي النسبي ، تعني كلها ان سلامتها الاقليمية لم تكن مهددة من اي احد . فلم يجر احتلال الولايات المتحدة أو قصفها بالقنابل خلال الحرب . ولم يخض احد المعارك على ارضها كما لم يكن في استطاعة احد من الناحية العسكرية أن يلحق الضرر بأرض الوطن الامريكي التي تحميها المحيطات . ولم يشاطر الامريكيون الاوروبيين مخاوفهم من اعادة ظهور المانيا مصممة على الانتقام . وبالنسبة للامريكيين كانت الديمقراطية القائمة على تعدد الاحزاب وعلى دستور جمهوري كدستورهم وعلى مفاهيم الحرية والمشاريع الفردية كافية تقريباً في حد ذاتها لتقوم حاجزاً حصيناً في وجه الدكتاتورية سواء كانت فاشية أو شيوعية .

وقد عارضوا الاستعمار بكافة اشكاله رغم وجود الفيلبين وبورتوريكو تحت السيطرة الامريكية ولذلك كان الامريكيون غير راضين عن الوضع الاستعماري لبعض حلفائهم في اوروبا .

كما كان البريطانيون ايضاً يؤمنون أن اقامة انظمة ديمقراطية وليست جمهورية بالضرورة في اقطار شرق اوروبا ووسطها سوف تسهم كثيراً في ضمان سلامتهم لان تلك الاقطار قد تصبح حلفاء طبيعيين لبريطانيا ضد اية دولة اوروبية عظمى تسعى ثانية نحو الهيمنة في القارة الاوروبية . وكان البريطانيون لا يزالون يميلون للنظر الى الشؤون الاوروبية من خلال سياسة « توازن القوى » ، وهي فكرة كانت موضع سخط من الامريكيين ولا سيما الرئيس روزفلت . لقد ارادوا فرنسا وقد عادت اليها الحيوية ، أن تحتل مكانها في اوروبا مرة اخرى بحيث يكون لبريطانيا حليف ضد المانيا التي كان انتعاشها أمراً ممكناً وضد الاتحاد السوفياتي الذي كان عداؤه امراً متوقعاً . ولم تشاطر الحكومة البريطانية روزفلت ثقته في النوايا السلمية والتعاونية المستقبلية لستالين ، كما لم تنظر لتصفية الاستعمار بنفس النظرة الامريكية . وكانت بريطانيا تفكر من قبل في منح الاستقلال لشبه القارة الهندية لكنها لم تكن راغبة في اعطاء الاستقلال لبقية ممتلكاتها في الامبراطورية . لقد اسهمت الامبراطورية في الحرب بالرجال والاموال والقواعد ، وسادت مخاوف في بريطانيا من انه اذا زالت الامبراطورية فقد يزول معها وضع بريطانيا « كدولة عظمى » . وفي يالطا عندما كان تشرتشل يضغط على شركائه لقبول فرنسا في « نادي الدول العظمى » اجاب ستالين أن رسوم دخولها ستكون خمسة ملايين جندي . وصحح تشرتشل هذا الرقم الى ثلاثة ملايين ، غير أن بريطانيا ستعاني كثيراً اذا حرمت من امبراطوريتها ، وذلك اذا ما توقف وضع « الدول العظمى » على عدد الفرق العسكرية التي يمكن للدولة أن تضعها في ميدان القتال .

كان الاتحاد السوفياتي قد الحق الهزيمة بالمانيا النازية وبذلك برهن لنفسه

خارطة / ٢



Annexed or under Soviet administration

YEAR	COUNTRIES	POPULATION millions	AREA sq mls
1940	Part of Finland	0.5	17.600
1940	Estonia	1.1	18.300
1940	Latvia	2.0	25.400
1940	Lithuania	3.0	21.500
1945	Part of German East Prussia	1.2	5.400
1945	Part of Poland	11.8	69.900
1945	Part of Czechoslovakia	0.7	4.900
1945	Part of Rumania	3.7	19.400
	TOTAL:	24.0	182.400

Controlled by U.S.S.R.

1945	Soviet Zone of Germany	18.8	42.900
1945	Poland	26.5	120.355
1948	Czechoslovakia	12.3	49.381
1947	Hungary	9.8	35.902
1948	Rumania	16.1	91.584
1946	Bulgaria	7.2	42.796
1946	Albania	1.2	10.629
	TOTAL:	91.9	393.547

على صدق المقولة الماركسية اللينينية بأن الشيوعية اقوى من خصومها في الاساس . لقد حارب جنود الاتحاد السوفياتي سواء ادركوا ذلك أم لم يدركوه ، ليس من اجل امهم روسيا وحسب ، بل كذلك للمحافظة على النظام الستاليني وكل ما كان يمثله . وكان ستالين ينظر باحتقار الى الانظمة الديمقراطية التي كان يتعلق بها حلفاؤه الغربيون . فقد اثبتت هذه الانظمة في الماضي انها اضعف من أن تحول دون ظهور هتلر وموسوليني ، « وخذلان » تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨ ، واهم من كل ذلك ، الهجوم على الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤١ . ولم تكن روسيا تمتلك حواجز طبيعية على طول حدودها الغربية . اذ لم يكن لديها قنال انجليزي ولا محيط اطلسي ولا سلاسل جبال تردع الغازي أو تعوقه . وكل ما كان لديها هو السعة أو المساحة الارضية وكلما ازدادت هذه السعة أو المساحة ازداد ضمان سلامة روسيا . وعندما ضم ستالين دول البلطيق وجزءاً من رومانيا ودفع بحدود الاتحاد السوفياتي نحو الغرب على حساب بولندا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا فانه كان ينحني امام الضرورات الجغرافية للاتحاد السوفياتي بصرف النظر عن لا شرعية أوْ لا اخلاقية عمله هذا . ووافق ستالين في يالطا على السماح لاقطار اوروبا الشرقية بأجراء انتخابات حرة لتقرير مستقبلها ، وتعاطف الحلفاء الغربيون مع رغبة ستالين في مجرد وجود حكومات « صديقة » على حدوده الغربية . ولكن ما هي الحكومة « الصديقة » ؟ كما اعتقدت الولايات المتحدة بأن السلام لا يمكن ضمانه الا بدول ديمقراطية في شرق اوروبا ، فانه يبدو أن ستالين من جانبه لم يكن ليقبل سلاماً لا تضمنه حكومات شيوعية في اوروبا الشرقية . وكتب عنه ميلوفان دجيلاس الشيوعي اليوغسلافي يقول « نتيجة لعقائدية ستالين واساليبه وخبرته الشخصية وتراثه التاريخي فانه لم يكن يثق بشيء سوى الذي في قبضة يده ، وكان كل شخص خارج سيطرة شرطته بمثابة عدو محتمل له » [1] . كما يجب القول انه اذا كان ستالين يؤمن ايماناً تاماً بالماركسية ، وهذه نقطة كانت موضع جدل واسع ، فقد كان من واجبه بناء على ذلك أن يبشر بالانجيل الماركسي في تلك الاقطار

التي كانت مستعدة للاستماع له بسبب وجود الجيش الاحمر فيها بأعداد كبيرة .

وبوجود هذه القضايا التي كانت تشغل بال الثلاثة الكبار ، اصبح النزاع في عالم ما بعد الحرب امراً لا مفر منه . بل اخذت العلاقات بين الكبار الثلاثة في التدهور حتى قبل بوتسدام . وقد اعطت الولايات المتحدة خلال الحرب ما قيمته ٤٦ الف مليون دولار من المعونات العسكرية لحلفائها بموجب برنامج الاعارة والتأجير . ومعظم هذه المعونات ذهبت الى بريطانيا والاتحاد السوفياتي . وفي ٨ آيار سنة ١٩٤٥ اوقف الرئيس الامريكي ترومان برنامج الاعارة والتأجير مما اصاب حليفتيه بالذهول ، وحصل سوء تفاهم . لكن الارساليات لهذين البلدين استؤنفت حتى ١٩ آب سنة ١٩٤٥ . وكان ترومان حديث عهد بالرئاسة لذلك كان قراره بايقاف برنامج الاعارة والتأجير ناجماً عن عدم خبرته . غير أنه في مقابلة مع مبعوث ترومان هاري هوبكنز في نهاية ايار سنة ١٩٤٥ ، قال ستالين بوضوح أن قرار إيقاف برنامج الاعارة والتأجير كان أحد الأحداث التي دفعته إلى الاعتقاد بأن « الموقف الامريكي تجاه الاتحاد السوفياتي أصابه كثير من البرود حالما اتّضح أن ألمانيا قد هزمت ، وكأن الامريكيين أصبحوا يقولون انه لم تعد ثمة حاجة للروس »(٢) .

وفيما تبقى من الصراع الذي لم يكن قد حسم بعد في الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك حاجة للروس بالفعل . ففي يالطا سنة ١٩٤٣ كان الامريكيون تواقين لضمان المساعدة السوفياتية في الحرب ضد اليابان لانهم كانوا يخشون ان غزو اليابان سيكلفهم مليون اصابة بين الامريكيين . لكن الولايات المتحدة ، كانت قد طورت القنبلة الذرية في صيف سنة ١٩٤٥ مما اعطاها طريقة تتجنب بها هذه الاصابات وتضرب اليابان بالقنابل الذرية فترغمها على الاستسلام . وفي الثامن من آب شرعت القوات السوفياتية في مهاجمة المواقع اليابانية في منشوريا وكوريا وجنوب سخالين وجزر الكوريل . لكن ستالين لم يحظ بشكر أو تقدير يذكر من الغرب ولا بحصة من ادارة شؤون اليابان المحتلة .

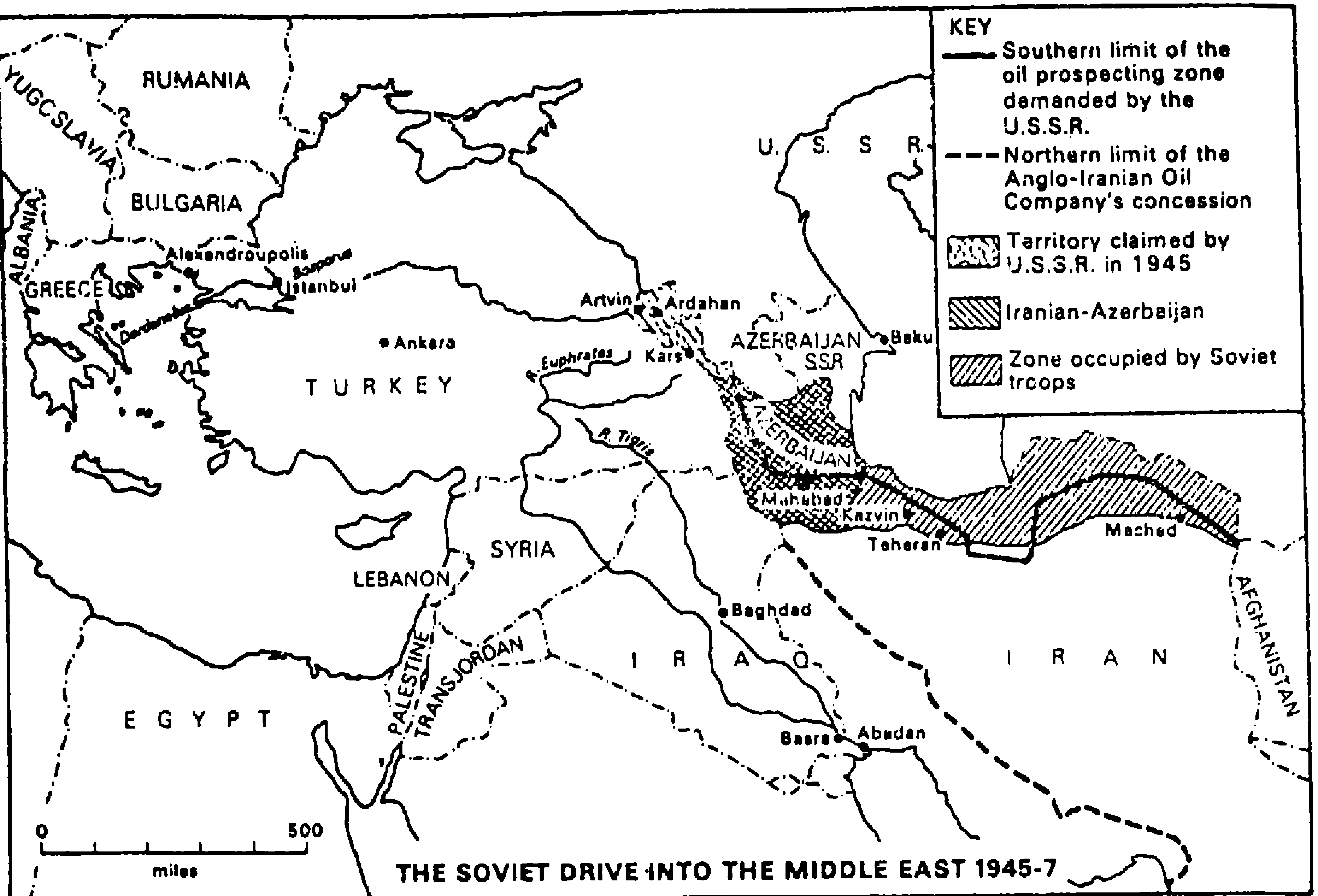
وقد فعل ستالين ضد اليابان ما تطلبه منه اتفاق يالطا . الا أن كثيرين في

الغرب كانوا ينظرون الى أعمال السوفييت في المانيا واوروبا الشرقية والشرق الاوسط على أنها تنمّ عن سياسة سوفياتية تستهدف التوسع ، مما أصابهم بالرعب . كما أن امتلاك امريكا للقنبلة الذرية غير من مواقف البريطانيين والامريكيين تجاه الاتحاد السوفياتي . وقد اوضح ايان جراى « ان هذا التغير في موقف الامريكيين والبريطانيين في بوتسدام قد اكد بصورة دراماتيكية أسوأ مخاوف ستالين وشكوكه . كما جعله يشعر بالاساءة العميقة اليه كعمل ينطوي على نكران الجميل والرفض »[٣] .

وقد رأى حلفاء الاتحاد السوفياتي في اول تحرك سوفياتي خارج اوروبا بعد الحرب أن هذا التحرك كان معادياً لهم بصورة واضحة . وجاء ذلك في ايران . ومع ان ايران كانت مستقلة اسمياً الا انه كان من المقبول ان شمالها كان يقع ضمن منطقة النفوذ الروسية وجنوبها ضمن منطقة النفوذ البريطانية وذلك لمدة قرن . وفي ايلول سنة ١٩٤١ احتلت كل من بريطانيا والاتحاد السوفياتي منطقة النفوذ الخاصة بها وبذلك ضمنتا طريق مساعدات الاعارة والتأجير الثمينة الى الاتحاد السوفياتي . وفي كانون الثاني سنة ١٩٤٢ م وقعت ايران وبريطانيا والاتحاد السوفياتي معاهدة اعيد توكيدها في مؤتمر طهران سنة ١٩٤٣ . وبموجبها كان على الدولتين المحتلتين أن تسحبا قواتهما من ايران بعد انتهاء الحرب بستة اشهر . وفي ايلول سنة ١٩٤٤ اتفقت بريطانيا وايران على تأسيس شركة النفط الانجلو ـ ايرانية المشتركة ـ والتي شملت ايضاً شركة ستاندرد اويل الامريكية ـ وذلك بهدف استغلال امتياز البحث عن النفط في منطقة النفوذ البريطانية القديمة . وحاول ستالين الحصول على امتياز مماثل لكن الحكومة الايرانية رفضت ذلك بضغط من الدول الغربية . وحاول الاتحاد السوفياتي إتباع اسلوب آخر اذ منح تأييده لحزب توده الذي كان يعارض الحكم الملكي الايراني . وكذلك ايد السوفيات الانفصاليين الاكراد والاذربيجانيين في شمال ايران .

وبعد الحرب انسحب البريطانيون من ايران لكن السوفييت لم

خارطة / ٣



THE SOVIET DRIVE INTO THE MIDDLE EAST 1945-7

ينسحبوا . وفي خريف سنة ١٩٤٥ اقيمت جمهورية اذربيجان « المستقلة » بدعم من الجيش الاحمر وأعطيت المراكز الهامة في الحكومة الجديدة للشيوعيين. فاستشاطت الحكومة الايرانية والحلفاء الغربيون غضباً . وكتب الرئيس ترومان في رسالة الى بيرنز وزير خارجيته يقول : « كانت ايران حليفتنا في الحرب كما كانت حليفة روسيا ايضاً . ووافقت ايران على حرية مرور ملايين الاطنان من الاسلحة والذخائر والامدادات عبر اراضيها من الخليج « الفارسي » الى بحر قزوين . ولولا هذه الامدادات التي قدمتها الولايات المتحدة ، لمنيت روسيا بهزيمة نكراء (*) . ومع ذلك فان روسيا تشعل الثورة وتبقى قواتها على ارض دولة صديقة وحليفة وهي ايران . ولا يخامرني اي شك في ان روسيا تعتزم غزو تركيا ومضايق البحر الاسود والدخول الى البحر المتوسط . وما لم تواجه روسيا بقبضة حديدية ولغة قاسية فان الحرب تكون قيد الاعداد . ولا يفهم الروس سوى لغة واحدة وهي (كم فرقة عسكرية لديك) » (٤) .

وفي ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ شكت الحكومة الايرانية لمجلس الامن من اعمال الاتحاد السوفياتي . وفي آذار من ذلك العام شرع الاتحاد السوفياتي في عملية الانسحاب من ايران والتي استغرقت ستة اسابيع الا أن الجمهورية الاذربيجانية بقيت واستمرت في تلقيها للمساعدات السوفياتية . وعندما تحركت القوات الايرانية لسحق الانفصاليين احتشدت القوات السوفياتية على الحدود . وهددت بريطانيا والولايات المتحدة بالتدخل ، وحركت بريطانيا لواء الى البصرة دعماً للايرانيين . فتراجع الروس واستعادت طهران سيطرتها على اذربيجان ولكن برزت ازمة جديدة فوراً .

وكان تشرتشل قد قال في طهران ان من حق روسيا الحصول على مزيد من حرية الوصول للطرق البحرية العالمية . ويبدو أن ستالين فهم من هذا القول على انه تلميح باستعداد بريطانيا لقبول اقامة قاعدة سوفياتية في مضايق الدردنيل . وفي آذار سنة ١٩٤٥ طالب الاتحاد السوفياتي بأعادة النظر في

(*) تلقى الاتحاد السوفياتي من مساعدات الاعارة والتأجير ما قيمته ١٠٩٨٢ مليون دولار .

المعاهدة التي تنظم استخدام المضائق . وبعد ذلك بثلاثة اشهر ازدادت طلبات الروس الحاحاً وكانت تتلخص في اقامة قاعدة دائمة في الدردنيل واستعادة المقاطعات القيصرية القديمة من تركيا وهي قارص واردهان وارتفين . واثار ستالين الموضوع في بوتسدام كما طالب بقاعدة في بحر ايجه في الكسندروبولس باليونان . واستمر الضغط الروسي على تركيا خلال سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٦ . لكن تركيا حظيت بتأييد بريطاني واعلنت استعدادها للدفاع عن نفسها . ومن الواضح أن ستالين كان يؤمن ان حجته معقولة في هذه القضية . وفي نيسان سنة ١٩٤٦ قال ستالين للسفير الامريكي « ان تركيا ضعيفة والاتحاد السوفياتي يدرك جيداً خطر السيطرة الاجنبية على المضائق (*) . وليست تركيا من القوة بحيث تستطيع حمايتها . كما أنها مسألة تمس امننا نحن » (٥) . وفي آب سنة ١٩٤٦ تفادت الولايات المتحدة التهديد السوفياتي لتركيا بتهديد معاكس . فقد اعلنت أن اي هجوم على تركيا سيكون مبرراً لاتخاذ مجلس الامن اجراءات مناسبة . وبما ان اجراءات الامم المتحدة سوف يعوقها الفيتو السوفياتي ، فقد اوضح ترومان في رسالته بأن ارسل قوة ضاربة من حاملات الطائرات للانضمام الى البارجة ميسوري التي كانت موجودة في استانبول من قبل . فتراخى التهديد السوفياتي لتركيا ولكن لفترة اسابيع قليلة فقط .

وفي اليونان كانت الحكومة البريطانية مشغولة في الوقت ذاته ، ومنذ كانون الاول سنة ١٩٤٤ ، في محاولة دعم حكم ملكي غير محبوب من الشعب الذي كان يربط بينه وبين الاساليب الدكتاتورية القاسية . وكان اشد خصوم النظام اليوناني هم الانصار الشيوعيون الذين وجدوا ملجأ وموارد جاهزة لهم في الدول الشيوعية الى الشمال من اليونان . ويبدو أن يوغسلافيا وصنيعتها البانيا كانتا المؤيدتين الرئيسيتين للمتمردين اليونان وان كان الغرب لم يدرك ذلك

(*) ربما كان ستالين قلقاً من أن بريطانيا التي كثيراً ما تعارضت مصالحها مع مصالح روسيا القيصرية في شرق البحر المتوسط ، كانت ستمد نفوذها على المضائق . وكان للبريطانيين وجود عسكري قوى آنئذ في فلسطين واليونان وقبرص ومصر .

آنئذٍ ، إذ كان يفترض أن أي نشاط شيوعي مهما كان موقعه سيكون في مصلحة الكرملين إن لم يكن بأوامر منه .

وبحلول مطلع سنة ١٩٤٧ كانت المملكة المتحدة في حالة سيئة . واصبح من الضروري اتخاذ اجراءات اقتصادية صارمة اذا اريد لها أن تتفادى الانهيار ، ولذلك قامت الحكومة البريطانية في ٢١ شباط بأعلام الولايات المتحدة انه لم يعد لديها خيار في انهاء معونتها ودعمها لليونان وتركيا . وقد كان هذا نقطة تحول في التاريخ المعاصر لانه ادى الى دخول الولايات المتحدة في تحمل التزامات تجاه اقطار اجنبية في حالة السلم . وفي الثاني عشر من آذار اعلن ترومان مبدأ ترومان الذي كرس فيه الدعم الامريكي « للعالم الحر » ولخص قضايا الحرب الباردة كما تراءت له فيما يلي :

« في هذه اللحظة من تاريخ العالم على كل امة تقريباً ان تختار بين طرق بديلة في الحياة . وكثيراً ما يكون الاختيار قسرياً . فثمة طريقة للحياة قائمة على مشيئة الاكثرية وتتميز بمؤسساتها الحرة وحكومتها التمثيلية وانتخاباتها الحرة وضمان الحريات الفردية وحرية الكلام والدين والتحرر من الظلم السياسي . اما الطريقة الثانية في الحياة فترتكز على مشيئة اقلية مفروضة بالقوة على الاكثرية . كما تعتمد على الارهاب والظلم والصحافة والاذاعة الخاضعتين للمراقبة ، والانتخابات المقيدة وكبت الحريات الشخصية . واعتقد أن من واجب سياسة الولايات المتحدة دعم الشعوب الحرة التي تقاوم محاولاتها اخضاعها لاقليات مسلحة او لضغوط اجنبية . كما اعتقد ان علينا مساعدة الشعوب الحرة في تقرير مصائرها باساليبها الخاصة » (٦) .

ثم طلب ترومان من الكونغرس منح مساعدة لليونان وتركيا تبلغ في مجموعها ٢٥٠ مليون دولار لليونان و ١٥٠ مليون دولار لتركيا ، ولبى الكونغرس الطلب . وعلى الارجح فان هذا الاجراء الامريكي انقذ اليونان وتركيا رغم أن التمرد الشيوعي في اليونان لم ينته بصورة رسمية حتى صيف سنة ١٩٤٩ . وكان مبدأ ترومان رداً ليس على النشاط الشيوعي في شرق البحر

المتوسط وحسب ، بل كذلك على النشاطات السوفياتية في كل مكان بما في ذلك اوروبا الوسطى والشرقية .

وعندما قاربت الحرب على الانتهاء كان تشرتشل قد ابدى قلقه حول مستقبل اوروبا الشرقية عندما تزايد احتمال تحرير هذه المنطقة على يد الجيش الاحمر . وفي زيارة قام بها رئيس الوزراء البريطاني لموسكو في تشرين الاول سنة ١٩٤٤ عقد صفقة مع ستالين اقتسم الزعيمان بموجبها البلقان ضمن مناطق النفوذ الخاصة بكل منهما . وكانت حصة روسيا ٩٠٪ من المصالح في رومانيا و٧٥٪ في بلغاريا، بينما كانت حصة بريطانيا ٩٠٪ من المصالح في اليونان. وكان لكل منهما ٥٠٪ من المصالح في المجر ويوغوسلافيا . وكان تشرتشل بعقد هذا الاتفاق يحاول ان يفعل افضل ما في استطاعته لشرق اوروبا. لقد كان يدرك أن الغرب لن يستطيع منع ستالين من فعل ما يريد في البلقان لكنه كان يأمل أن الاتفاقيات على الورق ستحدّ من اجراءات ستالين .

وقد تركت الحرب العالمية الثانية الجيش الاحمر يحتل شرق اوروبا ويسيطر تماماً على تلك المنطقة باستثناء اليونان ويوغسلافيا والبانيا . غير أن البلدين الاخيرين كانا في قبضة الانصار الشيوعيين ، وضم الاتحاد السوفياتي دول البلطيق واجزاء من فنلندا وبولندا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا فاستولى بذلك على مساحة تقارب ١٨٠ الف ميل مربع و ٢٤ مليون من البشر. وكان لا بد من أن يؤدي وجود الجيش الاحمر والاحزاب الشيوعية المحلية التي تؤيدها موسكو الى مدّ النفوذ السوفياتي الى بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر والبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا والمنطقة السوفياتية من المانيا . ومساحة هذه الاقطار حوالي ٣٩٣٥٠٠ ميل مربع بها ٩٢ مليوناً من السكان . وكان المستقبل الذي يواجه الغرب سنة ١٩٤٥ قاتماً لانه اذا تجاهل الاتحاد السوفياتي وعوده بعقد انتخابات حرة في هذه الاقطار ، واضطرت لان تسير في طريق الشيوعية فسوف يؤدي ذلك الى زيادة كبيرة في قوة الاتحاد السوفياتي . وقد تحقق ما خاضت بريطانيا الحرب من اجل منعه وهو سيطرة دولة واحدة على

اوروبا الوسطى ، ولكن الدولة المسيطرة كانت الاتحاد السوفياتي وليس المانيا .

وعند انتهاء الحرب اخذت القوات الامريكية في الانسحاب من اوروبا واصاب تشرتشل الفزع من احتمال تركه يواجه القوات الروسية الضخمة ، فابرق الى ترومان ما يلي يعبر عن مخاوفه « انني اشعر بقلق بالغ حول الوضع الاوروبي . فما الذي سيكون عليه الوضع خلال سنة حينما تكون الجيوش البريطانية والامريكية قد اختفت وعندما لا يكون لدينا سوى عدد قليل من الفرق معظمها فرنسية ، وعندما يصبح من المحتمل أن تحتفظ روسيا بمائتين أو ثلاثمائة فرقة في الخدمة العاملة ؟ لقد اسدل ستار حديدي على جبهتهم ، ونحن لا نعرف ما يجري خلفها »[٧] ورأى كثير من الامريكيين أن آراء تشرتشل مبالغ فيها ولكنه عاد اليهم في السنة التالية والقى خطاباً فيهم في فولتن بولاية ميسوري تحدث فيه عن « الستار الحديدي » وقال أن عواصم اوروبا الشرقية « وما حولها من السكان يقعون ضمن المنطقة السوفياتية وخاضعون جميعهم بصورة أو بأخرى ليس للنفوذ السوفياتي وحسب ، بل لاجراءات شديدة ومتزايدة من سيطرة موسكو »[٨] وكان تشرتشل خارج الحكم هذه المرة ولكن موسكو كانت تستمع لاقواله رغم انها لم تحدث التأثير الذي كان يتوخاه في الولايات المتحدة حيث كانت لا تزال لدى الكثيرين ميول في التعاون مع العم « جو » ستالين . بيد أن كلمات تشرتشل وجدت ما يبررها كل التبرير كما اثبتت الاحداث في شرق اوروبا سنة ١٩٤٧ .

وبدا أن الاتحاد السوفياتي لم يكن في عجلة من امره لعقد « انتخابات حرة » في اوروبا الشرقية ولكن الاحداث اخذت تتحرك بسرعة سنة ١٩٤٧ . ففي ١٠ شباط وقعت روسيا معاهدات صلح مع ايطاليا وفنلندا وبلغاريا والمجر ورومانيا ، وادى ذلك بصورة فعالة الى انهاء قدرة الغرب على احداث اي تأثير ملموس في مستقبل الاقطار الثلاثة الاخيرة . وفي الربيع اعلن مبدأ ترومان ، واخفق مؤتمر وزراء الخارجية في موسكو (انظر الفصل الرابع) . وفي الخامس من حزيران اعلن الجنرال مارشال وزير الخارجية الامريكية خطته المسماة

بمشروع مارشال لتقديم مساعدات مالية ضخمة للاقطار التي خربتها الحرب في اوروبا . وكانت الفكرة الامريكية تقوم على اعادة اقتصاديات اوروبا وبذلك تقضي على ظروف الحرمان واليأس التي يمكن أن تؤدي الى نمو الشيوعية . وبموجب مشروع مارشال منحت الولايات المتحدة مبلغ ١٣١٥٠ مليون دولار لستة عشر بلداً اوروبياً ، (*) الا ان الاتحاد السوفياتي رفض الانضمام الى مشروع مارشال . ودرس الروس مشروع مارشال بدقة وعناية وفي آخر حزيران سنة ١٩٤٧ ذهب وزير خارجيتهم مولوتوف مع فريق كبير من الخبراء الى باريس للتباحث مع نظرائهم البريطان والفرنسيين . وفي ذات الوقت ، ومن اجل الابقاء على خيار رفض المشروع ، استمرت الصحافة السوفياتية في اطلاق سيل متصل من النقد العدائي منددة بالمشروع على أنه « تدخل اجنبي » ومهيئة الرأي العام السوفياتي والعالم لرفض مساعدات مشروع مارشال . وفي ٢ تموز انسحب مولوتوف من مؤتمر باريس وانتهى بذلك اي احتمال لتعاون اقتصادي واسع النطاق بين الشرق والغرب . وكان من النتائج الناجمة عن القرار السوفياتي انسحاب كل من المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وكانت قد اظهرت اهتماماً بمشروع مارشال . ومن المرجح أن يكون كثيرون في الحكومة الامريكية قد شعروا بالارتياح من عدم اشتراك الاتحاد السوفياتي لان لائحة المشروع لم تمر الا بصعوبة في الكونغرس الامريكي . وربما كانت لن تقر ابداً اذا اضطر الكونغرس لمناقشة اعطاء مبالغ ضخمة من الاموال معونة لبلد كان قد اصبح الاتفاق معه على امور اخرى في عداد المستحيلات .

وفي اواسط تموز سنة ١٩٤٧ اخذ الاتحاد السوفياتي ، فيما بدا انه جواب على مساعدات مارشال ، في تقوية اواصر ارتباط اوروبا الشرقية بالكرملين .

(*) كان من بين الذين تلقوا مساعدات مشروع مارشال : النمسا وبلجيكا والدنمارك والنرويج والسويد وايسلندا وهولندا ولوكسمبرج وبريطانيا والبرتغال وسويسرا وايطاليا واليونان وتركيا وفرنسا وجمهورية ارلندا كما تلقت المناطق العسكرية الغربية الثلاث من المانيا قدراً من المعونة .

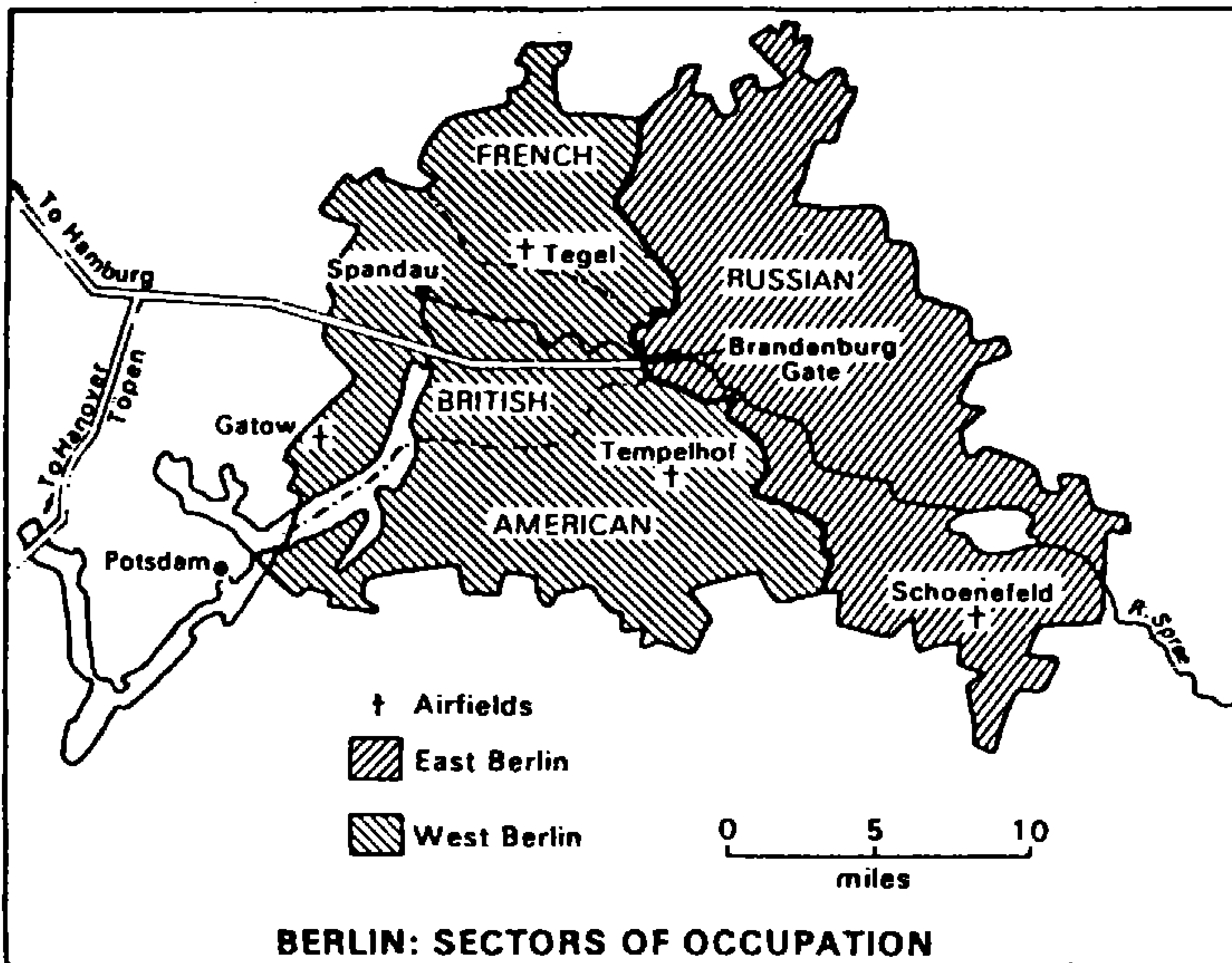
وبحلول نهاية آب سنة ١٩٤٧ كان قد تم توقيع اتفاقيات تجارية ثنائية بين الاتحاد السوفياتي من ناحية وكل من بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغسلافيا وبولندا ورومانيا من ناحية اخرى .

وتوفر للغرب مثال آخر على محاولات الاتحاد السوفياتي مدّ نفوذه عندما انشيء الكومنفورم (أو مكتب الاعلام) رسمياً في ٥ تشرين الاول . وتألفت عضويته من زعماء الاحزاب الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وبولندا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر ويوغسلافيا وفرنسا وايطاليا ، وفيما بعد هولندا . ووفر قناة للاتصال والتوجيه من الكرملين الى الاحزاب الشيوعية الاخرى . وأعلن بيان الكومنفورم أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة خاضتا غمار الحرب من أجل هدف وحيد وهو التخلص من المنافسة الالمانية واليابانية لهما ، كما قال « ان العالم اصبح مقسوماً الى جهتين احداهما امبريالية والاخرى اشتراكية وديمقراطية وانه يجب أن لا تكون هناك ميونخ أخرى مع الامبرياليين »[٩] ورأى الغرب في هذا القول إعلاناً للحرب الباردة ومما ضاعف من الخوف من هذا البيان أن ٢٠ ـ ٣٠٪ من الناخبين في فرنسا وايطاليا كانوا من الشيوعيين . وكانت ثمة مخاوف ولا سيما في الولايات المتحدة من امكانية حدوث محاولة شيوعية للاستيلاء على السلطة في هذين البلدين .

وقبل هذا باسابيع قليلة القى منظر الحزب الشيوعي السوفياتي اندريه زادانوف خطاباً قال فيه «لقد حان الوقت للشعوب المستعمَرة أن تطرد المعتدين عليها » [١٠] ونتيجة لذلك الى حد كبير اتهم العالم الغربي الاتحاد السوفياتي بالمسؤولية عن الاضطراب والتمرد الذي كان يقوده الشيوعيون والذي وقع في جنوب آسيا وجنوبها الشرقي .

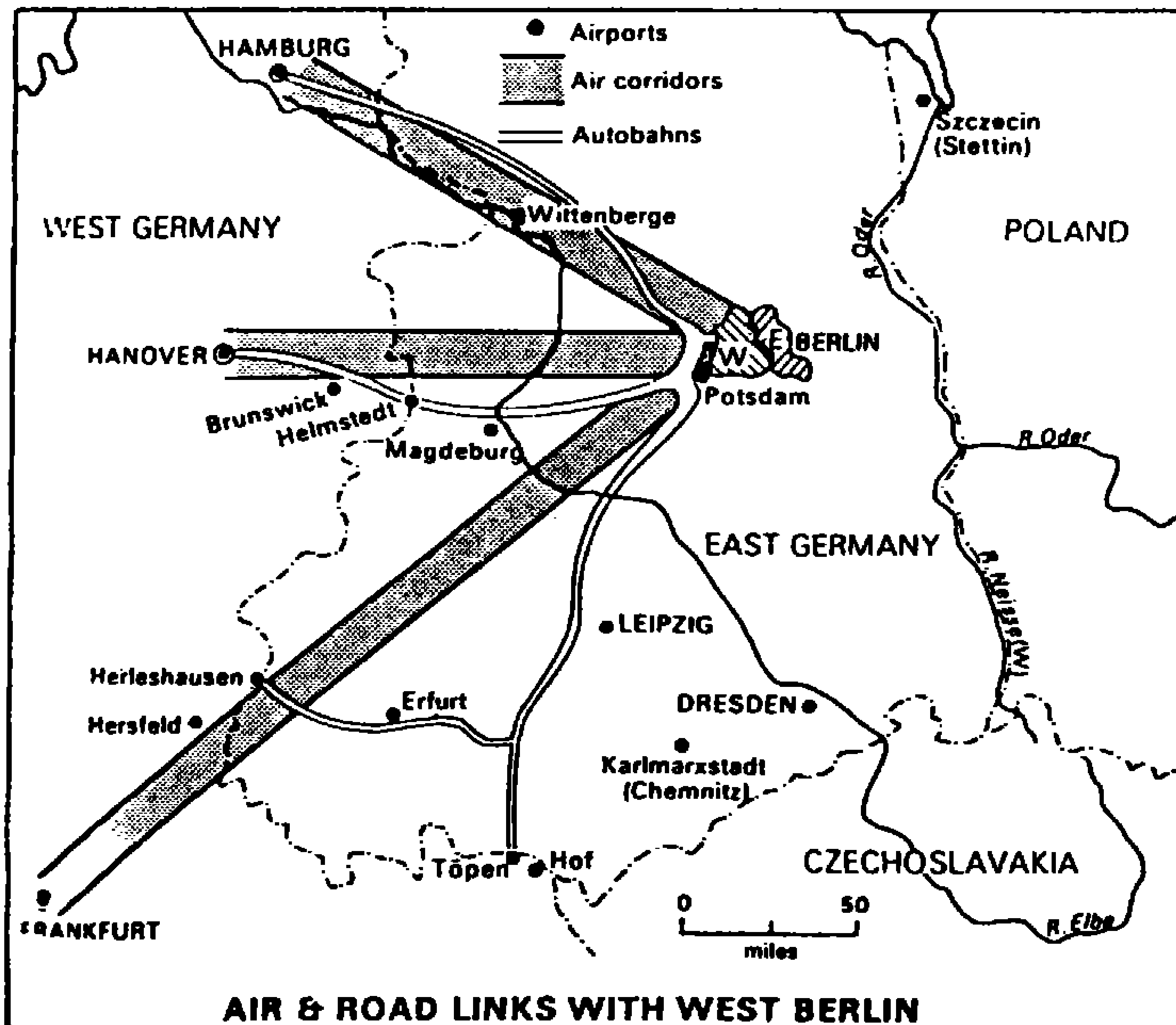
أما في المناطق الاقرب الى الاتحاد السوفياتي فقد وطّد قبضته على اوروبا الشرقية ، وفي جميع انحاء هذه المنطقة نشأت احزاب سياسية ذات مشارب مختلفة لكن الاسلوب الذي جاء به الشيوعيون الى الحكم فيها يستعصي على التفسير . ففي المجر قام الحزب الشيوعي في اوائل سنة ١٩٤٧ بمهاجمة حزب

خارطة / ٤



BERLIN: SECTORS OF OCCUPATION

خارطة / ٥



AIR & ROAD LINKS WITH WEST BERLIN

صغار الملاكين ، والقى القبض على عدد منهم . وجرت انتخابات في الصيف خرج الحزب الشيوعي منها اكبر الاحزاب رغم انه لم يتمتع باكثرية في البرلمان . ومع ذلك فقد شكل الحزب الشيوعي المجري حكومة . وفي ١ تشرين الثاني حلت جميع الاحزاب السياسية الاخرى . ووقع الشيء نفسه في بلغاريا . ففي ١٦ آب سنة ١٩٤٧ اتهم الحزب الشيوعي البلغاري بيتكون(Petkon) زعيم حزب الفلاحين بأنه يخطط لانقلاب . فالقى القبض عليه وحل حزبه بحجة انه كان فاشستيا . وشنق بيتكوف في كانون الاول سنة ١٩٤٧ وشكل جورجي ديمتروف حكومة كانت غالبيتها شيوعية . اما في رومانيا فكانت الامور تختلف قليلاً لان البلد كان ملكي الحكم . واجريت انتخابات لكن الغرب ندد بها ووصفها انها غير صحيحة . وفي تشرين الاول سنة ١٩٤٧ انحل حزب الفلاحين المعارض وحكم على زعيمه مانيو بالسجن مدى الحياة . ووجه ضغط شديد على الملك ميشيل الى أن اضطر للتنازل في ١ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ والفرار من البلاد . وكذلك اضطر ميكولاتشك زعيم بولنديي لندن الى الهرب من بولندا لينجو بحياته وانحل حزبه المعارض في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ . وبحلول نهاية سنة ١٩٤٧ كان الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية الدائرة في فلكه تسيطر سيطرة كاملة على جميع اوروبا الشرقية بأستثناء تشيكوسلوفاكيا . وكان للعالم الغربي اهتمام عاطفي وقوي بتشيكوسلوفاكيا نتيجة لشعوره بالذنب بسبب اتفاقية ميونخ سنة ١٩٣٨ . ولذلك فعندما اجبر الرئيس بينش على الاستقالة وتسلمت حكومة شيوعية مقاليد الامور في براغ ، ومات جان مازارايك آخر عضو غير شيوعي في الحكومة التشيكية في ظروف غامضة في آذار سنة ١٩٤٨ ، سببت هذه الاحداث صدمة في الغرب لم تحدث في شرق اوروبا واماكن اخرى . واذا كانت تساور الناس اية شكوك حول

(*) كانت هذه الدول : الولايات المتحدة ، وكندا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج وايطاليا والدنمارك والنروج وايسلندا والبرتغال وانضمت اليونان وتركيا في سنة ١٩٥٣ والمانيا الغربية في سنة ١٩٥٥ .

السياسة الروسية خلال العام الفائت ، فقد ازالت تشيكوسلوفاكيا هذه الشكوك .

واجتمعت احداث تشيكوسلوفاكيا مع حصار برلين لاحداث ما كانت تأمله حكومات اوروبا الغربية ـ وهو التزام امريكي عسكري قوي للدفاع عن اوروبا الغربية . وفي حزيران سنة ١٩٤٨ وافق مجلس الشيوخ الامريكي على قرار اعلن فيه عزم امريكا على الدخول في تحالف عسكري مع دول اخرى . ووقعت اثنتا عشرة دولة (*) معاهدة شمال الاطلسي في ٤ نيسان سنة ١٩٤٩ واعلنت التزامها بالدفاع المشترك ودخلت الولايات المتحدة لاول مرة في تاريخها في حلف وقت السلم وقبلت رسمياً ونهائياً بقيادة العالم الحر في مواجهة التهديد المشترك حسبما رآه العالم الحر . وفي البداية كان الامريكيون يأملون أن يقتصر اسهامهم على توفير « مظلة نووية » تحمي غرب اوروبا ، ولكن عادت القوات الامريكية بأعداد كبيرة الى اوروبا خلال وقت قصير واعيد فتح القواعد الجوية القديمة التي اقيمت في الحرب العالمية الثانية لتدخلها القوات الامريكية ثانية . وكان الرئيس روزفلت قد اعلن دائماً عن عزمه على سحب القوات الامريكية من اوروبا حال انتهاء الحرب . لكن هذه النية قد انقلبت الان رأساً على عقب . وعند اعلان توقيع معاهدة شمال الاطلسي على المجلس الوطني الفرنسي ، تكلم ممثل الحكومة الفرنسية نيابة عن بقية اوروبا الغربية عندما قال : « لقد حصلنا اليوم على ما كنا نأمله عبثاً في فترة ما بين الحربين : وهو اعتراف الولايات المتحدة بأن لا سلام ولا أمن لامريكا اذا كانت اوروبا في خطر »[١١] .

الفصل الرابع

تقسيم ألمانيا وحصار برلين

كان جميع الحلفاء مصمّمين على أن لا تصبح ألمانيا مرة أخرى مصدر تهديد لهم ، ولكن لم يكن ثمة اتفاق حقيقي يذكر على أية أهداف أخرى سواء حول مستقبل ألمانيا أو بالنسبة لتسوية سلمية أوروبية . وتم الاتفاق على وجوب تقسيم ألمانيا والنمسا إلى مناطق احتلال بين بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا وأن تقسم برلين وفينّا بصورة مشابهة ، كما تقرر تسليم السلطة العليا في ألمانيا لمجلس رقابة الحلفاء المؤلّف من الحكام العسكريين لمناطق الاحتلال الأربع وقيادة تابعة لمجلس رقابة الحلفاء ولكن مسؤولة عن برلين ومؤلفة من الحكام العسكريين الأربعة لبرلين . كما اتفق على أن تكون ألمانيا وحدة اقتصادية واحدة وأن تصبح مرة أخرى وحدة سياسية واحدة . وقد أدّى الوضع الاقتصادي اليائس لاوروبا الوسطى بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٨ إضافة إلى سياسات الاحتلال المختلفة للدول الأربع العظمى إلى ظهور كل من المنطقتين الشرقية والغربية من برلين ككيانين اقتصاديين وسياسيين مختلفين .

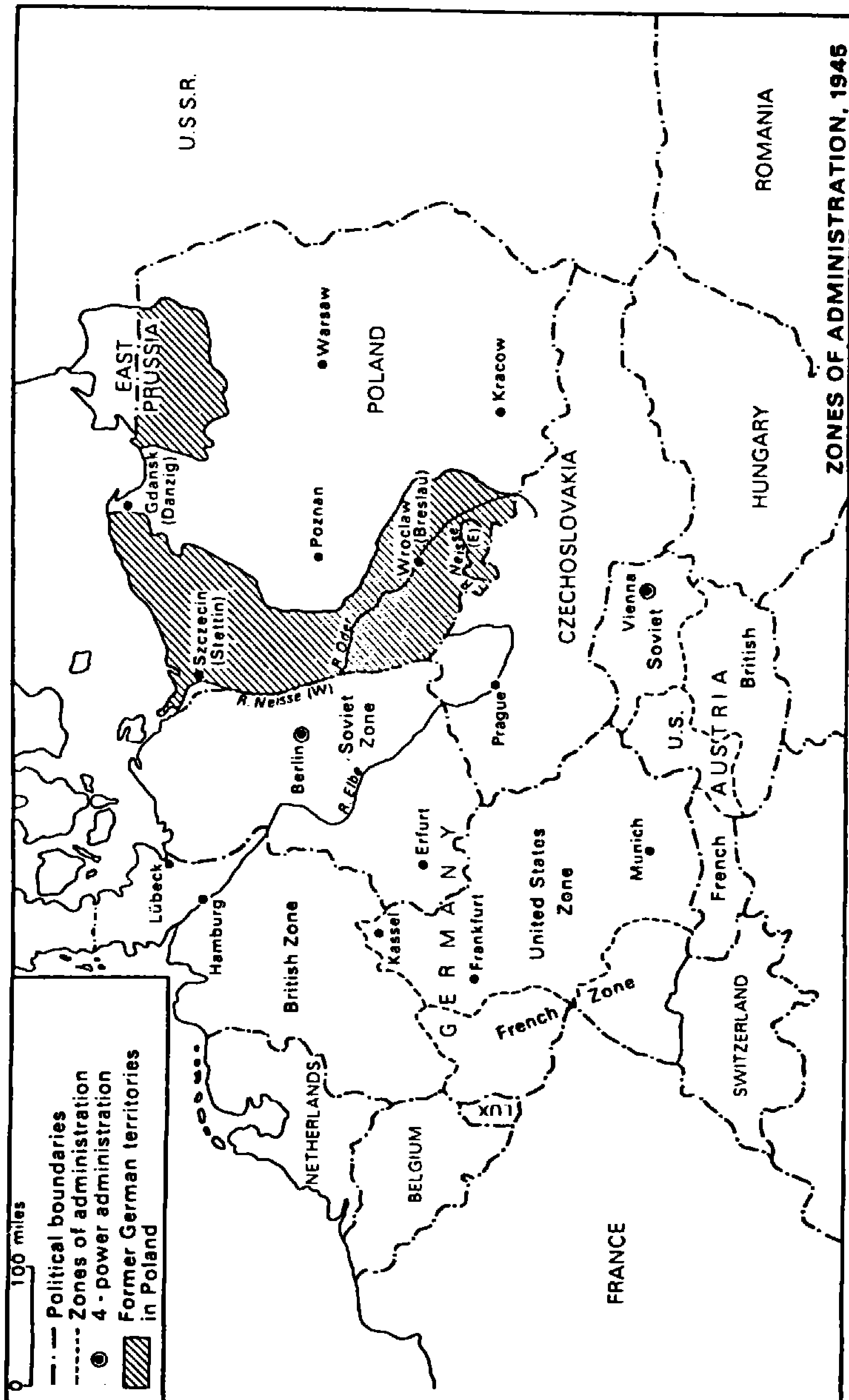
وفي أول مجلس رقابة للحلفاء سنة ١٩٤٥ لم تأت المصاعب الأولى من الروس بل من الفرنسيين . فلم تكن حكومة الجنرال ديغول الفرنسية المؤقتة طرفاً في اتفاقيات طهران ويالطا وبوتسدام ولذلك لم تعتبر نفسها ملتزمة بأي منها . وهكذا فبينما كانت سياسة الحلفاء الرسمية أن تبقى ألمانيا موحدة ، أصرت فرنسا على معارضتها لقيام ألمانيا موحدة من جديد لأن الفرنسيين رأوا في ذلك تهديداً لهم إذ كانت ألمانيا قد غزت فرنسا ثلاث مرات خلال سبعين عاماً . وفي أواخر سنة ١٩٤٥ رفض الفرنسيون في مجلس رقابة الحلفاء السماح بإقامة

إدارة مركزية موحدة في ألمانيا وحرية مرور الافراد بين المناطق المختلفة كما رفضوا أيضاً الأحزاب السياسية على مستوى الأمة الألمانية أو الاتحادات النقابية أو إدارة سكك حديدية على المستوى القومي . وإذا كانت سياسة السوفيات تقوم على الحيلولة دون إعادة بناء ألمانيا موحدة ومركزية ، كما شعر كثير من المراقبين الغربيين ـ فلم يكن بهم حاجة لتنفيذ هذه السياسة في مجلس رقابة الحلفاء سنة ١٩٤٥ إذ كان الفرنسيون يقومون بذلك نيابة عنهم . وكان على مجلس رقابة الحلفاء في الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٦ أن يعالج قضايا التعويضات الصعبة . وهنا بدأ أول انشقاق كبير بين الانجليز والاميركيين من جهة والروس من جهة أخرى .

كان الثلاثة الكبار في يالطا قد وافقوا على أن تدفع ألمانيا تعويضات عن الأضرار التي ألحقتها وان معظم هذه التعويضات سيذهب إلى الإتحاد السوفياتي . وطالب الروس بمبلغ عشرة آلاف مليون دولار وقبل الحلفاء الغربيون من حيث المبدأ ، لكنهم لم يوافقوا على المبلغ . واتفق في بوتسدام على أن بإمكان الاتحاد السوفياتي أن يتقاضى التعويضات من منطقة احتلاله وأن يأخذ من المناطق الغربية المحتلة ٢٥ ٪ من جميع الآلات والمنشآت الصناعية التي لم تكن ضرورية لاقتصاد ألمانيا وقت السلم . وبدلاً من ذلك يقوم الاتحاد السوفياتي بإرسال الطعام والفحم والمواد الخام من منطقة احتلاله إلى المناطق المحتلة الغربية وذلك بقيمة ٦٠ ٪ من ما تلقاه من الغرب . أما التفاصيل النهائية لما كان ضرورياً لاقتصاد ألمانيا أثناء السلم فقد تركت في النهاية للجنة رقابة الحلفاء .

وجاء في المادة / ١٣ من اتفاقية بوتسدام : « في تنظيم الاقتصاد الألماني سيكون هناك تركيز خاص على تطوير الزراعة والصناعات المحلية السلمية » . كما قالت المادة / ٣ فقرة / ٢ أن أحد أهداف الاحتلال كان « إقناع الشعب الألماني بأنه لقي هزيمة عسكرية شاملة وأنه لا يستطيع التخلص من مسؤ ولية ما ألحقه بنفسه لأن حربه الشرسة التي شنّها والمقاومة النازية العنيدة دمّرت

خارطة / ٦


ZONES OF ADMINISTRATION, 1945
100 miles
Political boundaries
Zones of administration
4 - power administration
Former German territories in Poland
U.S.S.R.
EAST PRUSSIA
Gdansk (Danzig)
Warsaw
POLAND
Kracow
Poznan
Szczecin (Stettin)
Wroclaw (Breslau)
R. Oder
R. Neisse (W)
R. Neisse (E)
ROMANIA
HUNGARY
CZECHOSLOVAKIA
Prague
Vienna
Soviet
British
U.S.
AUSTRIA
French
Berlin
Soviet Zone
R. Elbe
Lübeck
Hamburg
British Zone
Kassel
Erfurt
GERMANY
Frankfurt
United States Zone
Munich
French Zone
SWITZERLAND
NETHERLANDS
BELGIUM
LUX
FRANCE

الاقتصاد الألماني وجعلت الفوضى والمعاناة أمراً لا مفر منه »[1] . كما اتفق أيضاً على أن مستوى المعيشة الألماني يجب تخفيضه إلى مستوى لا يتجاوز معدل مستويات الأقطار الاوروبية الأخرى . وقدر هذا المستوى بـ ٧٤ ٪ من الرقم الألماني الذي أعطي سنة ١٩٣٦[2] .

إذن كان الحلفاء الغربيون مستعدين لإيقاع العقوبات بألمانيا في تعاملهم الاقتصادي معها . غير أن اتفاقية بوتسدام تجاهلت الحقائق السائدة للأوضاع الألمانية ، فعندما استسلم النظام النازي في ٨ أيار سنة ١٩٤٥ كانت الدولة الألمانية قد زالت من الوجود وكان على الحلفاء تولي مسؤولية إدارة البلاد . وكان الاقتصاد الألماني محطماً . وفي المنطقة البريطانية التي كانت قلب النشاط الصناعي الألماني ، كان إنتاج الفحم يجري بمعدل مليون طن في السنة بينما وصل الانتاج ٣٨ مليون طن سنوياً عام ١٩٤٣ . ولم تكن مناطق الاحتلال الغربية قادرة على انتاج طعام كاف لاطعام نفسها . ولو استمر الحلفاء في إصرارهم على تفكيك الصناعة الألمانية بالنسبة التي اتفق عليها في بوتسدام ، لما تمكنت الصناعة في المناطق الغربية الألمانية من إنتاج الصادرات الكافية لكسب الأموال التي يجب دفعها ثمناً لواردات الطعام التي كانت الحاجة إليها ماسة جداً . وكان على البريطانيين والامريكيين بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٧ م أن يستوردوا من المواد الغذائية ما قيمته ٧٠٠ مليون دولار سنوياً من أجل مجرد الحيلولة دون المجاعة الشاملة . ومما زاد الطين بلّة بالنسبة للغربيين تدفق ملايين اللاجئين المعدمين إلى مناطقهم من ألمانيا الشرقية إضافة إلى الأشخاص الذين تم طردهم من بولندا وتشيكوسلوفاكيا .

وخلال ذلك الوقت كان الروس يتقاضون التعويضات من ألمانيا ويجعلون منطقة احتلالهم تعيش من مواردها الخاصة . كما رفض الروس تقديم بيانات عن كثير مما أخذوه من منطقتهم الخاصة بهم . وأثار هذا الوضع سخطاً متزايداً لدى السلطات العسكرية البريطانية والاميركية لأنها كانت مضطرة لاستيراد الطعام إلى مناطق احتلالها وعلى نفقتها الخاصة ولأن ترسل تعويضات

إلى الروس أيضاً . وبحلول سنة ١٩٤٦ كان الروس يوقفون شحنات الأغذية والمواد الخام التي كانوا يرسلونها مقابل التعويضات وذلك بسبب الوضع الاقتصادي « السيء » في أوروبا الشرقية . وكان هذا الوضع يمثل الدفوعات غير المباشرة للشحنات المرسلة للروس من قبل البريطان والامريكيين . « وكتب الجنرال الامريكي كلاي يقول « جاء أول صدام لنا مع السياسة السوفياتية في ألمانيا بسبب التعويضات . وفي ربيع سنة ١٩٤٦ أوقفت الشحنات من منطقتنا بعد إنذارات متتالية ولم يكن لي خيار في ذلك »[٣] . وحذا البريطانيون حذو الامريكيين . وأدى إيقاف الشحنات إلى « مشاحنات مريرة في مجلس السيطرة وفي إجتماعات وزراء الخارجية وكان عاملاً رئيسياً في انهيار الحكومة الرباعية »[٤] . وفي خطاب ألقاه وزير الخارجية الامريكية جيمس بيرنز في شتوتجارت في ٦ أيلول سنة ١٩٤٦ اعترف رسمياً بأن اتفاقيات بوتسدام الاقتصادية لم تكن تنفذ بشكل صحيح واقترح توحيد اقتصاد المنطقة الامريكية مع أي من المناطق الأخرى أو معها جميعاً . ولم تقبل سوى بريطانيا وانضمت المنطقتان معاً في المنطقة المزدوجة اعتباراً من ١ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ وانضمت اليهما المنطقة الفرنسية سنة ١٩٤٩) وهكذا فقد أصبح تقسيم ألمانيا اقتصادياً بين الشرق والغرب حقيقة في سنة ١٩٤٦ أما التقسيم السياسي فقد بدأ في وقت أكثر تبكيراً .

وكانت قد سمحت اتفاقية بوتسدام بأن تقوم أحزاب سياسية وحرّة ديمقراطية ومعادية للفاشية بألمانيا ، ولكن الاتحاد السوفياتي كان قد بدأ حتى قبل بوتسدام بعملية حاول فيها أن يحوز على سيطرة شيوعية وروسية على أية أحزاب سياسية ألمانية جديدة . ففي العاشر من حزيران سنة ١٩٤٥ سمح المارشال زوكوف الحاكم العسكري للمنطقة السوفياتية بإقامة أحزاب سياسية ديمقراطية . وسرعان ما ظهر هناك حزب شيوعي وحزب اشتراكي ديمقراطي وحزب ليبرالي وحزب ديمقراطي مسيحي أو محافظ . وكان هدف الاتحاد السوفياتي من وراء ذلك إعطاء إنطباع للشعب الألماني بأن الروس يعملون

لمصلحته . وكانت الدعاية السوفياتية خلال الثمانية عشر شهراً التي تلت الحرب تنادي باستمرار بألمانيا موحدة يضمن حدودها الجيش الأحمر . وكان هذا العرض مقنعاً لأنه كان نقيضاً لموقف الفرنسيين الذين ما زالوا يريدون ضم منطقة السار وفصل منطقة الرور عن ألمانيا ، ولموقف البريطانيين والامريكيين الذين رفضوا تشجيع الاقتصاد الألماني حيث كانت روسيا تدعي أنها تقوم بذلك . وكان الحزب الشيوعي الجديد يدرك أن الشعب الألماني يربط بين الشيوعية والكرملين وانه لذلك كان خائفاً من كليهما فأصدر الحزب بياناً في برلين في ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٥ يستهدف تهدئة مخاوف الألمان هذا وادعى البيان :

« إننا نعتبر من الخطأ لألمانيا أن تفسح الطريق لاقامة نظام سوفياتي فيها لأن هذه الطريق لا تتفق مع ظروف تطور ألمانيا في هذا الوقت . ونعتبر أن المصالح الحقيقية للشعب الألماني في الظروف الراهنة تقتضي طريقاً آخر وهو إقامة نظام ديمقراطي معاد للفاشية وجمهورية ديمقراطية برلمانية تتمتع بكافة الحرّيات الديمقراطية »[٥] .

وسعى هذا الاعلان إلى إقناع أولئك الألمان الذين لم يربطوا قط بين الشيوعية الروسية وبين الديمقراطية بأن الحزب الشيوعي كان حزباً يسارياً مستقلاً يتجاوب مع المصالح الألمانية أكثر من تجاوبه مع المصالح الروسية . ولكن كثيراً جداً من الاشتراكيين الألمان لم يقتنعوا بذلك .

وفي كانون الأول سنة ١٩٤٥ اجتمع ممثلون عن المنطقة السوفياتية من الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الاشتراكي في برلين ليتداولوا في أمر دمج الحزبين معاً . وقد أثار هذا فزع الديمقراطيين الاشتراكيين في المناطق الغربية والذين اجتمعوا في هانوفر في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٦ ورفضوا الفكرة بأكثرية ساحقة ولكن الأحزاب في المنطقة الشرقية مضت في طريقها قدماً وأجرت استفتاء حول القضية في برلين في ٣١ آذار سنة ١٩٤٦ . وكان القائد السوفياتي في برلين ، الجنرال كوتيكوف قد وافق على الاستفتاء . ولكن خلال

ساعة من فتح صناديق الاقتراع في المنطقة السوفياتية ، إتّضح وجود دعم جماهيري ضخم لجناح الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي كان يعارض الدمج ، وبذلك أقفلت الصناديق في القطاع الروسي بسبب « المخالفات » وأوعز أوتو غروتوال زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المنطقة السوفياتية إلى اتباعه في المناطق الأخرى بعدم التصويت . لكن النتيجة كانت رفض الدمج ورفض السيطرة الشيوعية التي رافقته ، إذ صوت ٨٢ ٪ من أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي ضد الدمج . ومع ذلك فقد أنشىء حزب جديد مندمج في ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٦ اسمه حزب الوحدة الاشتراكي وترأسه معاً كل من ولهلم بيك من الحزب الشيوعي وأوتوغروتوال من الحزب الاشتراكي الديمقراطي . وحاول الروس السيطرة على الأحزاب السياسية الجديدة وأخفقوا . ولكنهم في محاولتهم هذه أصابوا الزعماء السياسيين الألمان في المناطق الغربية بالذعر فشرع هؤلاء في إقامة أحزاب سياسية في الغرب فقط .

وبحلول سنة ١٩٤٧ وصل حلفاء وقت الحرب إلى طريق مسدود في ألمانيا ، وتوقفت عملية مجلس رقابة الحلفاء كما أن التعاون في قيادة برلين أصبح أكثر صعوبة بمرور الوقت عندما كشف الروس عن نواياهم بالتدريج . وفي حزيران سنة ١٩٤٧ انتخب برلمان برلين بأكثرية ٨٩ صوتاً ضد ١٧ مرشح الحزب الاشتراكي الديمقراطي أرنست رويتر رئيساً لبلدية المدينة . غير أن الجنرال كوتيكوف رفض قبول النتيجة لأن رويتر وهو شيوعي سابق ، كان لا يفتأ يدعو الاتحاد السوفياتي بأنه « اتحاد عبيد »[٦] .

وحتى قبل هذا الحادث ، فإن الروس والصحافة الألمانية الشرقية التي يسيطرون عليها كانت تهاجم الغرب بشراسة متزايدة إلى أن فوض الحاكم الامريكي الجنرال كلاي الصحافة الامريكية في خريف سنة ١٩٤٧ « بمهاجمة الشيوعية بكافة أشكالها وأينما وجدت وان تشير إلى كل الأمثلة المفضوحة على أعمالها اليومية . ولم نكن حتى ذلك الوقت لنهاجم الحكومات أو الأفراد . ولن نقذف الآخرين بالوحل ، ولكننا لم نعد نتورع عن فضح الأساليب والأهداف

الشيوعية »[٧] . وهكذا ظهرت لغة الحرب الباردة بجلاء .

وكان مجلس وزراء الخارجية قد استطاع وضع الصيغة النهائية لمعاهدات الصلح مع ايطاليا وفنلندا وبلغاريا والمجر ورومانيا وتم توقيع هذه المعاهدات في ١٠ شباط سنة ١٩٤٧ ، ولكن بعد أن أبعدت هذه الأمور الأقل أهمية من الطريق ، لم يعد باستطاعة مجلس الوزراء تجنب المواجهة على القضية الرئيسية التي أمامه وهي معاهدات الصلح مع ألمانيا والنمسا . وافتتحت الجلسة الرابعة لمجلس وزراء الخارجية في جو متوتر في موسكو في ١٠ آذار سنة ١٩٤٧ . وبعد ذلك بيومين أعلن الرئيس ترومان مبدأ ترومان الذي أوضح تصميم الامريكيين على مقاومة الأطماع السوفياتية ولا سيما في شرق البحر المتوسط (انظر الفصل الثالث) وبذلك زاد جو مؤتمر موسكو اكفهراراً . ولم ينجز المؤتمر شيئاً حول معاهدات السلام المطروحة ووصف بأنه « مهزلة » من « الاتهامات والاتهامات المضادة »[٨] . وقد ذهب الوفد الامريكي إلى موسكو « وهو مستعد للذهاب إلى أبعد مدى ممكن لتلبية المصالح الروسية الأمنية المشروعة ضمن بنيان ألمانيا وأوروبا » ، وكان مستعداً للتساهل وشاعراً « بنتائج الفشل في موسكو وهو إنشطار ألمانيا وأوروبا »[٩] ، وقد علم مؤتمر موسكو الامريكيين أن لا أمل لهم في مفاوضة الروس إلا من مركز قوة . ومنذ ذلك الوقت فصاعداً لم يكن أي من الجانبين كثير الاهتمام بالمصالحة . وهكذا كان مؤتمر موسكو عنصراً مركزياً في تطور الحرب الباردة .

وبما أن الاتحاد السوفياتي أخفق في الحصول على ما يريد في ألمانيا عن طريق المفاوضات فقد حاول الحصول على ذلك بطرق أخرى سنة ١٩٤٨ وذلك بمحاولة إخراج الحلفاء الغربيين بالقوة من قطاعهم في برلين . « وكان حصار برلين في نظر الروس بديلاً عن الحرب . إذ كان هجوماً مدبراً على جميع الأوضاع الغربية في ألمانيا وعلى الالتزام الامريكي تجاه أوروبا ، الذي سببته السياسة الروسية خلال السنوات الثلاثة السابقة »[١٠] . وقد فرض الحصار في الظاهر احتجاجاً على الخطط الغربية لادخال اصلاحات نقدية إلى المناطق

الغربية . وكان الحلفاء الغربيون قد قرروا أن يدخلوا الدُّيْتشمارك الجديد محل الرايخمارك القديم عديم القيمة على أمل أن يحفز هذا الاجراء استعادة النشاط الاقتصادي في مناطقهم . وأدخلت العملة الجديدة إلى المناطق الغربية في ١٨ حزيران سنة ١٩٤٨ . ولكن التوتر كان يتزايد حتى قبل ذلك ففي ٢٠ آذار سنة ١٩٤٨ انسحب الحاكم العسكري السوفياتي المارشال سوكولوفسكي من مجلس رقابة الحلفاء وأعلن أن ذلك المجلس لم يعد يعمل . وفي مطلع شهر نيسان أخذ الاتحاد السوفياتي يفرض القيود على نقاط الاتصال للطرق الحديدية وطرق السيارات التي كان الحلفاء الغربيون مضطرين لاستخدامها في حركة تنقلهم بين برلين ومناطق الاحتلال الخاصة بهم .

وفي ١٦ حزيران انسحب الروس من قيادة برلين . وبعد ذلك بيومين أدخل الاصلاح النقدي إلى المناطق الغربية وهكذا لم تعد مظاهر الحكومة الرباعية في ألمانيا وفي برلين موجودة . وسارع الروس الى إدخال اصلاحهم النقدي إلى منطقتهم في ألمانيا وقطاعهم في برلين . وفي ٢٣ حزيران أدخل كل من الشرق والغرب عملاتهم الجديدة إلى برلين وفي اليوم التالي قطع الاتحاد السوفياتي جميع الاتصالات ببرلين والتي تتم عن طريق السكك الحديدية وطرق السيارات والقنوات المائية . وكان الحصار كاملاً . وكانت برلين الغربية المتغلغلة مسافة ١٠٠ ميل داخل المنطقة التي يحتلها السوفيات تعتمد على المناطق الغربية في حصولها على الطعام والكساء والفحم وضروريات الحياة ، وواجهت الحلفاء الغربيين ثلاثة خيارات : إذ كان بوسعهم إرسال قوافل عسكرية على الطرق الرئيسية إلى برلين الغربية واختراق الحصار ، أو أن يستسلموا ويخرجوا قواتهم من المدينة ويسلموا برلين كلها للإدارة السوفياتية ، أو أن يتسلقوا من فوق الحصار بالمعنى الحرفي . وفكر الامريكيون جدياً في الخيار الأول لكنهم تخلوا عنه لأنه ربما أدّى إلى درجة عالية جداً من المخاطرة بخوض حرب . ولم يكن هناك سوى ٦ آلاف جندي غربي في برلين مقابل ١٨ ألف جندي روسي داخل المدينة وعدة فرق في مناطق مجاورة لها . ومع أن الولايات المتحدة كانت

تتمتع باحتكار السلاح النووي في ذلك الوقت إلا أن قواتها التقليدية كانت ضعيفة كما كانت قوات حلفائها في أوروبا ولذلك لم يستطع الغرب المغامرة بإثارة حرب تقليدية كانوا سيخسرونها حتماً في المراحل الأولى على الأقل . أما الخيار الثاني فلم يفكر به أحد جدياً لأنه إذا انسحب الغرب من برلين فإن مصداقيتهم في العالم سوف تضعف بشكل مروع ، ولن يتوقع بعدها من الأنظمة المعادية للشيوعية في العالم أن تصدق تأكيدات الامريكيين بالمساعدة ضد العدوان الشيوعي ولذلك تم اللجوء إلى الخيار الثالث فتقرر أن يقوم الحلفاء الغربيون بتزويد برلين الغربية من الجو .

وفي نهاية عام سنة ١٩٤٨ كان سكان برلين الغربية المدنيون مليونين ومائة وثمانية آلاف نسمة . وقدرت السلطات الغربية الحد الأدنى الواجب استيراده إليها يومياً من المؤ ن والامدادات بأربعة آلاف طن . كما كانت هناك حاجة لـ ٥٠٠ طن يومياً لتلبية مطالب الحامية الغربية. وكان الرقم يمثل الكمية المطلوبة لابقاء الناس على قيد الحياة فقط . ولم يحسب حساب الوقود الزائد الذي يجب إحضاره أثناء الشتاء أو أطنان المواد الضرورية لاستمرار الصناعة بحيث يتجاوز انتاجها مستوى الكفاف والحد الاقتصادي الأدنى . وبذل الحلفاء الغربيون مجهوداً ضخماً كانت نتائجه مفاجئة حتى لهم . فقد جرّد الامريكيون والبريطانيون قواتهم الجوية في أنحاء العالم الأخرى من طائرات النقل وأرسلوها إلى برلين . وبحلول نهاية الشتاء كان الغرب يشحن جواً إلى برلين ستة آلاف طن من الامدادات كل يوم . وعندما رفع الحصار نهائياً في أيار سنة ١٩٤٩ كان قد تم شحن ٢٣٠٠ ٠٠٠ طن من الامدادات إلى برلين بطريق الجو . وقد كلف الحصار أرواح واحد وثلاثين أمريكياً وتسعة وثلاثين بريطانياً و ٩ ألمان بين طيارين ورجال الخدمات الأرضية (*) وحاول ستالين خلال الحصار أن ينكر وجود أزمة . وفي أوائل آب سنة ١٩٤٨ قال للسفير الامريكي

(*) أسهم الامريكيون بثلثي الطائرات والبريطانيون بالباقي. أما فرنسا فلم يكن لديها طائرات نقل كبيرة لكنها أيدت حليفتيها تأييداً كاملاً .

سميث « مهما يكن الأمر فنحن ما نزال حلفاء »[١١] . ووصفت السلطات العسكرية الروسية الحصار بأنه مجرد « صعوبات فنية » ذات « طابع مؤقت » . ولكن عندما اجتمع الحكام العسكريون الغربيون الثلاثة في بوتسدام في ٣ تموز سنة ١٩٤٨ قال المارشال سوكولوفسكي أن الصعوبات الفنية سوف تستمر إلى أن يتخلى الحلفاء عن خططهم لإقامة حكومة ألمانية غربية[١٢] . ومن الواضح أن ستالين سعى إلى تحقيق أهدافه دون التورط في حرب وحاول الروس جهدهم أن يتجنبوا نشوب أعمال عنف بين القوات الغربية والسوفياتية كما حرصوا على التأكد من أن أياً من طائرات الجسر الجوي لا تسقط بسبب تدخل من الروس . والواقع أن الروس على غير عادتهم حافظوا على سياسة الافراط في الملاينة طيلة فترة الأزمة .

وفي صيف سنة ١٩٤٨ فرض الامريكيون والبريطان « حصاراً معاكساً » على السلع الذاهبة من المناطق الغربية إلى المنطقة الشرقية . وكان هذا الحصار أكثر إيذاءً للشرق أكثر مما هو للغرب ، ذلك لأن السوفيات كانوا بحاجة إلى فحم الكوك والفولاذ من المصدر الجاهز الوحيد في الغرب . فقد كانت ألمانيا الغربية قادرة على الوصول إلى اقتصاد غرب أوروبا المتنامي وكان يساعدها مشروع مارشال في وقت لم تتمتع فيه ألمانيا الشرقية بمزايا من هذا القبيل . وبدا وكأن الاقتصاد الألماني الشرقي قد توقف تقريباً في بداية عام ١٩٤٩ ، بينما كانت الأعجوبة الاقتصادية الألمانية الغربية قد بدأت . وعند رفع الحصار ظهر أنه كان بوسع الغرب إدامة الجسر الجوي لأمد غير محدود ، وأن استمرار الحصار كان يزيد من تضامن أهالي برلين الغربية وألمانيا الغربية مع الحلفاء الغربيين .

لقد أزال حصار برلين أية أوهام من عقول الحكومات الغربية حول الاتفاق مع الروس في ألمانيا . ولكنه كان بارزاً من نواحي أخرى أيضاً « فقد أظهرت أزمة برلين للمرة الأولى أن الأسلحة النووية قد جرت دراستها الجدية لأول مرة كإجراء أخير لإيقاف تقدم السوفيات . كما أدت بالولايات المتحدة إلى السير في اتجاه مضاد لخفض الميزانية الدفاعية[١٣] بعد الحرب . ومن ناحية

أخرى فقد أسرعت في العملية التي ظهرت من خلالها دولتان ألمانيتان منفصلتان .

وفي ١٢ أيار سنة ١٩٤٩ أقر مجلس رقابة الحلفاء خلال غياب المارشال سوكولوفسكي القانون الأساسي(*) لجمهورية ألمانيا الاتحادية . وفي ٢٣ أيار خرجت الجمهورية الاتحادية إلى حيز الوجود . لقد فكّر الغرب في إقامة دولة ألمانية غربية مستقلة في العام السابق وتوصل إلى استنتاج بأن الاتحاد السوفياتي جعل دولة ألمانيا غربية وألمانيا مقسمة أمرين لا محيد عنهما . وبعد أسبوع من الشروع في حصار برلين الكامل في ١ تموز سنة ١٩٤٨ سمح الحكام العسكريون الغربيون الثلاثة بعقد مؤتمر لمجلس تأسيسي لتدوين مسودة دستور ديمقراطي وإقامة دولة ألمانية غربية . وعند إقامة الجمهورية الاتحادية ، حلّ المجلس التأسيسي نفسه وأجريت انتخابات عامة . وفي ٧ أيلول سنة ١٩٤٩ أقسم أول أعضاء منتخبين انتخاباً حراً في ألمانيا منذ سنة ١٩٣٣ اليمين القانونية كأعضاء في برلمان الجمهورية الاتحادية وأصبح كونراد اديناور مستشاراً . وقد تولّى الغرب مسؤولية الحسم القانوني النهائي للوضع الألماني وإزالة آخر بقايا السيطرة الرباعية على كل ألمانيا .

وبعد مؤتمر الدول الأربع الكبرى في باريس والذي عقد بعد إنتهاء الحصار ، طالب السوفيات « بعودة إلى بوتسدام » وإيقاف المساعي الغربية لاقامة دولة ألمانية غربية لكن التنازلات التي طالب بها وزير الخارجية فشينسكي كانت كلها من جانب واحد . ورفض أن يتخذ أية خطوات لإلغاء الدولة الألمانية الشرقية التي كان الاتحاد السوفياتي يقوم بإنشائها في منطقته . وأخفق مؤتمر باريس وبقيت المسألة الألمانية على مائدة المؤتمر دون حلّ ومحفوفة بالأخطار المحتملة التي تهدد العالم . ولم يتمّ توقيع معاهدة صلح مع ألمانيا . غير أن الجانبين فيما يبدو توصّلا إلى تفاهم ضمني بأنهما سوف يقبلان الوضع

(*) إن القانون الأساسي يسيطر على سير أعمال الدولة الألمانية الغربية وهو مصمم بحيث يظل نافذ المفعول إلى أن يعاد توحيد ألمانيا ويحلّ محله دستور . ومن ناحية عملية فالقانون الأساسي هو بمثابة دستور في حدّ ذاته .

الراهن في أوروبا الوسطى .

وبعد افتتاح أول جلسة لبرلمان ألمانيا الغربية ببرهة وجيزة ولدت جمهورية ألمانيا الديمقراطية في ٧ تشرين الأول سنة ١٩٤٩ في المنطقة السوفياتية . وكان يسيطر على جمهورية ألمانيا الديمقراطية حزب الوحدة الاشتراكي الذي كان يسيطر عليه الشيوعيون . ورفض الاتحاد السوفياتي الاعتراف بوجود جمهورية ألمانيا الاتحادية كما رفض الغرب الاعتراف بألمانيا الشرقية . وفي ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٤٩ أعلن دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة ما يلي :

« لقد جاءت هذه الحكومة الجديدة (ألمانيا الديمقراطية) نتيجة إعلان سوفياتي . وأوجدها ما يسمى بمجلس الشعب الذي كان يفتقر لانتخابات شعبية حرة . وهذا الاجراء السوفياتي المتوقع منذ أمد طويل يجيء نقيضاً تاماً لجمهورية ألمانيا الاتحادية في بون والتي تتمتع بقاعدة دستورية شعبية قوية »[١٤] .

وبظهور دولتين ألمانيتين في سنة ١٩٤٩ اكتمل تقسيم ألمانيا . ولم يقتصر الشكل القانوني للدولتين الألمانيتين على الفصل بين شعب ذي جنسية وقومية واحدة بل كان يعني أيضاً إقامة حدود جديدة وفصم معظم الاتصالات . وأخذت ألمانيا الشرقية تحرس حدودها غير المحبوبة شعبياً والتي يبلغ طولها ٨٠٠ ميل وذلك بأسيجة الاسلاك الشائكة وأبراج المراقبة وحقول الألغام والدوريات المسلحة .

وتبادل الاتحاد السوفياتي والحلفاء الغربيون اللوم على إقامة الدولتين الألمانيتين وخرق اتفاقية بوتسدام . وكان باستطاعة كل طرف أن يعرض حججاً وقضية معقولة إلى حد كبير . ولكن الحقيقة كانت أن كلا الطرفين كان يساورهما قلق بالغ حول السياسات المستقبلية لألمانيا موحدة مستقلة حتى لو كانت ألمانيا « محايدة » لأن هذه الدولة كانت تسيطر على أواسط أوروبا مرة أخرى بمجرد ما تتمتع به من حجم كبير وإمكانات صناعية .

الفصل الخامس

الحرب الباردة تتجه شرقاً
« فقدان » الصين

كانت الصين قطراً ذا طابع خاص بالنسبة لامريكا . فقد كانت ذات ثقافة وحضارة عظيمة وكميات ضخمة من الطعام وجاذبية عظيمة . وحسب ما ورد في رواية « الأرض الطيبة » التي كتبتها بيرل بك في الثلاثينات من هذا القرن كان أهل الصين يتصفون بالنظافة والجدية في العمل واحترام الآخرين والحياة الطاهرة المتقشفة والبشاشة . وقد أعجب الامريكيون بجميع هذه الفضائل . وحاولت أمريكا ولاسباب تتعلق بمصالحها الاقتصادية ، والحق يقال ، أن تحول دون تفتيت الصين إلى مناطق نفوذ أوروبية عند نهاية القرن التاسع عشر . كما أرسلت الولايات المتحدة مبشرين إلى الصين (وقد أصبح الزعيم الصيني شانغ كاي تشك من اتباع الكنيسة المنهجية ـ الميثوديست ـ في الثلاثينات من هذا القرن) وأقامت مدارس هناك . ونشأت اسطورة ـ لم يكن ضرورياً دعمها بالحقائق ـ حول العلاقة الخاصة جداً بين الولايات المتحدة والصين . وساعدت أمريكا الصينيين وبالمقابل أحب الصينيون الامريكيين . وبعد حرب دعائية مكثفة أظهرت فيها الأفلام كيف اغتصب اليابانيون الصين ، وجنود البحرية الامريكيون يدافعون عن الصينيين والممرضات الصينيات يخدمن الطيارين الامريكيين ويقعن في غرامهم بالطبع ، كان فقدان الصين واستيلاء الشيوعية عليها مبعث صدمة شديدة للامريكيين .

وكما ورد في الفصول السابقة فقد كان اهتمام أمريكا في ذلك الوقت منصباً على أوروبا . وذلك لأن احتمال هجوم سوفياتي على أوروبا الغربية أو على الأقل استمرار الصراع على أطراف أوروبا في تركيا واليونان وإيران وأماكن أخرى ،

قد قلل من تقدير الدوائر الحكومية الامريكية لسرعة الأحداث في الصين . وحتى آذار سنة ١٩٤٧ أجاب دين اتشيسون على سبب عدم تلقي الصين مساعدات أمريكية ضخمة بقوله: « إن الحكومة الصينية في الوقت الحاضر ليست في الوضع الذي توجد فيه الحكومة اليونانية . إنها لا تقترب من الانهيار »[١] .

ولقد دخلت الصين القرن العشرين وهي في حالة مزمنة من الاضمحلال . فقد أذلتها الدول الأجنبية وأخفقت في توسيع رقعة الأرض الصالحة للزراعة لاعالة سكانها المتزايدين ، كما فشلت في أن تدفع باقتصادها إلى ثورة تجارية وصناعية وانهارت امبراطورية مانشو إثر ثورة كان الدافع المحرك لها الدكتور صن يات سين الوطني الجمهوري الاشتراكي وذلك سنة ١٩١١ . لكن هذه الثورة قد انحرفت على يد سادات وزعماء الحرب . ومنذ سنة ١٩١١ وحتى سنة ١٩٢٧ حاول صن ووريثه الجنرال شانغ كاي تشيك (بعد سنة ١٩٢٥) استعادة السلطة واعادة توحيد الصين المجزأة . وفي سنة ١٩٢١ م أسست مجموعة من الصينيين (بما فيهم ماوتسي تونغ) الحزب الشيوعي وذلك أثناء بحثها عن الحقيقة . وكان ذلك نتيجة الهام النجاح الروسي في الثورة وكذلك العقائدية الروسية . وبناء على نصيحة ستالين تعاون الحزب الشيوعي الصيني مع حزب الكومنتانغ إلى أن هاجم تشانغ كاي تشك الشيوعية سنة ١٩٢٧ ، وتلا ذلك حرب أهلية صينية استمرت من سنة ١٩٢٧ ولم يقطع استمراريتها سوى وحدة مؤقتة مهزوزة أثناء الهجوم الياباني على الصين منذ سنة ١٩٣٧ وحتى سنة ١٩٤٥ .

وبحلول سنة ١٩٣٩ كان ماو يسيطر على ثلاثين ألف ميل مربع في شمال الصين وأواسطها ويحكم مليونين من الناس . وبحلول سنة ١٩٤٥ أصبح يسيطر على أربعمائة ألف ميل مربع ويحكم مائة مليون ، ولديه جيش نظامي قوامه ٤٧٠ ألف جندي مع مليونين من رجال العصابات[٢] . أما تشيانغ كاي تشيك فكان يتمتع بمساعدة أمريكا . بل أن الاتحاد السوفياتي اعترف

بالكومنتانغ كحكومة شرعية للصين . وكان تشيانغ كاي تشيك يسيطر على المناطق الصناعية في الصين وعلى جيش نظامي عدده مليونان ونصف من الجنود ومليون ونصف من الميلشيا . وفي كانون الأول سنة ١٩٤٥ وصل الجنرال مارشال من أمريكا في محاولة للحيلولة دون تجدد الحرب الأهلية . لكن تشيانغ كان مصراً على احتلال منشوريا بعد أن غادرها السوفيات سنة ١٩٤٦ . وفي وقت مبكر سنة ١٩٤٤ أخذ الدبلوماسيون الامريكيون ينصحون بأن تعمل الحكومة الامريكية على إقامة حكومة إئتلافية في الصين وإقامة علاقات معقولة مع الشيوعيين الصينيين وبدا أن البديل كان صيناً شيوعية كاملة يدعمها الروس . وقليلون جداً من هؤلاء الامريكيين القديرين كانوا يرون أية فرصة لبقاء نظام تشيانغ المحطم الفاسد غير الشعبي والخاضع للاقطاعيين .

وحاولت كل من بريطانيا وأمريكا إبداء درجة معينة من « الحيادية » التي لا بد وأن تكونا قد ندمتا عليها فيما بعد ، بل وصلتا إلى حد حظر المساعدة العسكرية عن تشيانغ بين تموز سنة ١٩٤٦ وأيار سنة ١٩٤٧ في محاولة لإرغامه على قبول حل سياسي وسط . وعلّق عضو الكونغرس جون ف. كنيدي على ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٤٩ في إجتماع سياسي في مساشوستس بقوله : « لقد حصدت سياستنا في الصين الزوابع . فقد كان الاصرار المتواصل على منع المعونات إلا إذا شكّلت حكومة إئتلافية ضربة قاصمة للحكومة الوطنية . وكان دبلوماسيونا ومستشاروهم مهتمين بنقائص النظام السياسي في الصين بعد عشرين عاماً من الحرب لدرجة أنهم أغفلوا مصالحنا الهائلة في وجود صين شيوعية »[٣] ، ومع ذلك فقد قامت الولايات المتحدة خلال سنة ١٩٤٦ بنقل نصف مليون من جنود تشيانغ في مختلف أرجاء الصين ، وقامت بعمليات استطلاع جوي لصالحه وزودته بمعونات اقتصادية وعسكرية بلغت ٣٠٨٧ مليون دولار بين الفترة التي تمّ فيها النصر على اليابان سنة ١٩٤٥ وآذار سنة ١٩٤٩ . وهكذا فقد تدخلت الولايات المتحدة في الحرب الأهلية الصينية في نظر ماو واستمرت في تدخلها كما تدخلت قبل ثلاثين عاماً في الحرب الأهلية

الروسية . وبالتأكيد لم يكن لقلق أمريكا من التورط السوفياتي في الصين ما يبرره لأن ستالين سنة ١٩٤٥ كان يعتقد أن تشيانغ كاي تشيك سوف يكسب الحرب ، بل ونصح ماو بالفعل أن يسعى إلى تسوية مؤقتة مع تشيانغ وأثناء محادثة سنة ١٩٤٧ قال ستالين « نعترف أننا كنا مخطئين بالنسبة للصين »[٤] . (أنظر الفصل الرابع عشر) .

وفي شهر آذار سنة ١٩٤٧ سقطت عاصمة ينان الشيوعية التي تم إخلاؤها لكن ذلك كان نصراً أجوف : فأثناء سنة ١٩٤٦ كان التضخم قد بلغ ٧٠٠ ٪ وحال كبار الملاّكين في حكومة تشيانغ دون إعادة توزيع الأراضي مع أن ٨٠ ٪ من سكان الصين كانوا من الفلاحين ولم يمتلك أرضاً من هؤلاء سوى ٢٠ ٪ فقط . وخلال سنة ١٩٤٧ كان ٤٠٠ ألف من جيش تشيانغ قد قتلوا أو فرّوا من الخدمة . وفي تموز سنة ١٩٤٨ لم يكن جيش تشيانغ يتفوّق عددياً على الشيوعيين إلا بنسبة ٢ : ١ . وهذا التفوق العسكري لم يكن كافياً أبداً إذا ما أخذ المرء في الاعتبار المعنويات المتفوقة للشيوعيين وأساليبهم التعبوية الأفضل والتأييد الجماهيري الذي كان يبديه لهم الفلاحون في شمال الصين . يضاف إلى ذلك أنه بحلول حزيران سنة ١٩٤٨ كان جدول تكاليف المعيشة قد بلغ آلاف الأضعاف مما كان عليه في حزيران سنة ١٩٤٦[٥] .

وفي كانون الأول سنة ١٩٤٨ أوقفت أمريكا معونتها للصين . وفي تشرين أول من ذلك العام لخّص وزير الخارجية الامريكية مارشال التحليل الامريكي للأوضاع في الصين بقوله :

« إذا أريد تحقيق هدف تحطيم الشيوعيين الصينيين وجعلهم مجرد عامل مهمل في الصين في المستقبل القريب ، لا بد للحكومة الامريكية من أن تتولى بنفسها زمام الحكم في الصين وإدارة شؤونها الاقتصادية والعسكرية والحكومية . وهذا سوف يورط الولايات المتحدة في إلتزام مستمر سيكون من المستحيل عليهاعملياً أن تتنصل منه . وسيؤدي على الأرجح إلى نتائج خطيرة بجعل الصين ميداناً للصراع الدولي »[٦] .

وبحلول شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ سقطت مكدن عاصمة منشوريا بيد الشيوعيين وتوجه الجنرال تشوته الشيوعي إلى صوتشو على نهر اليانغسي وهو الحد الفاصل الرمزي بين شمال الصين وجنوبها . وبدأت معركة استغرقت ٦٥ يوماً في ٥ تشرين الثاني بين ٦٠٠ ألف جندي في كل جانب . وبحلول كانون الثاني ١٩٤٩ كان الجيش « الأبيض » برمته قد أبيد أو أصبح من بين الـ ٣٢٧ ألف أسير أو من بين الفارين . كما تم « تحرير » بيكين في كانون الثاني . وفي نيسان عبر مليون جندي شيوعي نهر اليانغسي على جبهة عرضها ٤٠٠ ميل . وبحلول شهر تشرين الأول كانت قوات تشيانغ كاي تشك تهرب متجهة نحو بورما أو عبر مضايق فرموزا التي يبلغ عرضها ١٤٠ ميلاً ميممة شطر تايوان . وفي أول تشرين الأول أعلن ماوتسي تونغ مولد جمهورية الصين الشعبية وخلال عامين اعترف العالم الاشتراكي بجمهورية الصين الشعبية وكذلك اعترفت بها بريطانيا وبورما . كما وقعت معاهدة مدتها ثلاثون سنة مع الاتحاد السوفياتي واحتلت « سقف العالم » في هضبة التبت . كما كانت تحارب قوات الامم المتحدة في كوريا .

وقد جاء مولد الصين « الحمراء » بسكانها الخمسمائة مليون (آنئذٍ) لإكمال الشعور الامريكي بالفشل المتواصل والذي كان قد بدأ « بفقدان » بولندا . وواجهت دول الغرب (والاتحاد السوفياتي) صيغة أسيوية جديدة من الشيوعية ـ بفلاحها الريفي ، وشيوعية جنود العصابات التي كانت نتاجاً لشعب الهان الملوّن وغير الصناعي ـ وهي تهديد يختلف عن الانتفاضات التي كان يقوم بها البروليتاريا في المدن الصناعية في العالم الغني الأبيض والتي تنبأ بها ماركس وستالين . وكان على أمريكا الآن أن ترقب نذر الثورة بين عوالم جنوب شرق آسيا ، والشرق الأوسط وافريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية . وهي عوالم فقيرة ملوّنة كانت تخضع للاستعمار . وقد قال الدكتور ت.ف. تسيانغ ممثل الصين في الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٨ قولاً جاء بمثابة نبوءة « أن مصير الشرق الأقصى برمته مرتبط بمصير الصين . لأن الشيوعيين الصينيين

سوف يمدّون يد المساعدة للشيوعيين في الهند الصينية والملايو وبورما والهند والشرق الأقصى بكامله . لقد أقمتم ضد هذا التيار سداً منيعاً في الغرب على شكل مساعدة مادية وامتد من اسكنديناڤيا إلى الخليج « الفارسي » . لكن هذا التيار سوف يندفع الآن في اتجاه آخر »[٧] .

الفصل السادس

كوريا ـ الحرب المحدودة

إذا كان تنفيذ مبدأ ترومان قد مني بالفشل في الصين وأضيف « ستار من الخيزران » إلى « الستار الحديدي » في أوروبا فإن الرئيس ترومان قد تجاوب بسرعة وتصميم عندما تعرض الغرب لتهديد جديد في آسيا في حزيران سنة ١٩٥٠ .

خلال الحرب الصينية اليابانية سنة ١٨٩٥ انتزع اليابانيون كوريا من سيطرة أسرة مانشو في الصين . واتفق الحلفاء في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٤٣ على منح كوريا الاستقلال التام فور تحريرها . وفي ١٢ آب سنة ١٩٤٥ دخلت القوات السوفياتية كوريا الشمالية ووصلت خط العرض / ٣٨ قبل أن استسلمت اليابان وبحلول ٢٨ آب كان جنوب كوريا قد وقع تحت الاحتلال الامريكي . ورفض السوفيات إجراء انتخابات ديمقراطية في منطقتهم وحولوا السلطة بالتدريج إلى كيم إيل سونغ الشيوعي . أما في الجنوب فقد أجريت انتخابات للمجلس الوطني تحت إشراف الأمم المتحدة في أيار سنة ١٩٤٨ وفاز بالرئاسة الدكتور سنغمان ري المعادي للشيوعية . ولذلك فإنه بانتهاء سنة ١٩٤٨ أصبح في كوريا نظامان متنافسان يدعي كل منهما السيادة على البلاد بأسرها ، وهما الجمهورية الشعبية الكورية الديمقراطية في الشمال وجمهورية كوريا في الجنوب . وانسحبت القوات الروسية من كوريا في كانون الأول سنة ١٩٤٨ وانسحب الامريكيون في حزيران سنة ١٩٤٩ وساعد الطرفان دولتيهما التابعتين ، فقدمت الولايات المتحدة ما قيمته ٤٦٦ مليون دولار من المعونات المدنية والعسكرية ، ولكنها لم تقدم دبابات أو مدفعية أو طائرات لكوريا الجنوبية التي يقطنها ٢١ مليون نسمة بينما أنشأ الكوريون الشماليون جيش

التحـرير الشعبـي لكوريا الشمالية وقوامـه تسعـون ألف جنـدي وجهّزوه بالدبابات وقوة جوّية مساندة . وهكذا فرغم أن سكان كوريا الشمالية البالغين تسعة ملايين نسمة كانوا أقل عدداً بكثير من سكان كوريا الجنـوبية ، إلا أن قواتهم المسلحة كانت أفضل جداً دون شك من جيش كوريا الجنوبية الذي لم يتجاوز عدده خمسة وستين ألف جندي .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠ حدّد دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة « النطاق الدفاعي » للولايات المتحدة في منطقة المحيط الهادي ولكنه لم يدخل كوريا الجنوبية ضمن هذا النطاق . ومـن عوامـل إخـلاء الامـريكيين لكوريا ، أوضاع الموازنة الامريكية كما كان بعض الرسميين الامريكيين اما يعتبرون أن أوروبا ستكون في الغالب « نقطة الوميض » أي مركز الصدام في المستقبل ، أو يفترضـون أن الصراع الامـريكي السوفياتـي سيشمـل العالـم بكامله . وفي ذلك الحين لم تكن كوريا منطقة بارزة في أي من الحالتين . غير أن هذا الغموض الظاهري من جانب أمريكا قد جعل موسكو تعتقد أن أمريكا قد تقبل بتوحيد قسري لكوريا تقوم به كوريا الشمالية . وكان السـوفيات قد سلحوا الشماليين لحرب هجومية . وعندمـا هاجمـت سبـع فرق مشـاة كورية شمالية مع فرقة مدرعة واحدة كوريا الجنوبية في ٢٥ حزيران سنة ١٩٥٠ فإنها استخدمت دبابات ت ٣٤ السوفياتية والمقاتلات السوفياتية من طراز ياك وكان لديهـا مستشـارون سوفيات . ويبـدو من المسـتحيل أن يكون الـكوريون الشماليون قد قاموا بالهجوم بناء على مبادرتهم الخاصة . كذلك فمن الواضح أن جمهورية الصين الشعبية التي أعلن قيامهـا حديثـاً كانـت على علـم بالهجـوم الوشيك . كما أن كوريا الجنوبية لا تبعد عن اليابان سوى مائة ميل والنفـوذ السوفياتي في تلك المنطقـة سيؤ دي إلى تشـجيع الشيوعيين اليابـانيين وإقـلاق السلطات اليابانية التي كانت تتفاوض آنذاك لعقد معاهدة دفاعية مع الولايات المتحدة .

وقد رأى ترومان في كوريا جزءاً من تهديد جديد بقوله « إن الهجوم على

كوريا يوضّح دون أي ريب أن الشيوعية قد تخطت الاعتماد على الوسائل التخريبية الهدّامة من أجل الاستيلاء على الدول المستقلة وستستخدم الغزو المسلح والحرب وسيلة لها »[١] . وقد استذكر ترومان قائلاً بعد ذلك « تذكرت بعض أمثلة سابقة مثل منشوريا وأثيوبيا والنمسا . وتذكرت كيف أن الديمقراطيات شجعت المعتدين على المضي قدماً في كل مرة أخفقت فيها في العمل . . . وإذا ما أتيح لهذا الأمر أن يمر دون مجابهة فإن ذلك سيعني حرباً عالمية ثالثة »[٢] . وأرسل الامريكيون مساعدات جوية وبحرية لكوريا الجنوبية وخلال أسبوع من بدء الغزو أرسل الجنرال ماك آرثر قوات برية من اليابان . كما اتخذ مجلس الأمن أيضاً إجراءات إذ أرسلت ست عشرة دولة أعضاء في الأمم المتحدة قوات إلى كوريا مع أن الولايات المتحدة لوحدها هي التي تحملت العبء الرئيسي للقتال . وكان الاتحاد السوفياتي قد تغيب عن مجلس الأمن منذ كانون الثاني سنة ١٩٥٠ والسبب الظاهري لذلك التغيب أن الصين الشيوعية لم تدع لاحتلال مقعدها في الأمم المتحدة . وربما أملت روسيا أيضاً في شلّ مجلس الأمن . وثبت أن غياب السوفيات كان خطأ كبيراً لأن الأمم المتحدة تدخلت في كوريا دون أن يعيق الفيتو السوفياتي تدخلها .

وسقطت سيول عاصمة كوريا الجنوبية في ٢٨ حزيران سنة ١٩٥٠ م . وحاولت القوات الامريكية الاحتفاظ بها لكن الدبابات المساندة لها لم تصل حتى السابع من تموز وهو التاريخ الذي عينّ فيه ماك آرثر قائداً لقوات الأمم المتحدة وقائداً عاماً للقوات الامريكية في الشرق الأقصى . وفي هذا الأثناء احتل الاسطول الامريكي السابع مواقع في مضائق تايوان في ٣ تموز « لأنه في هذه الظروف (الجديدة) سيكون احتلال القوات الشيوعية لفرموزا تهديداً مباشراً لأمن منطقة المحيط الهادىء وللقوات الامريكية التي تقوم بمهامها المشروعة والضرورية في تلك المنطقة »[٣] .

وفي العاشر من تموز قال اتشيسون أن القوات الامريكية وجدت في كوريا « فقط من أجل إعادة جمهورية كوريا الجنوبية إلى وضعها قبل الغزو

الـذي جاء من الشمال »[٤] . وخـلال الصيف أرغمـت القـوات الامريكية والكورية الجنوبية على التراجع نحو بوسان(Pusan) . وبحلول أوائـل أيلول كانت الولايات المتحدة قد منيت بثمانية آلاف إصابة . ومع أن خمسـين دولـة كانت قد وعدت بإرسال مساعدات إلا أنه لم تصل سوى قوات بريطانية من هونغ كونغ . وفي أول أيلول أذاع ترومان على العالم قائـلاً « نحـن لا نريد للقتال في كوريا أن يتسع نطاقه ليصبح حرباً عامة . ولن يتوسع نطاق القتال إلا إذا اجتذبت الامبريالية الشيوعية جيوشاً وحكومات أخرى للقتال إلى جانـب المعتدي ضد الامم المتحدة »[٥] . وفي ١٥ أيلول وعندما أصبح من المحتمـل إخلاء كوريا نظم ماك آرثر هجوماً برمائياً ذكياً قامت به فرقة من مشاة البحرية على انشون(Inchon) على بعد ٢٠٠ ميل وراء خطوط العدو وعشرين ميلاً فقط عن سيول وبسبب هذا الهجوم وعملية الانزال التي قام بها الكوريون الجنوبيون على يونغ دوك(Yongdok) على الساحل الشرقي ، تمكنت القوات المتحالفة من قطع خطوط الامداد الممتدة من الشمال إلى الجنوب والخاصة بالقوات الكورية الشمالية وانهارت قوة العدو . وتم الوصول إلى سيول في ٢١ أيلول . وبحلول نهاية ذلك الشهر كان مجموع خسائر الجيش الكوري الشمالي قد بلغ ٣٣٥ ألفاً وأصبح واضحاً أن القوة النارية الامريكية قد كسبت الجولة .

ورغب كل من ري ومـاك آرثـر الآن في توحيد كوريا . وفي ٧ تشرين الأول غيّـرت الولايات المتحدة والامم المتحدة أهدافها في كوريا وقررت « إقامة حكومة موحدة مستقلة وديمقراطية في دولة كوريا ذات السيادة »[٦] . وهكذا لـم تعد هذه الحرب حرب « إحتواء » بل محاولة لدحر الشيوعية إلى الوراء . وفي ٣ تشرين الأول تلقت الولايات المتحدة إنذاراً من شو أن لاي رئيس وزراء الصين عن طريق السفير الهندي جاء فيه « إذا ما عبر الامريكيون خط العرض الثامن والثلاثين فإن الصين ستضطر إلى التدخـل في كوريا» وكان صريحـاً في توكيده بالقول أن الكوريين الجنوبيين ليسوا مصدر مشكلة ولكن الدخول الامريكي إلى كوريا الشمالية سيقابـل بمقاومـة صينية[٧] . وفي ١٩ تشرين الأول تمّ

الاستيلاء على بيونغ يانغ (Pyong Yang) ولكن ٣٥٠ ألف جندي من جيش التحرير الصيني كانوا قد دخلوا كوريا بحلـول ١٦ تشرين الأول . وحـدث صدام رئيسي مع قوات الولايات المتحدة في ٢٥ تشرين الثاني في توكشون .

وفي سنة ١٩٦٠ فوّض سلاح الجو الامـريكي مؤسسـة رانـد الخاصـة باستقصاء الحقائق لدراسة دخول الصين الحرب . وتوصلت راند إلى الاستنتاج بأن الصين لم تتدخل بسبب ضغـط سوفياتـي ، ولكنهـا تدخلـت « بدوافـع عقلانية » . إذ افترضت بناء على بيانات قيادة ماك آرثـر انـه كان ينـوي غزو الصين . وعندما نشر التقرير أكّـد ماك آرثر أن هذه كانـت نيتـه وانهـا بقيت « طموحاً لم يتحقق »[٨] . ولكن الولايات المتحدة وقتئذٍ كانت تجادل قائلة على لسان دين رسك مساعد وزير الخارجية في ١٨ أيار سنة ١٩٥١ بأن « الصـين كانت حكومة استعمارية ومنشوكوسلافية على نطاق واسع »[٩] .

وبمجيء نهاية تشرين الثاني سنة ١٩٥٠ كان اندفاع ماك آرثر على نهر يالو « من أجل العودة إلى الوطن بحلول عيد الميلاد » قد تحطـم . وفي ٥ كانـون الأول كانت قوات الامم المتحدة قد تراجعت إلى جنوب خط عرض ٣٨ . وقرر ترومان وأتلي في واشنطن في شهر كانون الأول أن يتخليا عن هدفهما في توحيد كوريا . غير أن ماك آرثر كان يعتقد بضرورة توسيع نطاق الحرب إلى أن تصل إلى « الحرم المقدس » في منشوريا وذلك بقصف تلك المنطقة بالقنابل ، وانـه يجب حصار الساحل الصيني وقصفه أيضـاً وان على الـولايات المتحـدة دعـم عمليات « غزو تضليلية تقوم بها قوات تايوان ضد البر الصيني »[١٠] . ولكن ترومان لم يقبل ، وفي كانون الثاني سنة ١٩٥١ عبـرت موجـات جديدة من المتطوعين الصينيين نهر الهجين وسقطت سيول في ٣ تموز . وكان الجنود الصينيون يحملون مؤ ناً لستة أيام فقط وحاربوا خلال الثلوج وكانوا يعتمدون على كثرتهم العددية . وقابلتهم استراتيجية (مفرمـة اللحـم) التـي استخدمـت المدفعية والقصف الجوي وقنابل النابالم واستهدفت إيقاع خسائـر لا تطـاق بالقـوات الصينية . وفي شباط سنة ١٩٥١ ندّدت الامم المتحدة بالصين « الحمراء » على

انها دولة معتدية ، بينما طالبت الصين الولايات المتحدة بإخلاء كوريا وإبعاد الاسطول السابع من مضائق تايوان ، والحصول على مقعد في الأمم المتحدة ، وفي نيسان سنة ١٩٥١ كانت قوات الأمم المتحدة قد اجتازت خط عرض ٣٨ متجهة شمالاً ، وهنا وقع حادث ماك آرثر .

لقد انتقد ماك آرثر حرب ترومان « المحدودة » وطالب علناً بعمليات عسكرية ضد داخل الصين وسواحلها مستهدفاً بذلك دفع الصين نحو « خطر الانهيار العسكري الوشيك »[١١] وإزالتها كخطر على السلام في الشرق الأقصى « لمدة أجيال قادمة » . وفي ١١ نيسان سنة ١٩٥١ تم إعفاء ماك آرثر من منصبه في الوقت الذي بدأ فيه هجوم الربيع الصيني الجديد . وقتل اثنا عشر ألف جندي من جيش التحرير الشعبي الصيني في اليوم الأول من القتال . وأخذ تفوق قوة النار على الشجاعة الهوجاء يتّضح بصورة متزايدة ، وقدّرت خسائر الحلفاء الشيوعيين بأكثر من مليون إصابة في السنة الأولى من الحرب . واقترح الصينيون هدنة في حزيران سنة ١٩٥١ عن طريق السوفيات ولكن لم يتم توقيعها إلا بعد مرور عامين . وخلال هذه الفترة خسرت الأمم المتحدة ستين ألف جندي آخر . وكان أي توسيع للحرب ضد الصين نفسها سيؤدي إلى فقدان الولايات المتحدة بعضاً من حلفائها أو إلى المخاطرة بإثارة حرب عالمية ، أو « جلب السرور إلى قلب الكرملين » بتثبيت مزيد من القوات الامريكية البرّية والبحرية والجوية في الشرق الأقصى بينما كان السوفيات واقفين يتفرجون . وفي أيار سنة ١٩٥١ تقدم الجنرال عمر برادلي رئيس هيئة الأركان المشتركة بشهادة أمام الكونغرس جاء فيها « إن الصين الحمراء ليست أقوى دولة تحاول السيطرة على العالم . وبصراحة فإن هيئة الأركان المشتركة ترى أن هذه الاستراتيجية ستورطنا في حرب غير مناسبة وفي المكان غير الملائم والوقت غير المواتي والعدو غير الحقيقي »[١٢] . وفي ذلك التحقيق نفسه والذي قام به الكونغرس حول كوريا وإعفاء ماك آرثر من منصبه ، لخّص جورج مارشال وزير الدفاع معنى « الاحتواء » ومفهوم « الحرب المحدودة » رداً على اتهام ماك

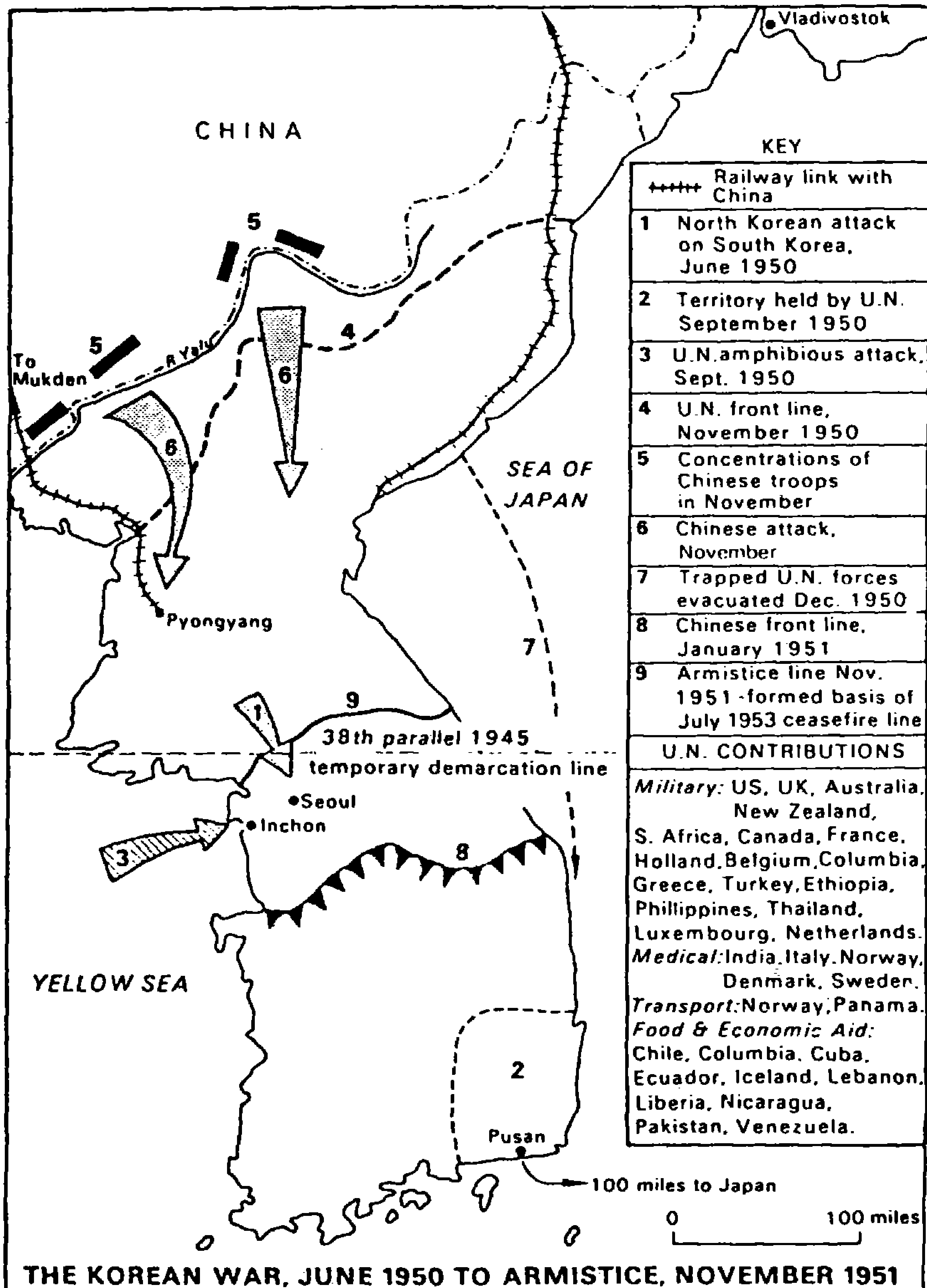
آرثر لإدارة ترومان بأنها « ليست لديها سياسة » فقال مارشال « أعتقد أنه لا يوجد حلّ سريع حاسم للصراع العالمي إلا اللجوء إلى حرب عالمية أخرى . وتكاليف هذه الحرب تتجاوز كل التقديرات . ولذلك فإن من سياستنا احتواء العدوان الشيوعي بأساليب مختلفة ومناطق مختلفة دون اللجوء الى حرب شاملة »[١٤] واستمرت الحرب الكورية طيلة عام ١٩٥٢ بينما قام ري باعلان الأحكام العسكرية في أيار وقبض على أعضاء المجلس الوطني وسار في طريق الدكتاتورية .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٣ ألمح ايزنهاور الرئيس الجديد للولايات المتحدة إلى إمكانية إطلاق شيانغ كاي تشيك ضد البر الصيني : هذا الأمر إضافة إلى تكاليف إبقاء مليون جندي صيني في كوريا مقابل قوة الأمم المتحدة البالغة ٧٦٨ ألف جندي أقنع الصين بدراسة السلام دراسة أكثر جدّية . وتوفي ستالين في ٥ آذار سنة ١٩٥٣ واتجهت أنظار الروس نحو « النزاع على خلافته » . ولذلك لم يكن هذا هو الوقت الملائم لمجابهة الولايات المتحدة . وفي أيار سنة ١٩٥٣ أرسلت أسلحة نووية بصورة مكشوفة إلى جزيرة أوكيناوا اليابانية التي تحتلها حامية أمريكية . وفي تموز سنة ١٩٥٣ قال ايزنهاور أن الولايات المتحدة « جعلت السلطات الشيوعية تفهم أنه في حالة غياب تقدم مرضي في محادثات الهدنة ، فإننا مصممون على التحرك الحازم ودون أي تردد نحو استخدام أسلحتنا واننا لن نكون مسؤ ولين بعدها عن خطر النشاطات العسكرية في شبه الجزيرة الكورية »[١٥] . وأخيراً تمّ توقيع هدنة في ٢٧ تموز سنة ١٩٥٣ وبقي الآن إحصاء الإصابات : فقد خسرت كوريا الجنوبية من القتلى مليوناً وثلاثمائة ألف عسكري ومليوناً من المدنيين . وخسرت الولايات المتحدة ١٤٢٠٠٠ والأمم المتحدة ١٧٠٠٠ (بما فيهم ٧٠٠٠ من مجموعة الامم البريطانية ـ الكومونولث) وفقدت جمهورية الصين الشعبية ٩٠٠٠٠٠ وكوريا الشمالية ٥٢٠٠٠٠ (وبالنسبة لكوريا على الأقل لم تكن هذه حرباً محدودة) .

ولم تتمخّض حرب كوريا عن نصر صريح واضح لأي من الطرفين. ومن وجهة نظر الولايات المتحدة فإنه أمكن إنقاذ كوريا الجنوبية وربما اليابان، ومني الاندفاع الشيوعي في آسيا بنكسة وارتفعت موازنة الدفاع الامريكية من ١٢ بليوناً إلى ستين بليوناً من الدولارات. وبذلك أجبرت الاتحاد السوفياتي على الدخول في سباق للتسلح لم يكن قادراً على نفقاته بسهولة. أما الصينيون فقد أصبحوا ميّالين بعد خسائرهم الباهظة إلى ممارسة قدر أكبر من الحذر حول المجابهة مع الولايات المتحدة، وكذلك أمكن إنقاذ الأمم المتحدة (أو نظرية الأمن الجماعي) من الضربة التي تلقتها عصبة الأمم في منشوريا سنة ١٩٣١. ومن ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة بتفوقها النووي ربما بالغت في التهديد السوفياتي وكان بإمكانها أن تستخدم على الأقل كامل ما لديها من الأسلحة النووية والاقتراب من حافة الحرب العالمية أكثر مما فعلت. وبالطبع لم يتم «تحرير» كوريا الشمالية.

أما بالنسبة للسوفيات فقد حاولوا اغتنام فرصة لكنهم لم يخسروا شيئاً يذكر بسبب ضياعها. فقد زادت الحرب كثيراً من تفاقم العداوة بين الصين وأمريكا، وربما رأى ستالين في ذلك بعض الفائدة لروسيا، إلا أن الصينيين كسبوا قدراً من الهيبة دون شك. لقد «أنقذوا» كوريا الشمالية من ماك آرثر، وأوقعوا خسائر كبيرة بقوات الأمم المتحدة بهجماتهم التي كانت تعتمد على «الأمواج البشرية»، وقطعوا جزءاً من الطريق في سبيل إقناع البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) بعدم توريط القوات الامريكية في البرّ الآسيوي الرئيسي مرة أخرى. واتحدت الصين ضد التهديد الأجنبي وتوسع جيش التحرير الشعبي الصيني واكتسبت الصين احترام الأحزاب الشيوعية الأجنبية وعطف الحكومات الاسيوية. لكن كوريا الجنوبية بقيت غير شيوعية وفقد ماو آخر أبنائه في الحرب وتحوّلت الأموال اللازمة لاعادة البناء في الصين إلى المجهود الحربي ودفع ثمن الامدادات العسكرية للسوفيات، ونددت الأمم المتحدة بالصين الشعبية كدولة معتدية وجعل حضور الاسطول السابع في مضايق تايوان

خارطة / ٧



THE KOREAN WAR, JUNE 1950 TO ARMISTICE, NOVEMBER 1951

من المستحيل الاستيلاء على تايوان بسهولة نسبية كما كان الحال عليه في أوائل الخمسينات . كما أن عداء أمريكا للصين أبقى الأخيرة معزولة تجارياً عن الغرب وتوابعه من الدول وخارج نطاق الأمم المتحدة لمدة اثنين وعشرين عاماً . كذلك فإن تلك لم تكن المرة الأخيرة التي كانت الصين تواجه فيها تهديداً ضمنياً أمريكياً بحرب نووية .

واستمرت محادثات الهدنة في بانمونجونغ حتى السبعينات دون توقيع معاهدة سلام . وأُقصي ري عن الحكم في إنقلاب عسكري سنة ١٩٦٠ ، ولكن مجمل الناتج القومي لكوريا الجنوبية أصبح أكثر بثلاثة أضعاف من مجمل الناتج القومي لكوريا الشمالية ، سنة ١٩٧١ كما تضاعف الدخل الفردي في كوريا الجنوبية بين سنة ١٩٦٢ ـ سنة ١٩٧١ ، وبدأت محادثات توحيد شطري كوريا وانهارت بين سنة ١٩٧٢ و١٩٧٣ ، فقد فضلت كوريا الجنوبية الاعتماد على ازدهارها المتزايد وعلى القوات الامريكية التي كانت لا تزال موجودة فيها في دفاعها ضد العدوان الشيوعي .

وكانت كوريا « بؤ رة العاصفة » في السياسة العالمية لمدة ثلاث سنوات في بداية الخمسينات بينما أعادت الولايات المتحدة وأوروبا تسليح نفسها وأخذت تفكر هل سيغامر الروس بغزو ألمانيا الغربية من أجل إعادة توحيد ذلك البلد أيضاً ؟ وكما أن حصار برلين رسم خطاً فاصلاً في الحرب الباردة في أوروبا ، فإن الحرب الكورية بدأت أيضاً في رسم خط فاصل في الحرب الباردة في آسيا . واستمرت العاصفة في أوائل الخمسينات في الشرق الأقصى بينما كانت بريطانيا متورطة في الملايو والولايات المتحدة مصممة على إحتواء الصين فشرعت لذلك في تدخلها في جنوب شرق آسيا .

الفصل السابع

التمرد في الشرق الأقصى
الملايو والفيليبين والهند الصينية الفرنسية

حتى شهر كانون الأول سنة ١٩٤١ فإن جميع جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا ـ باستثناء تايلند ـ والتي تحوي ٢٥ ٪ من سكان العالم كانت تحت سيطرة الدول الاستعمارية الغربية . وفي سنة ١٩٤٧ منحت بريطانيا شبه المفلسة الاستقلال للهند وباكستان وبورما وسيلان . وفي سنة ١٩٥٠ منح الهولنديون أندونيسيا استقلالها وذلك تحت ضغط من الزعيم الوطني سوكارنو (الذي قامت قواته بهزيمة الحزب الشيوعي الأندونيسي أثناء الحركة المضادة للهولنديين) وبتأييد من الولايات المتحدة ومجلس الأمن . إلا أنه في الملايو البريطانية كانت الشيوعية أبرز بكثير من القومية المعادية للاستعمار .

وكانت الملايو مجتمعاً خليطاً من عدة أقوام فقد جاءت أعداد كبيرة من الصينيين إلى الملايو في العشرينات من هذا القرن للعمل في مزارع المطاط الغنية ومناجم الصفيح . كما كانت هناك جالية هندية كبيرة الحجم . ولكن في ظل السيطرة البريطانية اعتبر الملايويون الذين كان عددهم يمثل أقل من نصف عدد السكان بقليل ، انهم هم رسمياً « أصحاب البلاد » وأعطوا لوحدهم حقوقاً خاصة في الأرض وأفضلية في الوظائف الحكومية . وقد نشأ الحزب الشيوعي الملايوي يكره الجالية الصينية ولم تجد الشيوعية أنصاراً يذكرون بين الملايويين والهنود . وخلال الحرب قبلت بريطانيا حزب الملايو الشيوعي كجزء من حركة المقاومة ضد اليابانيين وزودته بالأسلحة . وفي سنة ١٩٤٥ انسلخ حزب الملايو الشيوعي عن الثورة وكان من جملة أسباب ذلك أن شانغ كاي تشك الذي كان ناجحاً وقتها بدرجة معقولة ، ربما يوفر للبريطانيين بعض المساعدة

العسكرية ضد أية ثورة تقوم بها الجالية الصينية في الملايو . وتمّ تسريح أكثر من عشرة آلاف مقاتل من حرب العصابات وسلّموا أسلحتهم وانضموا لحركة الاتحادات النقابية المهنية . وفيما بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٨ قام الشيوعيون بتنظيم مظاهرات عنيفة بين الحين والآخر . ولكن في سنة ١٩٤٨ وربما بسبب نجاح الشيوعيين في الصين وفيتنام فإن حزب الملايو الشيوعي أعلن ثورة مكشوفة ضد بريطانيا .

وقد اعتزم شين بنغ زعيم حزب الملايو الشيوعي الذي كان قد زار ينان موطن الثورة الصينية في سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٤٦ أن يتبع تعاليم ماو في حرب ذات مراحل ثلاث وهي عصيان وحرب عصابات ضد المزارع المنتشرة ، ومناجم الصفيح والمواقع الحكومية وكان الهدف من هذه المرحلة إحداث تدهور اقتصادي وتوتر سياسي ، ثم إعادة توزيع الأراضي ونشر التعاليم السياسية في المناطق المحررة ، وأخيراً حرب تقليدية تستهدف الاستيلاء على الحكم . أما الثورة فقد كانت في معظمها عملية صينية وكانت تعتمد على الدعم الطوعي أو القسري من الخمسمائة ألف صيني الذين كانوا يكونون الجالية الصينية في الملايو . وأعلنت حالة الطوارىء من قبل بريطانيا في حزيران سنة ١٩٤٨ وألغيت رسمياً من قبل الملايو في تموز سنة ١٩٦٠ ، وان كانت قد انتهت بالفعل منذ سنة ١٩٥٤ ووعدت بريطانيا أن تقضي على الشيوعيين ومن ثم تمنح الاستقلال لاتحاد الملايو (الأمر الذي فعلته سنة ١٩٥٧) . وكان رد الفعل البريطاني على الأحداث سريعاً . وكان من الضروري أن لا يرغم أصحاب المزارع على ترك مزارعهم الواقعة في الأطراف . ووزعت رشاشات « ستن » على العمال في الأطيان الكبيرة وكذلك أجهزة الراديو . وقصفت طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني مخابىء ومعاقل الشيوعيين في الغابات كما تصورتها . وقامت بريطانيا بما قامت به أمريكا في فيتنام بعد ذلك بسنوات والمسمى بأسلوب « ابحث ودمر » فانطلقت جماعات من الجنود البريطانيين والملايوويين والجوركا ومعهم مقتفو آثار إلى الأدغال ليحولوا جنود العصابات إلى لاجئين .

وفي نيسان سنة ١٩٥٠ أسندت مكافحة التمرد إلى اللفتنانت جنرال السير هارولد بريجز وكانت مبادأة بريجز الرئيسية قراره بنقل الصينيين إلى « قرى جديدة » ومناطق استيطان وتحطيم الخلايا الشيوعية في هذه القرى وإقامة نظام للهويات الشخصية في داخلها وتسجيل بيع جميع الأغذية داخلها وتشكيل ميليشيا لمراقبة أمنها والدفاع عنها . وكان الهدف هو عزل جنود العصابات وتجويعهم ثم البحث عنهم في الأدغال وحسب اصطلاحات ماو « منع السمك من السباحة في بحر الشعب » وبحلول ربيع سنة ١٩٥٢ كان قد تم نقل ٤٠٠ ألف صيني إلى أربعمائة قرية جديدة محاطة بالأسلاك الشائكة ثم بذلت كافة الجهود لتوفير المدارس والعيادات الطبية والخدمات الأخرى في القرى وربط سكانها بالسيطرة الحكومية الدقيقة والخدمات الاجتماعية الحكومية والمستشارين الزراعيين الحكوميين . . . . الخ وأوكلت مهمة الدفاع عن هذه الجاليات أو الجماعات لمائتي ألف من الحرس الوطني معظمهم من الملايوويين ويقودهم ضباط بريطانيون .

وأصيب البريطانيون بمزيد من النكسات عندما اغتيل المندوب السامي الجديد السيد هنري غيرني على يد الارهابيين شمال كوالا لامبور واضطر بريجز إلى التقاعد بسبب اعتلال صحته . ولكن جاء مندوب سام جديد كان أيضاً مديراً للعمليات الحربية وهو السير جيرالد تمبلر البالغ الاقتدار . وكان دمج المسؤوليات تحت إشرافه أحد الأسباب الهامة في نجاح البريطانيين ضد الشيوعية . وأخذ تمبلر معه من بريطانيا خطة مفصلة سنة ١٩٥٢ من أجل نقل السلطة إلى الملايو وبذلك عزز مقاومة الشيوعية التي كانت سائدة بين الملايوويين كما شرع في توزيع استفتاءات سرّية في القرى والأدغال وقدم مكافآت للمعلومات التي تؤدي إلى قتل الارهابيين أو إلقاء القبض عليهم . وتعرض القرويون الذين كانوا يدعمون الارهابيين إلى عقوبات ثأرية جماعية انصبت على بيوتهم ومحاصيلهم كما كان يفرض عليهم منع التجول كعقاب . وأخذت الطائرات تسقط المناشير طالبة إلى الارهابيين الاستسلام مع ضمان

« سلامة المرور » لهم . كما أن الأضابير المفصلة عن رجال العصابات جعلت في مقدور الطائرات وهي تحوم فوق الأدغال أن تتقدم طالبة لبعض أفراد بأسمائهم أن يستسلموا . وفي الوقت ذاته كانت مبيدات الأعشاب تسقط على المحاصيل الغذائية والمسالك الخاصة بالشيوعيين بينما استمرت دوريات البحث عن الأشخاص واصطيادهم في التفتيش في الأدغال وعندما غادر تمبلر الملايو في سنة ١٩٥٤ كانت بعض المناطق قد أعلنت بيضاء (أي خالية من رجال العصابات) . وفي آب سنة ١٩٥٧ لم يبق من رجال العصابات سوى حوالي ١٥٠٠ مقاتل . وفي سنة ١٩٦٠ تمّ دحر تشين بنغ ورجاله البالغ عددهم حوالي خمسماية إلى حدود الملايو مع تايلند حيث كان لا يزال موجوداً سنة ١٩٧٥ . وبلغ عدد الإصابات بين المدنيين ٤٦٦٨ واستسلم ٢٧٠٢ شيوعي وأسر ١٢٨٧ وقتل ٩٥٢٠ خلال السنوات الاثنتي عشرة من حالة الطوارىء .

ويمكن استخلاص عدد من الدروس والمقارنات من نجاح البريطانيين ضد التمرّد الشيوعي . فقد عرضت الحكومة بإخلاص واضح الاستقلال (بعكس الفرنسيين سنة ١٩٤٦ في فيتنام) . وقامت الحكومة بحملة لاكتساب قلوب الناس وعقولهم كما تمّ تطبيق أساليب مكافحة التمرّد في الأدغال بصورة تنمّ عن الخبرة ، وكل هذه العوامل ضاعفت من فرص نجاح بريطانيا . ولكن يجب أن تتذكر أن ٤٠ ألف جندي بريطاني ومن جنود الكومونْولْثْ وحوالي ٧٠ ألف من الشرطة معظمهم من الملايوويين إضافة إلى ٢٠٠ ألف من الحرس الوطني المحلي ، قد استخدموا ضد عدد من الثوار لم يزد عن ٨ آلاف في أي وقت وهكذا حافظت بريطانيا على نسبة بين ١٠ : ١ و١٢ : ١ في صالحها . ولعل ثمة عاملاً آخر أهم من ذلك في نجاح البريطانيين وهو أن المتمرّدين الصينيين كان يسهل تمييزهم من ناحية عرقية عن معظم السكان . كما أن ابعاد الذين استولوا على الأرض كان سهلاً بسبب افتقارهم إلى الارتباط بالأرض التي كانوا قد أقاموا عليها ، وهو أمر يختلف عن ما حدث عندما أبعدت أمريكا الفلاحين الفيتناميين إلى « قرى أو ضياع صغيرة هادئة » خلال الستينات لأن

الفيتناميين كانوا قد فلحوا الأرض بصبر وصلّوا لاجدادهم على تلك الأرض التي استقرت عليها أسرهم منذ أجيال عديدة . كما أنه كان هناك بديل صيني لتشين بنغ وهو الاتحاد الصيني الملايووي . وقد أيدت الحكومة هذه الهيئة كل التأييد ، وأبدت الهيئة بدورها التعاون مع الملايو في تشكيل دولة جديدة متعددة الأجناس . وفي النهاية لا يسع المرء سوى الاعتراف بالحرمان النسبي للشيوعيين الملايوويين من المساعدة الخارجية ـ بخلاف الفيت منه في فيتنام الذين تلقوا المعونة من الصين الشيوعية من خلال حدّها الجنوبي . ومنذ سنة ١٩٤٩ لم يحصل الشيوعيون في الملايو إلا على قدر ضئيل من المساعدة الخارجية وكان حرمهم شبه الأمين ـ عبر حدود تايلند ـ بعيداً على المناطق الكثيفة السكان في الملايو بحيث أن اللجوء اليها كان يعني في الواقع التراجع والفشل .

وفي سنة ١٩٤٦ منحت الولايات المتحدة الاستقلال للفيلبين ولكن بعض المستشارين العسكريين مثل الجنرال لانسديل (الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للسفير الأمريكي في فيتنام) ظلّوا يقدمون مشورتهم حول القضاء على أية انتفاضة شيوعية محلية .

وبخلاف المتمرّدين الصينيين في الملايو فإن الهوكالاهاب أو الهوكس كانوا ينتمون إلى نفس المجموعة العرقية التي تنتمي إليها الحكومة التي هاجموها كما أن الهوكس كانوا على نقيض الملايوويين في أمر آخر : وهو انهم ثاروا ضد حكومة مستقلة قائمة من قبل وأخضعهم الجيش الفيليبيني وليس قوات دولة غربية . وكان لويس تاروك يقود الهوكس . وكانوا قد تمرّسوا بحرب العصابات ضد الغزاة اليابانيين . فامتشقوا السلاح عندما رفضت حكومة الفيلبين السماح لسبعة مرشحين من الهوك كانوا قد نجحوا في انتخابات المجلس النيابي سنة ١٩٤٦ باحتلال مقاعدهم وأحرز الهوكس مكاسب أولية . ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى الفساد والعجز المستشريين في الحكومة والجيش في الفيلبين بعد الحرب . ولكن تم سحقهم بمجيء سنة ١٩٥٤ . وقد رأى تاروك في الحركة جزءاً من ثورة شيوعية عالمية . ومن الواضح أنه حظي بتأييد كلامي من

حكومتي الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية . ولكن ثورة الهوك لم تكن تحصل على توجيه أو تأييد من دول خارجية .

وقد أخفقت الانتفاضة لعدد من الأسباب أهمها : انها كانت مقصورة على جزيرة لوزون الوسطى ، شمال مانيلا ، والتي كانت المنطقة الـوحيدة في الفيلبين التي كان النزاع الطبقي موجوداً فيها بوضوح . كذلك فقد لقي الهوكس في تشرين الأول سنة ١٩٥٠ نكسة ساحقة عندما ألقي القبض على جميع قادتهم السياسيين في إحدى الغارات على إحدى القيادات الشيوعية في مانيلا . ومن الأسباب الهامة المؤدية لهزيمة الهوك كانت إنجازات رامون ماغساي ساي الذي أصبح وزير الدفاع سنة ١٩٥٠ ورئيساً للجمهورية سنة ١٩٥٣ وقد تضافرت عدة أسباب للقضاء على حركة الهوك بحلول سنة ١٩٥٣ وهي نزاهة ماغساي ساي ، ووصوله إلى السلطـة من مركز مغمـور اجتماعياً واقتصـادياً ، وإيمانـه بالإصلاح الديمقراطي ، وأعمال فيلق التنمية الاقتصادية الذي أسسه في القضاء على سلسلة كاملة من المظالم الريفية ، ووعوده بإصلاح الأراضي ، يضاف إلى ذلك انتقال المبادأة العسكرية من أيدي الهوك بسبب القبض على قادتهم .

ولم يتم القضاء الكامل على الهوكس أو على حزب الشيوعيين الملايوويين ولكن كلا الحركتين اضمحلت وطواها شبه نسيان بحلول أواسط الخمسينات ولعلّ العامل المشترك الغالب في الثورتين كان إخفاقهما في السيطرة على الشعور الوطني وفي الإندماج مع الحركة القومية . فكان ثوار الملايو معزولـين نتيجـة عنصرهم أما ثوار الفيلبين فقد شعروا بالعزلة بسبب اقتصار الظـروف المواتية للثورة على لوزون الوسطى فقط ، وهكذا تبدو أوضاع كلا الجماعتين المتمرّدتين على نقيض تام مع أوضاع رجال عصابات الفيت منه التي قادها هوتشي منه في الهند الصينية الفرنسية .

إحتل الفرنسيون الهند الصينية (فيتنام ولاووس وكمبـوديا) بـين سنـة ١٨٦٣ وسنة ١٨٩٧ وحسب قول الرئيس روزفلت سنة ١٩٤٤ « فقد قامـت فرنسا بحلبها مدة مائة سنة . وان أهل الهند الصينية يستحقون شيئاً أفضل من

ذلك » . وفي سنة ١٩٣٠ أنشأ هوتشي منه حزب الشعب في الهند الصينية . ولكن فرنسا تمكّنت بسهولة من الإبقاء على حكمها « الأبيض » إلى أن جاء اليابانيون « الصفر » وحطموا قدرة فرنسا الظاهرية وذلك باحتلال البلاد بعد سقوط فرنسا في أوروبا سنة ١٩٤١ . وفي سنة ١٩٤١ أسس هوتشي منه عصابات الفيت منه بدعم من الحلفاء وذلك لمحاربة السيطرة اليابانية . ويفترض أنه كان يعتقد أن فرنسا بعد النصر سوف تقبل مبدأ استقلال الهند الصينية ضمن نطاق من نوع من « الكومونولث » الفرنسي . ولكن ديغول قال في مؤتمر برازافيل سنة ١٩٤٤ « يجب استبعاد حصول المستعمرات على الحكم الذاتي حتى ضمن المستقبل البعيد » .

وفي سنة ١٩٤٥ كانت فرنسا مصممة على إعادة هيبة قواتها المسلحة . فقد تقرر في بوتسدام (مع عدم وجود ممثل فرنسي) إنه عند تسليم اليابان يجب أن تحتل القوات الصينية الوطنية شمال الهند الصينية مؤقتاً وأن تحتل القوات البريطانية الجزء الجنوبي . وفي أيلول سنة ١٩٤٥ أعلن هوتشي منه استقلال جمهورية فيتنام الديمقراطية . ولكن بريطانيا التي ربما ساورها القلق على وضع أختها الامبراطورية الفرنسية سمحت للقوات الفرنسية بالدخول ثانية إلى جنوب فيتنام . وبوجود هذا العدد الكبير من القوات الأجنبية على أرض بلاده كان هوتشي منه مستعداً للتفاوض على نوع من الاستقلال . وفي سنة ١٩٤٦ بدا ممكناً أن تصبح فيتنام الشمالية مستقلة فوراً (مع تركّز القوات الفرنسية في نقاط استراتيجية لمدة خمس سنوات) ، وان تعقد استفتاءات في الجنوب من أجل تقرير آراء الشعب . غير أن الاستفتاءات لم تخرج إلى حيّز الوجود وأمرت فرنسا قوات الفيت منه بالخروج من هانوي وهايفونج في تشرين الثاني سنة ١٩٤٦ . ورفض الأمر الفرنسي فقصف الفرنسيون المدينتين موقعين فيهما ستة آلاف إصابة . وهكذا بدأت أول حرب في الهند الصينية .

وفي سنة ١٩٤٦ بدأ أربعون ألف من الفيت منه مدربون جزئياً ورديئو التسليح حملتهم ضد ٦٣ ألف من قوات « فرنسا الحرّة » المتمرّسة بالحرب ! وقد

كان التصور الفرنسي قائماً على إمكانية التوصل من خلال المفاوضات سنة ١٩٤٧ إلى إيجاد خمس دول شبه مستقلة (وهي : لاووس وكمبوديا وثلاثة أجزاء من فيتنام) تدخل الكومونولث الفرنسي أو الاتحاد الفرنسي . وكان رجال الأعمال الفرنسيون والاداريون الاستعماريون قد عقدوا العزم على التمسك بكنوز الأرز والمطاط في فيتنام الجنوبية من خلال اتخاذ ترتيبات لإقامة دويلات العوبة في يد الفرنسيين . فرفض هوتشي منه وبدأ الشمال ببرنامج شيوعي كامل قوامه محاولات من رجال العصابات للسيطرة على الريف وخنق المدن بتدمير المواصلات بين المدن ، وكذلك إثارة الشغب والدعاية ، ثم تحوّل مجموعات من رجال العصابات في القرى وتثقيف الفلاحين وإعادة توزيع الأراضي . وكان برنامجه نسخة طبق الأصل تقريباً عن استراتيجية ماو في شمال الصين .

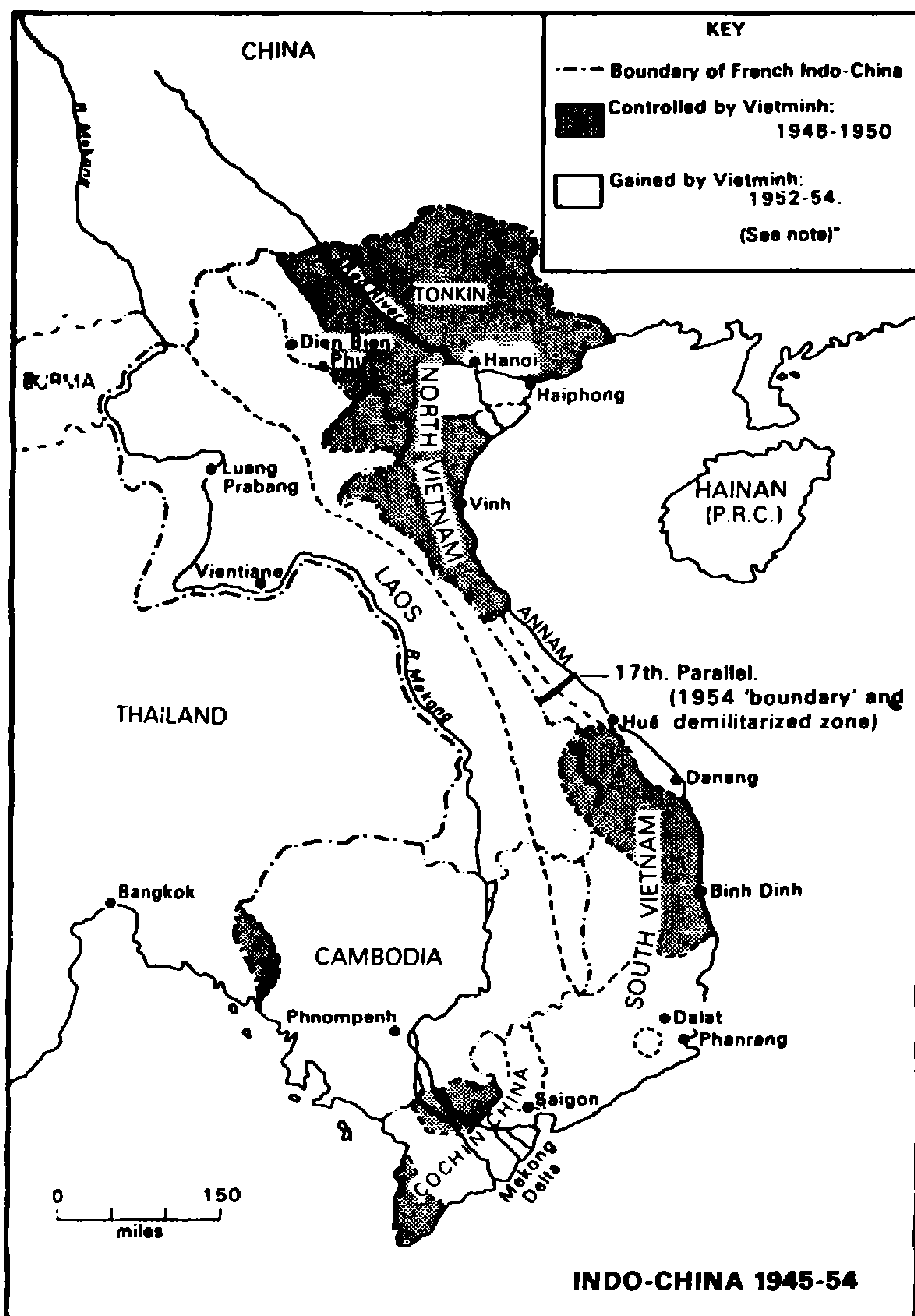
وفي سنة ١٩٤٩ في ضوء ظهور الصين الشيوعية ونظراً لإمكانية إرسال مساعدات صينية وتقديم دعم صيني لقوات الفيت منه ، اضطر الفرنسيون لإعطاء الاستقلال ضمن الاتحاد الفرنسي للاووس وكمبوديا وامبراطورية فيتنامية يحكمها آخر ملك فيتنامي وهو الامبراطور باوداي . وعندئذٍ جادل الفرنسيون قائلين للامريكيين أن حربهم الاستعمارية يجب النظر إليها الآن على أنها جزء من مؤامرة شيوعية عالمية ضد الدول الحرّة المستقلة وحلفائها الغربيين . وتقبل ترومان هذا القول ولا سيما بعد اندلاع نار الحرب الكورية في حزيران سنة ١٩٥٠ وقام بإرسال فريق عسكري استشاري أمريكي إلى فيتنام واعترفت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بفيتنام مستقلة . وكان من المحتم أن تعترف الصين الشعبية بفيتنام وهوتشي منه . وكذلك اعترف بها الاتحاد السوفياتي وكوريا الشمالية وعدد من دول شرق أوروبا خلال عام ١٩٥٠ م وبحلول سنة ١٩٥٤ كانت الولايات المتحدة تدفع تكاليف ٧٨ ٪ من القتال في حرب فيتنام .

في آذار سنة ١٩٥٤ كانت فرنسا قد فقدت السيطرة على معظم الريف الفيتنامي ، وان كان الجنوب حيث استقر الفرنسيون ونشروا المذهب

الكاثوليكي ، أكثر أماناً من الشمال الذي لم يكن الوجود الفرنسي فيه ممثلاً إلا بحاميات المدن . وكان الجنرال نافار آخر القادة الفرنسيين العسكريين يأمل في إستدراج الجنرال الفيتنامي فونجوين غياب إلى معركة تقليدية مكشوفة حيث افترض الفرنسيون أن بإمكان جيشهم الأكثر تطوراً ومدفعيتهم وسلاحهم الجوي المساند إحراز نصر باهر . وجاءت المواجهة أخيراً من آذار إلى أيار سنة ١٩٥٤ في ديان بيان فو وهي قاعدة فرنسية أقيمت لمنع الفيت منه من العبور إلى لاوس ومنها . خلال حصار امتد ٥٥ يوماً لتلك القاعدة استطاع الجنرال غياب إحضار الرجال والامدادات على الدرجات الهوائية عبر مسالك الأدغال ، واستخدام المدفعية الصينية العادية والمضادة للطائرات وقتل ٧٢٠٠ جندي فرنسي وأسر الأحد عشر ألفاً الباقين . وقد اقترح وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دالاس والاميرال رادفورد رئيس هيئة الأركان المشتركة على الرئيس ايزنهاور استخدام قاذفات القنابل الذرية من طراز ب ـ ٢٩ من قواعدها في الفيلبين لضرب قوات العصابات التي حاصرت ديان بيان فو فرفض ايزنهاور النصيحة وصوت البرلمان الفرنسي لصالح الخروج من فيتنام وأوكلت لمؤتمر جنيف الذي كان منعقداً لتسوية القضية الألمانية مهمة تحقيق وقف لاطلاق النار في فيتنام .

وانتهت الحرب في تموز سنة ١٩٥٤ وكلّفت فرنسا ما يقارب عشرة بلايين دولار والولايات المتحدة حوالي ١و١ بليون دولار . وخسر الفرنسيون ٩٢ ألف من جنودهم أثناء الحرب كان من بينهم ١٩ ألف فرنسي وكانت هناك أسباب عديدة لهزيمة الفرنسيين . فمن المهم أن نتذكر حجم حربهم بالمقارنة مع ما حدث في الملايو والفيلبين فقد كانت القوات الفرنسية سنة ١٩٥٤ تشمل جيشاً فيتنامياً « موالياً » قوامه ٢٠٠ ألف جندي نظامي و ٥٠ ألف ميليشيا وقوة لاووسية كمبودية من ٥٠ ألف رجل ، مع قوة حملة فرنسية تعدادها ١٧٨ ألفاً وفي سنة ١٩٥٤ كان الفرنسيون يواجهون ١٠٠ ألف جندي نظامي من الفيت منه وقوات اقليمية شبه نظامية عددها خمسون ألفاً و ٢٢٥ ألفاً من رجال

خارطة / ٨

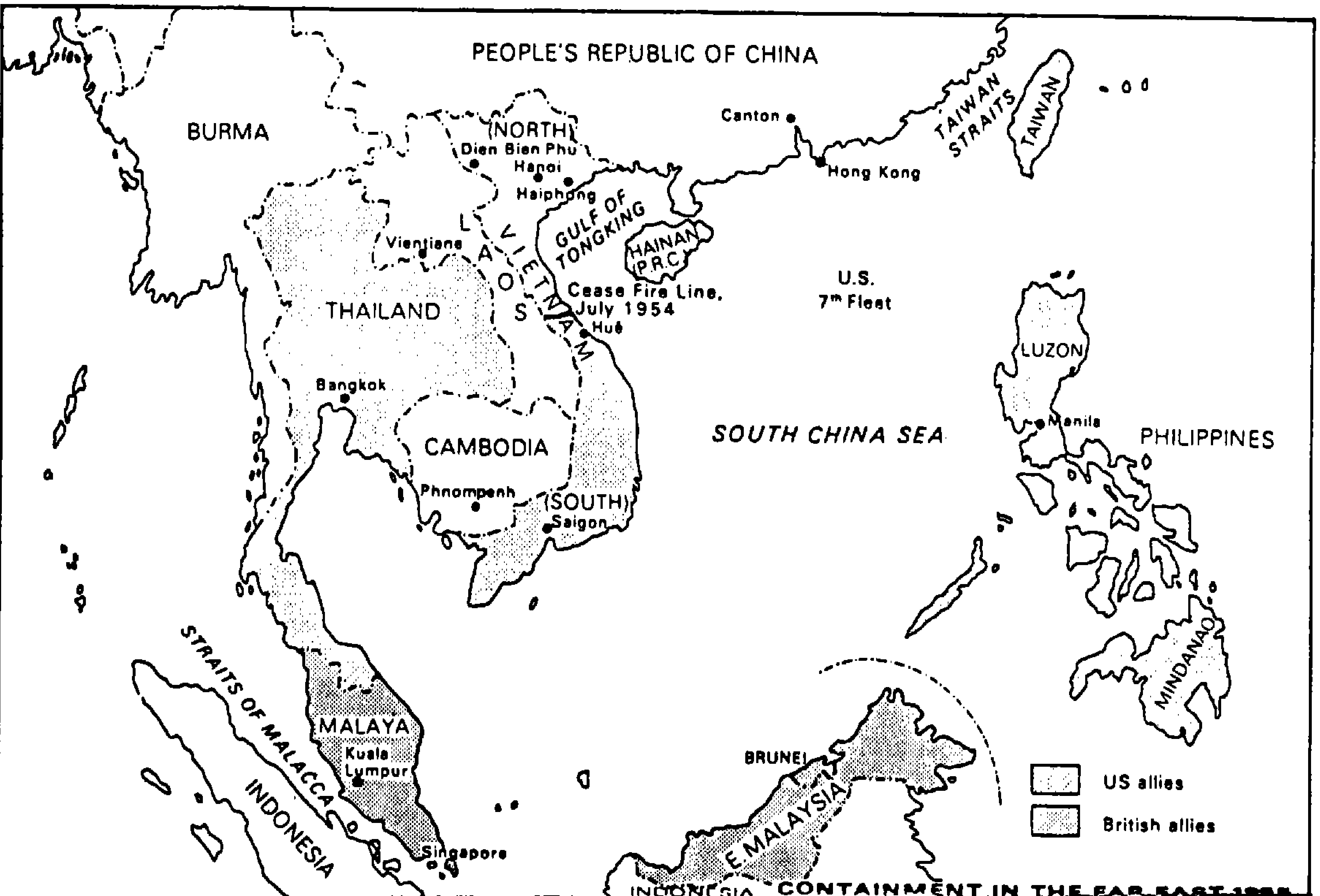


Areas of control varied from complete 'liberated zones' to countryside in Vietminh control by night and militarily contested during daylight hours.
It must also be noted that Vietminh 'control' of territory could be misleading – the majority of the Vietnamese population who lived in the Red River valley, Kekong Delta, and city areas were in government areas.

العصابات وكان الـ ٨٠٠٠ ثائر في الملايو والـ ١٥ ألف ثائر في الفيليبين يمثلون مشكلات أكثر مرونة وقوات أصغر بكثير من قوات ثوار الفيت منه بحيث كان ممكناً تحقيق تفوق عددي على ثوار الملايو والفيلبين يصل إلى نسبة ١٠ : ١[٢] ومما لا شك فيه أيضاً أن هوتشي منه أكثر المحاربين نشاطاً ضد الغزاة اليابانيين والمستعمرين الفرنسيين قد سيطر على المشاعر الوطنية لمعظم الشعب الفيتنامي واعترف ايزنهاور في مذكراته بقوله « لم أتحدث مع أي شخص خبير بشؤ ون الهند الصينية أو أراسله إلا ووافقني على أنه لو أجريت انتخابات سنة ١٩٥٦ فإن ٨٠ ٪ من الناخبين كانوا سيصوتون إلى جانب هوتشي منه الشيوعي »[٣] .

ولم يكن الشيوعيون الفيتناميون منعزلين في مناطق محدودة بل كانت قوات عصاباتهم تهدد الفرنسيين حتى في دلتا الميكونغ في الطرف الجنوبي من فيتنام . وكانوا يتمتعون بقيادة هوتشي منه الممتازة ، مخلصين لهدفهم ويتمتعون بدعم مالي سوفياتي ودعم تسليحي من الصين الشعبية . وقد استخف أعداؤهم الفرنسيون بقوتهم وتصميمهم . كما كان هؤلاء الأعداء الفرنسيون يفتقرون إلى التدريب الكافي ضد حرب العصابات ، ولم يكونوا متأكدين من الحلّ السياسي في الهند الصينية . وتعاقب على إدارة العمليات العسكرية ثمانية جنرالات فرنسيين أو أكثر خلال سنوات الحرب . كما كانت فرنسا نفسها بحاجة إلى إعادة بناء اقتصادي بعد الحرب الفيتنامية واضطرت لتخفيض قيمة (القرش) الفيتنامي ، وعانى سكان فرنسا من فقدان الوحدة حول المجهود الحربي إذ كان اليساريون الفرنسيون يرغبون في خروج فرنسا من فيتنام بينما كان السياسيون مترددين . ولم يكن الجندي الفرنسي يعرف بالضبط لماذا يحارب . ومع ذلك فلم يفقد الفرنسيون الهند الصينية في باريس بل خسروها في « قلوب وعقول » ٨٠ ٪ من الشعب الفيتنامي .

غير أن هوتشي منه لم يحرز انتصاراً كاملاً . وقال في سنة ١٩٥٤ عن الفيتناميين الذين أرادوا الاستمرار في القتال « بأنهم يرون الفرنسيين ولكنهم لا يرون الامريكيين »[٤] . ولم يرغب أي من السوفييت أو الصين الممثلين في


PEOPLE'S REPUBLIC OF CHINA
BURMA
NORTH
Dien Bien Phu
Hanoi
Haiphong
Canton
Hong Kong
TAIWAN STRAITS
TAIWAN
GULF OF TONGKING
HAINAN P.R.C.
Vientiane
LAOS
VIETNAM
Cease Fire Line, July 1954
Hué
U.S.
7th Fleet
THAILAND
Bangkok
CAMBODIA
Phnompenh
SOUTH
Saigon
SOUTH CHINA SEA
LUZON
Manila
PHILIPPINES
MINDANAO
MALAYA
Kuala Lumpur
Singapore
STRAITS OF MALACCA
INDONESIA
BRUNEI
E.MALAYSIA
US allies
British allies
CONTAINMENT IN THE FAR EAST

جنيف بالضغط الشديد على الامريكيين مثل دلاس الشديد العداوة للشيوعية . وقد ألقى دلاس خطابه عن « الرد الشامل » (أنظر الفصلين ٨ و ١١) في كانون الثاني سنة ١٩٥٤ م . فشعر مالنكوف بالقلق وفضل وضع الأسلحة الروسية في أوروبا بدلاً من أعطائها لهوتشي منه في آسيا . وأقنع مالنكوف وماوهوتشي منه بالتخلي عن ٢٠ ٪ تقريباً من فيتنام التي كان يسيطر عليها وأن يقبل بتقسيم مؤقت حده خط العرض / ١٧ وذلك قبل الانتخابات العامة التي كانت ستجري سنة ١٩٥٦ . وكانت فرنسا قد منحت الاستقلال لفيتنام الجنوبية وبذلك كان حقها في توقيع هذا البند من التسوية حقاً مشكوكاً فيه ومع ذلك وقعت على التسوية . أما فيتنام الجنوبية نفسها فرفضت التوقيع كما رفضت الولايات المتحدة التي ضغطت على الفرنسيين ليرغموا الامبراطور باوداي على قبول الارستقراطي الكاثوليكي نغو دين ديم رئيساً للوزراء . وبدأت أمريكا تزود بالمشورة والسلاح منذ سنة ١٩٥٥ جمهورية فيتنام الجديدة التي كان يقودها ديم (ومن المهم أن نلاحظ أن الوطنيين غير الشيوعيين في فيتنام - مثل الكاثوليك والبوذيين الديمقراطيين - لم يتحدوا قبل سنة ١٩٥٤ لتشكيل بديل فعّال لشيوعية هوتشي منه الوطنية بينما لم يعط الفرنسيون لنظام باوداي سلطة كافية ليجعلوه يظهر بمظهر « محترم » أمام الوطنيين) . وخلال سنة ١٩٥٦ قرر الفرنسيون قبول طلب ديم بإخراج جميع قواتهم من فيتنام بعد أن كانوا قد وعدوا بالإشراف على الانتخابات الفيتنامية . وقد فضلوا أن يتخلصوا من فيتنام لا سيما بعد أن بدأت الاضطرابات في شمال افريقيا الذي كان تابعاً لفرنسا آنئذٍ . وبذلك غادر الفرنسيون فيتنام قبل ثلاثة أشهر من الموعد المقترح للانتخابات . وأرسل ايزنهاور رسالة لديم « تلتزم » فيها الولايات المتحدة بتأييد فيتنام الجنوبية . وفي أيلول سنة ١٩٥٤ قام دلاس بتنظيم حلف جنوب شرق آسيا وذلك لتحقيق « الإستقرار » في منطقة الحرب الباردة في الشرق عندما قال :-

« إن خسارة فيتنام ولاووس في الغرب وكمبوديا في الجنوب الغربي كانت

ستؤدي إلى إستسلام الملايين للاستعباد الشيوعي ، ومن الناحية المادية فإن ذلك كان سيعني خسارة خامات الصفيح الثمينة وموارد الأرز والمطاط الهائلة . كما كان سيعني أن تايلند التي كانت تتمتع بوجود أرض عازلة بينها وبين الصين الحمراء ستتعرض حدودها الشرقية بكاملها للتسلل والهجوم . وإذا ما سقطت الهند الصينية فإن تايلند وكذلك بورما والملايو ستتعرض للتهديد مع مخاطر إضافية تواجه باكستان الشرقية وجنوب آسيا وجميع أندونيسيا »[٥] .

وخلال أربع سنوات قصار إضطر الامريكيون للتصرف وفق مبدأ لعبة « الدومينو » هذا عندما تدهور الوضع ثانية في فيتنام ـ ولم ينجح مؤتمر جنيف في « تسوية » مشكلة جنوب شرق آسيا أكثر من نجاحه في حلّ قضية الانتخابات الألمانية أو التوصل إلى درجة مرضية من التقارب مع روسيا بعد وفاة ستالين .

الفصل الثامن

الحرب الباردة في اواسط الخمسينات

بدأت سنة ١٩٥٣ بمفارقة . فمن ناحية ، توفي ستالين في ٥ آذار سنة ١٩٥٣ وكان يتحمل قسطاً كبيراً من مسؤ ولية الحرب الباردة وترك وراه قيادة جماعية في الاتحاد السوفياتي بدا وكأنها ملتزمة بقسط من السياسة التحررية سواء في الداخل أو الخارج . ومن ناحية اخرى ، فقد تسلم زمام الامور في الولايات المتحدة رئيس جمهورية ووزير خارجية جديدان بعد حملة انتخابات اتهمت فيها الادارة السابقة بانها كانت « لينة متساهلة مع الشيوعية » .

وكان ستالين موضع خشية من الغرب لكنه كان كذلك ايضاً في الاتحاد السوفياتي. ومنذ انتهاء الحرب لجأ الى اسلوب « التطهير » لتخليص الاتحاد السوفياتي من أي نفوذ غربي ومن أي اعداء محتملين لنظام حكمه . وقبل موت ستالين بأشهر قليلة كانت ثمة حركة تطهير جارية ولكنها اوقفت بعد موته عندما أعلن بيريا رئيس الشرطة السرية السوفياتية في اوائل نيسان أن سبب التطهير وهي « مؤ امرة الطبيب » ، كانت محض اختلاق . وقد خشيت القيادة الجماعية في الاتحاد السوفياتي أن يحل ستالين جديد محل القديم وبذلك قد لا ينجو منه احد منهم . لذلك شرعت في هدم بنيان جهاز الارهاب السوفياتي بالتدريج . وفي ٢٨ آذار اعلن عفو عن بعض فئات المسجونين في شبكة السجون السوفياتية الضخمة وفي تموز وبعد ازاحة بيريا من السلطة « واعدامه » اتخذت اجراءات لتقليص مكانة الشرطة السرية وسلطاتها .

وكان لوفاة ستالين اثر كبير خارج الاتحاد السوفياتي ايضاً ففي نهاية ايار انهى الاتحاد السوفياتي لجنة الرقابة في المانيا واستمر يمارس السلطة في المانيا الشرقية من خلال مندوب سام . وجاءت هذه الخطوة في احلال السيطرة

السياسية محل السيطرة العسكرية بمثابة تغيير واضح في طراز السياسة السوفياتية تجاه اوروبا الشرقية ولكنها لم تكن تبدلاً في جوهر تلك السياسة بالضرورة . وتم القضاء بسرعة ودون رحمة على الانتفاضة الالمانية الشرقية في حزيران (وكانت احتجاجاً على السيطرة السوفياتية وتخفيض الاجور) ، وذلك على يد القوات السوفياتية . الا أن تعامل الاتحاد السوفياتي مع الدول التابعة له أصبح اكثر ليناً بعد الاحداث . فقد توقف عن اخذ التعويضات من المانيا الشرقية بعد سنة ١٩٥٣ واعطيت للدول الاخرى التابعة حرية اكبر في تحديد اولوياتها الاقتصادية وأطلق سراح عدد من الشيوعيين من اوروبا الشرقية مثل جومولكا في بولنداوغيرو في المجر ، وكانوا قد عارضوا التسلط السوفياتي .

وبالنسبة للغرب ، بدا وكأنه لم يكن من المصادفات أن تبع موت ستالين استئناف مفاوضات الهدنة في كوريا وأدى ذلك الى دخول هذه الهدنة حيز التنفيذ في ٢٧ تموز . وذهبت خطوات تخفيف حدة التوتر الى مدى ابعد فأعاد الاتحاد السوفياتي العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ويوغسلافيا واليونان . وسحب ادعاءاته ومطالباته بمقاطعات قارص واردهان وارتقين في تركيا . وعرض تطبيع العلاقات مع تركيا وايران وتغيرت الدعاية السوفياتية التي اخذت تفقد قدراً من حدتها ولا سيما تجاه برلين وان بقيت الولايات المتحدة والمانيا الغربية موضع تنديد متكرر .

وقد ظهرت البوادر وكأنها توحي بالامل بالنسبة لكثيرين في الغرب . حتى أن النزاع على السلطة في القيادة السوفياتية بدا مدعاة للامل لان رئيس الوزراء السوفياتي الجديد مالنكوف كان يفضل مزيداً من الانفاق الحكومي على الصناعة الخفيفة التي تنتج سلعاً استهلاكية وذلك على حساب الصناعة الثقيلة التي تنتج اسلحة . والى حد ما يمكن اعتبار هذا التغير في مجال تركيز السياسة السوفياتية نتيجة لازدياد الشعور السوفياتي بالاحتفاظ بموقع القوة ، فقد كان الجيش الاحمر يسيطر سيطرة كاملة على الدول التابعة في اوروبا الشرقية ، وازالت الهدنة الكورية وضعاً كان يكمن فيه خطر شديد على الاتحاد

السوفياتي . وفي ٨ آب سنة ١٩٥٣ كان باستطاعة مالنكوف الاعلان عن ان الاتحاد السوفياتي يمتلك القنبلة الهيدروجينية . ولـم يعـد الاتحـاد السوفياتـي متخلفاً جداً عسكرياً عن الولايات المتحدة ولذلك لم يعـد بحاجـة لشعـوره بالتعرض للخطر امام التفوق النووي الامريكي .

وفي ذات الوقت وجه السناتور الامريكي مكارثـي اتهامـات تفتقـر الى الادلة عن وجود شيوعية مستحكمة في وزارة الخارجية الامـريكية ، وبـذلك ساعد في ايجاد خوف من « وجود شيوعيين تحت السرير » . واسهمت كل من الحرب الكورية والتطوير السوفياتي المبكر للاسلحة النووية في ايجاد رأي عام وحكومة لم تكن راغبة في الظهور بمظهر المساير أو المتساهل . وورثـت ادارة ايزنهاور من سابقتها تخفيضاً في الانفاق العسكري لم تستطع فعل شيء من اجل تغييره . ولكن هذا لم يخفف من المجابهة العسكرية في الحرب الباردة بل على العكس . ففي ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٥٣ قبل ايزنهاور الاقتراحات الخاصة بالاستراتيجية والتي تقدم بها الاميرال رادفورد رئيس هيئة الاركان الامـريكية المشتركة . واقترحت خطة رادفورد أن تقيم الولايات المتحدة دفاعها ـ والدفاع عن حلفائها على اساس الالتزام باستخدام الاسلحة النووية . وقـد ارغمـت عوامل اقتصادية الولايات المتحدة على قبول تخفيضات في موازنة الدفاع لكنها كانت تخفيضات في القوات التقليدية وليس النووية . وكان معنى هذه السياسة الامريكية الدفاعية الجديدة أن لا تعود الولايات المتحدة قادرة على الاحتفـاظ بقوة نووية ضاربة فعالة وخوض حروب تقليدية كبيرة كما حدث في كوريا ، وان لا تشن مزيداً من « الحروب الكورية » في المستقبل وذلك بأن تعتبر جميع الحروب ـ فيما عدا الحروب الصغيرة المحلية ـ حروباً نووية . كانت هذه هي نظرية « الرد الشامل » التي كان سيقابل بها اي عدوان شيوعي ـ سوفياتي فيما يفترض ـ في اي مكان في العالم برد نووي امريكي شامل تختار الولايات المتحدة هدفه ، واعتمدت هذه الاستراتيجية على تفـوق نووي امـريكي مستمـر على الاتحاد السوفياتي . ولذلك كانت متخلفة عن الزمن منذ لحظة اعلانها تقريباً .

كما ارتكزت ايضاً على استطاعة حلفاء امريكا في اوروبا تجنيد قوات تقليدية كافية لايقاف اي هجوم سوفياتي . غير أن وفاة ستالين وانتهاء الحرب الكورية كان معناهما أن الاوروبيين لم يعودوا يرون حاجة لتجنيد وتجهيز الفرق العسكرية الخمسين التي طلبتها منهم الولايات المتحدة . وادرك كل من ايزنهاور ووزير الخارجية جون فوستر دلاس حدود استراتيجية « الرد الشامل » وفي نيسان سنة ١٩٥٤ قام دلاس بتعديل هذه السياسة عندما أعلن أن الولايات المتحدة « يجب أن لا تضع نفسها في موقف لا يكون فيه اي رد سوى الحرب الشاملة »[١] .

وكانت اعلانات الحكومة الامريكية عن سياستها الدفاعية الجديدة قد بدت متناقضة في عيون الاتحاد السوفياتي . ففي ٧ نيسان سنة ١٩٥٤ شرح ايزنهاور « نظرية الدومينو » ليبين كيف يمكن تورط الولايات المتحدة في الحرب في الهند الصينية ولماذا يجب عدم السماح لاول حجر دومينو بالسقوط . غير أن فرنسا لقيت هزيمة عسكرية كبرى في فيتنام خلال اشهر واضطرت بموجب شروط مؤتمر جنيف للانسحاب من الهند الصينية ووافقت الولايات المتحدة على ذلك مكرهة ، ومع أن الولايات المتحدة فكرت في استخدام الاسلحة النووية في هذه الحالة الا انها لم تستخدمها مع أن نظرية « الرد الشامل » أعطت انطباعاً بأنها قد تستخدم الاسلحة النووية .

بيد أن الولايات المتحدة كانت مصممة على منع حدوث شيء مشابه لذلك . ولهذا فقد سعت لتنظيم دفاع اكثر فعالية حول الكتلة الشيوعية . لقد كان حلف الاطلسي موجوداً من قبل . وفي ٨ ايلول سنة ١٩٥٤ تم توقيع اتفاق مانيلا لتوحيد الدول التي كانت معرضة لان تصبح « من احجار الدومينو المتساقطة » وتلك الدول كان لها مصالح في المنطقة » . وفي ٢ كانون الاول سنة ١٩٥٤ وقعت الولايات المتحدة معاهدة مع الصين الوطنية واعطت ضماناً نووياً للمارشال تشانغ كاي تشك . كما دعمت الولايات المتحدة بصورة فعالة اقامة تحالف عسكري في الشرق الاوسط . ونتيجة لذلك تأسس حلف بغداد رسمياً

في ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥ . وفي ايار سنة ١٩٥٥ اصبحت المانيا الغربية دولة ذات سيادة كاملة وعضوا في حلف شمال الاطلسي . ونتج عن سياسة دلاس تطويق الكتلة الشيوعية في اوروبا وآسيا بنظام التحالفات المتشابكة والاتفاقيات الدفاعية (انظر الخريطة) .

وكان الهدف من التحالفات التي انشئت حول حدود الاتحاد السوفياتي « احتواء » التوسع السوفياتي . وبالنسبة للغرب كانت ترمز الى موقف دفاعي ولكنها كانت تنذر بالسوء حتماً بالنسبة للسوفييت . وحاول الاتحاد السوفياتي كسر الطوق بأن ضغط على فرنسا والدول الغربية الاخرى دون جدوى لان تعارض اعادة تسليح المانيا الغربية ، وبأن حاول استغلال الاسس المتصدعة التي قام عليها حلف بغداد . ولكن الى جانب هذه السياسة ، قام الاتحاد السوفياتي بتوثيق ارتباط اتباعه به . وقبل أن يصبح دلاس وزيراً للخارجية ، كان قد اكد على ضعف قبضة الاتحاد السوفياتي على عقول وقلوب سكان اوروبا الشرقية كما قال أن بأمكان الغرب اذا صمم أن يرد الى الخلف النفوذ السوفياتي في اوروبا الشرقية . ولكن احداث سنتي ١٩٥٥ ـ و ١٩٥٦ اثبتت انه لم يكن في نية الروس السماح بحدوث شيء من هذا القبيل .

وكان النشاط السوفياتي في شرق اوروبا في سنتي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ مسؤ ولية السكرتير الاول الجديد للحزب الشيوعي السوفياتي وهو نيكيتا خروشوف ذلك الرجل الذي حل مكان مالنكوف سنة ١٩٥٥ كاقوى مرشح للفوز في الصراع المستمر على السلطة في الكرملين . وقام خروشوف بالاشتراك مع نيقولاى بولغانين الذي حل محل مالنكوف كرئيس للوزراء في شباط سنة ١٩٥٥ برحلات الى بيكين ودلهي ولندن وبلغراد في محاولة لكسر طوق العزلة السياسية للاتحاد السوفياتي . وبدأ الاتحاد السوفياتي بمفاوضات مع النمسا ادت في ٥ ايار سنة ١٩٥٥ الى توقيع معاهدة مع الدولة السوفياتية انسحبت بموجبها قوات الدول الكبرى الاربع المحتلة من النمسا واصبحت النمسا مستقلة ومحايدة . ولاول وهلة فانه يصعب تفسير المعاهدة النمساوية من وجهة نظر

سوفياتية . لقد كانت تخليا عن الارض لكنها عادت على الكرملين بفوائد ملموسة . فقد كان بالامكان استخدامها للدلالة على ان الاتحاد السوفياتي يمكن أن يكون مرناً ومعقولاً . وابعدت قوات الاحتلال البريطانية من المنطقة الجنوبية من النمسا حيث كانت هذه القوات محاذية ليوغوسلافيا والمجر . كما ارجعت الى الوراء الخط الامامي لحلف الاطلسي ، واظهرت انه لم تعد ثمة خطوط اتصال مستمرة بين ايطاليا والمانيا وهما حليفان في حلف الاطلسي (انظر الخريطة المقابلة ص ٢١ اعلاه) .

وبعد تحديد الاتصال الاقليمي الغربي مع يوغوسلافيا حاول خروشوف أن يزيل الجفاء الذي كان قد تولد بين بلغراد وموسكو منذ سنة ١٩٤٨ . وكانت يوغوسلافيا هي البلد الوحيد من بين الاقطار التي احتلها النازيون في الحرب العالمية الثانية ، الذي تمكن من تحرير نفسه بنفسه من الحكم النازي . ولم يكن المارشال تيتو زعيم يوغسلافيا الشيوعي ، مديناً بشيء يذكر لستالين ولم يكن مستعداً للسماح لبلاده أن تصبح مجرد ذيل للاتحاد السوفياتي . وبعد أن طرد تيتو من الكومنفورم في حزيران سنة ١٩٤٨ أعلن أن يوغوسلافيا محايدة في « الحرب الباردة » . وكان من مصلحة الغرب أن تبقى هكذا . وفصمت الروابط الاقتصادية بين يوغسلافيا واوروبا الشرقية ولذلك اضطرت يوغوسلافيا للتوجه نحو الغرب من أجل التجارة والمعونة . ولتحقيق ذلك كان على اليوغوسلافيين أن يعدلوا من مواقفهم العدائية الاولى ازاء الرأسماليين الغربيين وفي نفس الوقت أن يتوافقوا مع التعاليم الماركسية . واثناء حياة ستالين كان الحزب الشيوعي اليوغسلافي معرضاً لحملة دعائية تضاهي في شدتها وعدائها الحملات المشابهة الموجهة ضد الغرب . ووصمت الكتلة الصينية السوفياتية بلغراد بالانحراف وهو نوع من الهرطقة والزندقة ضد الماركسية اللينينية ، وجرت محاولات لقلب نظام حكم تيتو . ولم يتخذ اجراء عسكري سوفياتي ضد يوغوسلافيا في آخر الاربعينات لان ستالين كان يتوقع فيما يبدو من اتباعه في الحزب الشيوعي اليوغوسلافي أن يطيحوا بتيتو . اما بعد سنة ١٩٥٠ فقد اصبح

الاجراء العسكري ضد يوغوسلافيا اكثر خطراً اذ أعاد تيتو بناء جسوره مع الغرب وفي حزيران سنة ١٩٥١ م قدمت الدول الغربيه الكبرى الثلاث المتحالفة قرضاً ليوغوسلافيا قيمته خمسون مليون جنيه استرليني وذلك لشراء اسلحة واوضحت الدول الغربية انها لن تسمح بأرغام يوغوسلافيا على العودة الى نطاق النظام السوفياتي .

وكانت يوغوسلافيا مصدر احراج للاتحاد السوفياتي . فقد اعطت بلغراد مثالاً للدول التابعة للسوفيات في شرق اوروبا على بلد شيوعي وطني ومستقل عن موسكو . كما دحضت يوغوسلافيا ادعاءات الاتحاد السوفياتي أن دول شرق اوروبا كانت بحاجة الى حماية من الغرب لان الغرب لم يبد أي اهتمام بمهاجمة يوغوسلافيا بل انه قدم لها المساعدة ، وكان البلد الوحيد الذي خشيت يوغوسلافيا الهجوم منه هو الاتحاد السوفياتي . ولعل اكثر ما يحرج هو ان يوغوسلافيا اوضحت وجود طريق آخر للشيوعية . واذا لم يكن ممكناً غزو يوغوسلافيا والاطاحة بتيتو فان من الممكن على الاقل السعي لتلافي استقلال يوغوسلافيا كلياً عن موسكو . وفي ايار سنة ١٩٥٥ قام خروشوف وبولغانين بزيارة بلغراد لاجراء مصالحة مع تيتو لكن تيتو رفض العودة الى الكتلة السوفياتية . وجرى تطبيع العلاقات بين الدولتين . ولكن كان على خروشوف دفع الثمن بالاعتراف بأن الاتحاد السوفياتي كان على خطأ عند حدوث المخاصمة الاولى . وكان في وسع خروشوف الادعاء بوجود قدر من الوحدة في العالم الاشتراكي بعد رحلته الى بلغراد غير أن بعض دول اوروبا الشرقية كانت ما تزال تنظر الى القدوة اليوغوسلافية ، واهم من ذلك كان اعتراف خروشوف بخطأ الاتحاد السوفياتي ولم يفت تعلم هذا الدرس الدول الشيوعية الاخرى ولا سيما الصين ، لكن الدرس لم يذهب عبثاً بالنسبة للاتحاد السوفياتي ايضاً . فقبل الرحلة الى بلغراد كانت الزعامة السوفياتية قد اخرجت الى حيز الوجود حلف وارسو في ١٤ ايار وبذلك اوجدت سيطرة اقوى حتى من قبل على حلفائها في شرق اوروبا .

وفي سنة ١٩٥٥ شن الاتحاد السوفياتي « هجوماً » سلمياً كانت تحفته الرائعة مؤتمر قمة في جنيف في تموز . وقد احدثت المعاهدة النمساوية والتقارب مع بلغراد انطباعاً جيداً في الغرب . ولكن الامريكيين ارادوا اختبار جدية هذه الصداقة السوفياتية الجديدة في جنيف . ويبدو انه تم التوصل الى قدر من الاتفاق حول المانيا وجاء في البيان المشترك النهائي :

« ان رؤساء الحكومات ، وهم يشعرون بمسؤ وليتهم المشتركة عن تسوية للمسألة الالمانية واعادة توحيد المانيا ، متفقون على أن تسوية المسألة الالمانية واعادة توحيد المانيا عن طريق الانتخاب الحر ستتم بالانسجام مع المصالح القومية للشعب الالماني واتفاقاً مع مصالح الامن الاوروبي »[٢] .

واعتبر الحلفاء الغربيون الاتفاق بمثابة التزام نحو الوحدة الالمانية في وقت غير محدد في المستقبل . لكن الاتحاد السوفياتي فسر « المصالح القومية للشعب الالماني » و « مصالح الامن الاوروبي » بصورة مختلفة واخذ الزعماء السوفيات يتحدثون عن جنيف على انها برهنت على أن الاربعة الكبار قد قبلوا الوضع الراهن في اوروبا كما شرع هؤلاء الزعماء في الكلام حول وجود دولتين المانيتين .

ولكن تبع جنيف شيء من تخفيف حدة التوتر اذ اعاد الاتحاد السوفياتي قاعدة بوركالا البحرية الى فنلندا واعلن عن تخفيض الجيش السوفياتي بمقدار ستمائة الف جندي ، واخذ يتبادل الخبراء الزراعيين مع الولايات المتحدة وبعث بوفد الى مؤتمر دعت اليه الولايات المتحدة لاستخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية . واقيمت علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الغربية . ولكن « روح » جنيف لم تدم طويلاً . ففي الامم المتحدة صوت الاتحاد السوفياتي لصالح استقلال الجزائر عن فرنسا ، واعاد الى الحياة النزاع مع الغرب حول مسألة ادخال الصين الشعبية للامم المتحدة . وفي مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في تشرين الاول وتشرين الثاني سنة ١٩٥٥ ، والذي دعي لاجراء مزيد من المناقشة حول تسوية أوروبية ، رفض مولوتوف ، وزير

الخارجية السوفياتـي ، الاقتراحـات من اجـل زيادة الاتصـالات بـين الشرق والغرب ولم يتم احراز اي تقدم . وكان الرئيس ايزنهاور قد اصيب بنوبة قلبية ولم يعد قادراً على ممارسة التأثير لاضفاء الاعتدال على موقف وزير خارجيته دلاس الذي اصطدم مع مولوتوف في المؤتمر . وكان من العوامل التي اسهمت في فشل مؤتمر وزراء الخارجية الاعلان في ٢٧ ايلول أن تشيكوسلوفاكيا وافقت على تزويد مصر بالسلاح . وهذا البرهان على أن الكتلة السوفياتية كانت قادرة على استغلال المصاعب الغربية في الشرق الاوسط لزيادة نفوذها هناك وافشال حلف بغداد ، ازعج الساسة الغربيين . اذ أن ذلك دل على ما كان شائعاً في الغرب من أن اليد السوفياتية الممدودة في اتجاه ما كانت تقابلها اليد الاخـرى وهي تضم قبضتها في اتجاه آخر .

ومهما كانت جدية الهجوم « السلمي » السوفياتي ، فانـه لم تكن ثمـة عودة الى الستالينية بالنسبة للاتحـاد السوفياتـي . وكانـت الزعامـة السـوفياتية مستعدة لادخال بعض الاجراءات الليبرالية في الداخل والخارج . ففي شباط سنـة ١٩٥٦ اثنـاء عقـد المؤتمـر العشرين للحـزب الشيوعـي السوفياتـي ندد خروشوف في خطابـه السري « بعبـادة الشـخصية » التـي فرضهـا ستالـين ، وبانحرافه عن الماركسية اللينينية واستخدام الارهـاب في ضمان حصولـه على الطاعة في العالم الشيوعي . وقد سبب الخطاب موجات من الصدمة في كافة ارجاء العالم الشيوعي وعانت الشيوعية السوفياتية شيئاً من فقدان الهيبة نتيجة لهذا الخطاب واخذت بعض الانظمة الستالينية في اوروبا الشرقية تهتز عندما طالب الرأي العام في بولندا والمجر بظروف حياتية وعمالية افضل .

وفي تموز سنة ١٩٥٦ اندلعت الاضطرابات في مدينة بوزنان البولندية . وكان الوضع مشحوناً باحتمالات الخطر لان بولندا بلد كاثوليكي في غالبيته ولان الروح الوطنية البولندية والمعارضة للهيمنة السوفياتية كانتا قويتين . وسمحت موسكو باجراء بعض التغييرات في الحكومة البولندية لتهدئة الوضع وطرد بعض الزعماء البولنـديين من وظائفهـم ممـن كانـوا على صلـة وثيقـة جداً بالسيطـرة

السوفياتية . وفي اواسط تشرين الاول قرر الحزب الشيوعي انتخاب غومولكا لمنصب السكرتير الاول للحزب وطرد المارشال روكسوفسكي الروسي من منصب وزير الدفاع وهو منصب احتفظ به منذ سنة ١٩٤٩ . وكان غومولكا قد سجن في ايام ستالين وسبب تعيينه الرعب للقيادة السوفياتية . فطار خروشوف وثلاثة من زملائه في المكتب السياسي الى وارسو حيث واجهوا البولنديين وكانت المحادثات بالغة التوتر . وهدد الروس بغزو بولندا اذا لم يتح لهم اختيار الاشخاص في الحكومة البولندية وقال البولنديون أنهم مستعدون للقتال اذا اضطروا لذلك . ولم يكن لدى البولنديين نية لاخراج بلادهم من الكتلة الشيوعية وبالتالي اضطر الروس لقبول شكل من الشيوعية الوطنية في بولندا وقدر اقل من السيطرة السوفياتية على تلك البلاد . وقد حلت الازمة البولندية بصورة مرضية نسبياً للاتحاد السوفياتي . وبقيت الكتلة السوفياتية سليمة وكذلك التوازن الاقليمي بين الشرق والغرب . لكن موسكو واجهت تهديداً اكبر لأمنها في المجر .

ففي خريف سنة ١٩٥٦ اصابت المجر بعض الهزات التي اثرت في بولندا وفي وجه الاضطراب المتزايد في المجر قبل الاتحاد السوفياتي احلال ارنوغيرو مساعد السكرتير الاول للحزب الشيوعي المجري محل راكوسي السكرتير الاول الستاليني الميول . وفي اواسط تشرين الاول اندلعت المظاهرات التلقائية في المجر ضد الحكم الشيوعي المتصلب والنفوذ السوفياتي . وانتشرت الاضرابات على نطاق واسع واندلع القتال بين القوات السوفياتية والمدنيين المجريين بين ٢٤ و ٢٨ تشرين الاول وشكلت حكومة مجرية جديدة في ٢٧ تشرين الاول بموافقة الروس . وكان يرأس الحكومة الجديدة ايمري ناغي وبها عضوان غير شيوعيين . وبدا أن موسكو كانت مستعدة لقبول تقليص كبير في نفوذها في هنغاريا (المجر) ولكن الاحداث تحركت بسرعة . فقد اعلن ايزنهاور في ٢٥ تشرين الاول « انني اشعر مع الشعب المجري » وبعد ذلك بيومين القى دلاس خطاباً هنأ فيه المجريين على الطريقة التي اظهروا بها استعدادهم لتحدي الجيش

الاحمر [٣] . وفي ٢٨ تشرين الاول حاول الغرب مناقشة مسألة المجر في مجلس الامن ولكن الاتحاد السوفياتي استخدم حق النقض (الفيتو) بحجة أن ذلك تدخل استفزازي في شؤ ون الكتلة الشيوعية وطالب الرأي العام المجري بأصلاحات واسعة وتجاوزت مطالبه قدرة الحكومة على ادخال اصلاحات والبقاء داخل الكتلة السوفياتية في الوقت ذاته . وفي اول تشرين الثاني وافقت حكومة ناغي على على المطالب الشعبية واخذت تستعد لاعلان حياد المجر واقامة حكومة ديمقراطية متعددة الاحزاب واخراج المجر من حلف وارسو . وفيما بعد قال خروشوف « كان بأمكاننا القبول بفنلندا اخرى لكن المجريين كانوا بصدد اعادة الفاشية » [٤] الا أن الاتحاد السوفياتي في الواقع لم يكن مستعداً لاحتمال حياد المجر . وفي ٤ تشرين الثاني تحركت القوات السوفياتية باعداد كبيرة الى بودابست وتم سحق الانتفاضة واقامة حكومة جديدة يدعمها السوفيات ويرأسها جانوس كادار (وكلفت الانتفاضة مقتل ٧ الاف جندي روسي و ٣٠ الف مجري وخلفت شعوراً بالمرارة ضد الاتحاد السوفياتي في المجر) . ومما عقد المأساة المجرية أن كثيرين من المجريين بدوا وكأنهم يصدقون الحجج الامريكية ويعتقدون أن بأمكانهم الحصول على مساعدة من الغرب . وقد حرضت اذاعات راديو اوروبا الحرة ـ وهي محطة اذاعة كانت تمولها امريكا ومركزها ميونخ تبث دعاية « الحرب الباردة » الغربية ضد الكتلة السوفياتية ـ المجريين على الاطاحة بالحكومة ولكن كل ما حصل عليه المجريون من مساعدات غربية لم يتجاوز العواطف ونقاشاً عقيماً في هيئة الامم المتحدة حول اقتراح امريكي بسحب القوات السوفياتية .

وبانتهاء سنة ١٩٥٦ كان الاتحاد السوفياتي قد احكم قبضته على اتباعه وكانت المجر عبرة ودرساً لاي دولة اخرى تفكر في الخروج من الكتلة السوفياتية . وقد اظهر الاتحاد السوفياتي استعداداً لقبول بعض الخلاف العقائدي في اوروبا الشرقية طالما كان ذلك محصوراً في شؤ ون داخلية بحتة ، ولكنه لم يكن مستعداً لقبول تفكك نظام الدول التابعة له والاخلال بالوضع

الراهن في اوروبا . كما أن الاستياء المعنوي الذي شعر به الغرب من الاعمال السوفياتية سرعان ما تحول الى احراج شديد عندما كان البريطانيون والفرنسيون يحاولون أن يرتكبوا في مصر ما كان الاتحاد السوفياتي قد استحق التنديد بسبب ارتكابه في المجر . والفرق بين المجر والسويس هو أن احـداث المجـر اكدت مخاوف الغرب وشكوكه في أن الاتحاد السوفياتـي لن يقبـل بأي حل وسـط في اوروبا بينما بدت ازمة السويس وكأنها تهدد بحرب بين الشرق والغرب .

وكان حادث السويس (انظر الفصل / ١٧) هدية للسوفيت وشبه كارثة للغرب . اذ ابعدت انتباه العالم عن المجر بعض الوقت واظهرت الاختلاف الشديد بين مصالح الحلفاء الغربيين الكبار وانه لا يمكن الاعتماد على الولايات المتحدة في الدفاع عن المصالح القومية البحتة لحلفائها ، وقد الحقت ضرراًبليغاً بالمكانة البريطانية والفرنسية والغربية في الشرق الاوسط ، وازداد توجه العرب المعادي للسيطرة الغربية في المنطقة وهم مصر وسوريا ، نحو الاتحاد السوفياتي للحصول على السلاح والمساعدات التي كانوا بحاجة اليها والتي كان الغرب غير راغب في تزويدهم بها . واعطت السويس للاتحاد السوفياتي موطىء قدم في الشرق الاوسط وبالتالي اوضحت ما كان يشك في وجوده منذ اقامة حلف بغداد وهو أن الحرب الباردة قد وصلت الى الشرق الاوسط .

الفصل التاسع

المشكلة الالمانية ووضع برلين الشاذ

خف توتر العلاقات بين الشرق والغرب بعض الشيء بعد وفاة ستالين غير أن المانيا بقيت المشكلة التي كانت اساس جميع القضايا التي اوجدت انشقاقاً بين الدول العظمى طيلة السنوات الست عشرة الاولى بعد الحرب . وفي سنة ١٩٤٧ كتب جون فوستر دالاس عندما كان يعمل مستشاراً لمارشال وزير الخارجية الاميركية يقول : « من المسلم به أن الالمان هم لب المشكلة الاوروبية . ولم يحدث من قبل أن اتيحت فرصة فريدة كهذه لشعب كثير العدد يمتلك لاسباب القوة لان يساوم بين جماعتين متنافستين . واذا ما تمكن الالمان من التحالف ثانية مع الشيوعية السوفياتية كما فعلوا في خريف سنة ١٩٣٩ فان بامكان ذلك التحالف أن يجتاح اوروبا »[1] . بيد أن الدول الغربية ظلت تؤكد على التزامها بفكرة مثالية تسعى اليها وهي امكانية توحيد المانيا بعد انتخابات حرة تعقد في كل من مناطق الاحتلال الاربع . وكانوا يعتقدون أن دولة المانية كهذه سوف تتمسك بمباديء الديمقراطية وتسعى تلقائياً الى علاقات اوثق مع الدول الديمقراطية الاخرى أي الدول الغربية .

وما فتيء الاتحاد السوفياتي يعارض اية فكرة لتوحيد المانيا على اثر انتخابات حرة وفي موقفه هذا أوضح أن الكرملين كان يتقبل ايضاً منطق الحجة الغربية . لكن كانت ثمة عوامل اخرى تؤثر في السياسة السوفياتية هذه . ففي مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في برلين في اوائل سنة ١٩٥٤ رفض مولوتوف الانتخابات الحرة قائلاً انه عندما اجرت المانيا الموحدة آخر انتخابات لها ، تمخض عن ذلك أن اصبح هتلر مستشاراً !!

وقد دل انشاء حلف الاطلسي على تصميم الغرب على الدفاع عن المانيا ،

بينما اظهر مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل بدمجه اقتصاد المانيا الشرقية ضمن النظام الاقتصادي السوفياتي أن موسكو عقدت العزم على التمسك بالمانيا الشرقية . كذلك فقد وافق الغرب سنة ١٩٤٩ على اقامة دولة المانية غربية كما وافق الاتحاد السوفياتي على اقامة دولة المانية شرقية . ولم تكن أي من الدولتين الالمانيتين متمتعة باستقلال كامل الا أن مجرد انشائهما كاد يحد من قدرة مؤ يديهما على تقبل اختفائهما . وفيما بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٢ طرح الاتحاد السوفياتي فكرة المانيا موحدة محايدة منزوعة السلاح . ومن غير الممكن معرفة مدى جدية السوفيات في اقتراحاتهم هذه الا أن من الممكن ادراك الفوائد التي كان يأمل الاتحاد السوفياتي في أن تتحقق له من وراء دبلوماسيته . لقد كان لدى الاتحاد السوفياتي وبعض الدول الدائرة في فلكه اسباب تاريخية مقنعة في تخوفهم من عودة المانيا الى الحياة كدولة موحدة ، غير أنه كان لتخوف روسيا من امكانيات المانيا الغربية ما يبرره ايضاً . فقد كانت المانيا الغربية رغم التقليص الذي اصابها لا تزال اكبر دولة في غرب اوروبا واواسطها من حيث عدد السكان والقدرة الصناعية . ومنذ سنة ١٩٥٠ ادى اندلاع الحرب الكورية الى زيادة كبيرة في الدفاع الغربي . وفي اجتماع للمجلس الاوروبي عقد في آب سنة ١٩٥٠ تقدم تشرتشل زعيم المعارضة في بريطانيا باقتراح يطالب بتشكيل جيش اوروبي . ورحب اديناور مستشار المانيا الغربية بهذا الاقتراح . وفي ١٢ ايلول سنة ١٩٥٠ اجتمع وزير خارجية الولايات المتحدة دين اتشيسون بزميله البريطاني بيفن وزميله الفرنسي شومان في واشنطن واقترح السماح لالمانيا الغربية بأن تتسلح ثانية وتسهم في الدفاع المشترك . وفي نهاية ايلول قبل مجلس حلف الاطلسي فكرة اقامة قوة مختلطة في اوروبا تحتوي على وحدات المانية وتحت قيادة قائد أعلى واحد .

ومن الطبيعي أن تكون هناك معارضة بعد خمس سنوات فقط من انتهاء الحرب ، لعودة العسكرية الالمانية ثانية ، ولم تقتصر هذه المعارضة على بقية اوروبا بل وجدت في المانيا الغربية أيضاً . الا أن الضرورات العسكرية

للتحالف الغربي كانت تحظى بأولوية . ومن أجل التغلب على العداء لفكرة جيش الماني جديد ، أقر المجلس الوطني الفرنسي في ٢٤ تشرين الاول خطة لتشكيل وحدات عسكرية المانية وفي ذات الوقت تفادى ضرورة قيام جيش الماني . وكانت خطة بليفان الفرنسية تقضي باقامة جماعة دفاعية اوروبية يكون لها قيادة اوروبية موحدة وتضم وحدات من الاعضاء الاوروبيين في حلف الاطلسي . ومن فوائد الخطة أن لا تكون الوحدات الالمانية تحت سيطرة حكومة المانيا الغربية التي لن تكون قادرة على استخدام هذه القوات من اجل اغراضها القومية الخاصة .

ولم يستسغ الاتحاد السوفياتي أياً من خطتي بليفان أو اتشيسون . فقد كان يواجهه احتمال قيام جماعة دفاعية اوروبية تكون اكثر تهديداً له . واذا ما تم خلق هذه الجماعة الاوروبية الدفاعية ـ الواقع أن خطة بليفان التي تم التفاوض عليها رفضها المجلس الوطني الفرنسي سنة ١٩٥٤ ـ ، فان ذلك سيكون خطوة واسعة في طريق ايجاد (ولايات متحدة اوروبية) ستكون بحكم الحجم معادلة للاتحاد السوفياتي من حيث السكان واكبر كثيراً منه من حيث الانتاج الصناعي . واوجدت الجماعة الدفاعية الاوروبية تهديداً في المدى البعيد للاتحاد السوفياتي ، اما قضية اعادة تسليح المانيا الغربية فقد اوجدت له تهديداً فورياً . وكان للفكرة في حد ذاتها وقع شديد على الكرملين لانه « كان يعتقد بأنه لا بد لأي تحالف مضاد للسوفيات من أن يحتوي على المانيا الغربية وقد استعادت نشاطها وتسلحها ، وذلك حتى يكون هذا التحالف فعالاً حقيقة . وبدون المانيا هذه ، كان على حلف الاطلسي أن يظل عبارة عن مجموعة مربكة من بعض الفرق العسكرية الامريكية والفرنسية والبريطانية وبعض الالوية المتناثرة من بلجيكية ونرويجية وغيرها » [٢] .

وكان هدف الدبلوماسية السوفياتية بين سنة ١٩٥٠ و سنة ١٩٥٢ الحيلولة دون اعادة تسليح المانيا وانشاء الجماعة الدفاعية الاوروبية . وعلى هذا الاساس استهدفت الحكومات والرأي العام في اوروبا الغربية والمانيا الغربية .

وكان حزب المعارضة الالماني الغربي وهو الحزب الديمقراطي الاشتراكي ضد اعادة تسليح بلاده وضد مزيد من اندماجها في المعسكر الاوروبي الغربي لان ذلك يبعد من احتمالات اعادة توحيدها وعرض الاتحاد السوفياتي التوحيد مقابل بقاء المانيا دون تسليح ووجد هذا العرض كثيراً من المؤيدين في الجمهورية الاتحادية (*) وان لم يوجد هذا القدر من التأييد في بون أو العواصم الغربية الاخرى . وبحلول ربيع سنة ١٩٥٢ اخذ يتضح أنه حتى لو رفضت فكرة الجماعة الدفاعية الاوروبية ، فان المانيا الغربية سيعاد تسليحها . وفي سنة ١٩٥١ انهى الحلفاء الغربيون الثلاثة رسمياً حالة الحرب بينهم وبين المانيا الغربية وحملهم اديناور على الموافقة على انه اذا تأخرت المصادقة على قيام الجماعة الدفاعية الاوروبية فترة اكثر مما ينبغي في أي من اقطار الجماعة الدفاعية الاوروبية (وهي فرنسا ، والمانيا الغربية ، وايطاليا ، وبلجيكا ، ولوكسمبرج ، وهولندا) ، فان بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ستقوم عندئذ بتوقيع « المعاهدة الالمانية » التي تمنح السيادة الكاملة للجمهورية الاتحادية فادخلت الدبلوماسية السوفياتية في حسابها الحقائق السائدة ، وهيأت نفسها للتصرف على هذا الاساس .

وفي ١٠ آذار سنة ١٩٥٢ تلقت الدول الغربية الكبرى الثلاث المتحالفة مذكرات من الاتحاد السوفياتي تقترح خطة للسلام والمانيا موحدة حتى خط نهري الاودر ـ النيس . كما اقترحت الخطة السوفياتية سحب جميع قوات الاحتلال من المانيا خلال سنة من بدء تنفيذ المعاهدة ، مع ضمان الحقوق الديمقراطية والمدنية والدينية بصورة كاملة . وان بامكان الدولة الجديدة أن تمتلك القوات الضرورية للدفاع عنها وصناعة الاسلحة اللازمة لهذه القوات .

(*) كان لحوالي نصف سكان المانيا الغربية مصلحة مباشرة وشخصية في اعادة توحيد المانيا . وفي سنة ١٩٦٠ كان ٢١ ـ ٢٥٪ من سكان المانيا الاتحادية (الغربية) من اللاجئين والمبعدين من المانيا الشرقية كما كان بـ ٤٤٪ من سكان المانيا الغربية اقارب واصدقاء حيمون في المانيا . وكانت ارقام سنة ١٩٦١ قريبة جداً من ارقام سنة ١٩٥٢ .

يضاف الى ذلك حظر جميع المنظمات « المعادية للديمقراطية » « ولقضية المحافظة على السلام » في المانيا وان تمنع المانيا من الانضمام الى أي تحالف أو تكتل موجه ضد اية دولة حاربت المانيا في الحرب العالمية الثانية .

واقترح الاتحاد السوفياتي أن تتألف الحكومة الالمانية الجديدة من ائتلاف من الحكومتين الالمانيتين القائمتين الا أن بون خشيت من احتمال من هذا القبيل . فقد كانت المانيا الغربية سنة ١٩٥٢ غير مسلحة وان كان بها قوات شرطة بينما كانت المانيا الشرقية مسلحة . ففي نهاية سنة ١٩٤٥ سمح الاتحاد السوفياتي بتسليح « الشرطة الشعبية » . ومع انتهاء سنة ١٩٤٦ وجد في المانيا الشرقية ٤٥ الفاً من الشرطة الشعبية وهيئتان اخريان للشرطة وهما شرطة الحدود وشرطة السكك الحديدية . وفي آذار سنة ١٩٤٨ انشئت وحدات شرطية أخرى تسمى(Bereitschaften) بلغ عددها خمسين الفاً سنة ١٩٥٠ وكانت تحت قيادة ضباط من الجيش الالماني السابق ، ومستشارين من الجيش الاحمر . ووضعت هذه القوات في ثكنات وجرى تدريبها على اسلحة المشاة . وخشي اديناور وزملاؤه من انه اذا ما نفذ المشروع السوفياتي فان شركاءهم الشيوعيين في الائتلاف الحكومي سيجدون تحت تصرفهم جيشاً يزيد عدده عن مائة الف رجل . وعندئذ قد تصبح عملية تسلم الشيوعيين للسلطة في المانيا كلها عملية سريعة ولن تجد معارضة تذكر .

ولم يقبل الغرب « بمسودة المعاهدة السوفياتية » . ولكن المناخ الدولي كان قد تغير بحلول عام ١٩٥٤ . فقد مات ستالين ، وانتهت الحرب الكورية وأخذت القوات الفرنسية تعود من الهند الصينية . ورفضت فرنسا فكرة الجماعة الدفاعية الاوروبية وحل محلها اتفاق غربي على أن تدخل المانيا الغربية حلف الاطلسي مع قوة عسكرية قوامها اثنتا عشرة فرقة وان تصبح مستقلة استقلالاً تاماً . وقبل نهاية سنة ١٩٥٥ كان الشرق والغرب قد اصبحا ملتزمين التزاماً كاملاً بفكرة وجود دولتين المانيتين . وفي أيار سنة ١٩٥٥ اصبحت المانيا الاتحادية (الغربية) عضواً في حلف الاطلسي بصورة رسمية . وفي ١٤ أيار

سنة ١٩٥٥ أعلن الاتحاد السوفياتي رسمياً انشاء حلف وارسو وانضمت اليه قوات المانيا الشرقية في كانون الثاني التالي . وفي ٩ أيلول زار اديناور الاتحاد السوفياتي واقيمت علاقات دبلوماسية بين بون وموسكو . وفي ٢٠ أيلول وقعت معاهدة بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الشرقية تعطي جمهورية المانيا الديمقراطية (الشرقية) سيادة كاملة على سياستها الخارجية ، واستمرت بون في الادعاء بأنها هي الحكومة الشرعية الوحيدة لالمانيا ورفض الحلفاء الغربيون الاعتراف بالمانيا الديمقراطية ، الا أن قضية الاتحاد تدنت قيمتها كمشكلة دولية .

بيد أن برلين بقيت ، وقد تمثلت فيها المشكلات التي خلقها في وجه الدول الاربع الكبرى غياب التسوية السلمية . وكان « الستار الحديدي » مكتملاً في كل مكان سوى في برلين . وأصبحت المانيا الديمقراطية (الشرقية) والاتحاد السوفياتي يريان في قضية برلين تهديداً لاستقرار المانيا الشرقية وبالتالي للساحة السوفياتية بكاملها . وفي البداية حاول الحلفاء والاتحاد السوفياتي جادين أن يمنعوا عن حليفتيهم الحديثتي الاستقلال والسيادة أي سيطرة على مجالات العلاقات الالمانية الدولية التي يمكن أن تسبب احتكاكاً اكثر من غيرها . فاعلنت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أنها ستظل مسؤولة عن برلين وعن الشؤون الخاصة بالمانيا كلها واعادة توحيدها وقضية معاهدة الصلح . ومنح الاتحاد السوفياتي المانيا الديمقراطية حق السيطرة على حدودها واراضيها وشؤونها الخارجية مع استثناء هام واحد . وجاء في مذكرة سوفياتية موجهة الى حكومة الولايات المتحدة في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٥٥ تفسر معاهدة أيلول سنة ١٩٥٥ بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الديمقراطية :

« بالنسبة للسيطرة على الحركة بين جمهورية المانيا الاتحادية وبرلين الغربية اشترط في المفاوضات بين حكومتي الاتحاد السوفياتي والمانيا الديمقراطية على أن تقوم بهذه المراقبة منذ الان فصاعداً وبصورة مؤقتة قيادة القوات العسكرية السوفياتية في المانيا وذلك الى أن يتم التوصل الى اتفاق ملائم »[٣] .

وبقي وضع برلين مستقراً نسبياً خلال السنوات الثلاث التالية ولكن

بحلول سنة ١٩٥٨ كانت المانيا الغربية قد حظيت باعتراف دبلوماسي من معظم اقطار العالم بينما لم يعترف بالمانيا الشرقية الا الاقطار الشيوعية الاخرى . وكان الاتحاد السوفياتي يأمل في أن تلقي سيطرته على اوروبا الشرقية قبولاً واسع النطاق . الا أن هذا لم يحدث كما ظهر من عدم اعتراف الغرب بالمانيا الشرقية . وطالما استمر الغرب في اعتبار المانيا الشرقية « منطقة الاحتلال السوفياتي في المانيا » ليس الا ، فان اوروبا الوسطى بقيت بؤ رة للمشكلات المحتملة . وحاول الاتحاد السوفياتي بين سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٢ فرض الاعتراف بالمانيا الديمقراطية على الغرب وذلك بأن هدد بأن ينقل الى سلطات المانيا الشرقية مسؤ ولية طرق المرور الى برلين الغربية . واذا ما حدث ذلك فان الدول الغربية ستجد نفسها طوعاً أو كرهاً مضطرة للتعامل مباشرة مع الالمان الشرقيين . وكان هذا بمثابة اعتراف واقعي بالنظام الحاكم في المانيا الشرقية وقبولاً لتقسيم اوروبا بعد الحرب .

وأخذ الموقف السوفياتي الجديد ازاء برلين الغربية يتضح خلال عام ١٩٥٨ عندما بدأ زعماء المانيا الديمقراطية يشيرون الى « تطبيع » الوضع في « عاصمة المانيا الديمقراطية » . وفي ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ أعلن خروشوف في موسكو :

« أن من الواضح أن الوقت قد حان للدول التي وقعت على اتفاقية بوتسدام أن تتخلى عن بقايا نظام الاحتلال في برلين وبذلك تجعل من الممكن خلق جو طبيعي في عاصمة جمهورية المانيا الديمقراطية . أما الاتحاد السوفياتي من جانبه ، فسوف يسلم جمهورية المانيا الديمقراطية ذات السيادة تلك المهام « التي كانت لا تزال تمارسها اجهزة سوفياتية » . ولْتُقِمْ الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا علاقاتها الخاصة بها مع جمهورية المانيا الديمقراطية وتتفق معها اذا كانت مهتمة بمسائل معينة تتعلق ببرلين »[٤] .

وخلال الاسبوعين التاليين ، ظلت السياسة السوفياتية الجديدة المتعلقة ببرلين سياسة غير رسمية . وفي ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ تم تسليم

مذكرات سوفياتية للدول الغربية الكبرى الثلاث كانت بمثابة انذارات . فقد ضربت المذكرة بالاعراف الدبلوماسية عرض الحائط . واشارت الى برلين على أنها « فتيل مفرقعات مشتعل موصول ببرميل من البارود . وان الحوادث التي تنشأ هنا . . . قد تؤدي في جو العواطف المحمومة والشكوك والمخاوف المتبادلة الى اشتعال لنار سيصعب اطفاؤها » . واتهمت المذكرة الدول الغربية الكبرى الثلاث بخرق معاهدة بوتسدام حول برلين والمانيا وقالت أن هذه الدول استخدمت برلين الغربية بمثابة « نقطة انطلاق للتجسس والتخريب والنشاطات الاخرى ضد الاقطار الاشتراكية . ثم تقدم خروشوف بحله للمشكلة والقائم على جعل برلين الغربية مدينة حرة منزوعة السلاح ربما تحت اشراف الامم المتحدة . وان على قوات الاحتلال أن تنسحب وعلى أي بلد أن ترغب في دخول المدينة الحرة أن تتفاوض على مسالك المرور مع المانيا الديمقراطية . ومثلت المذكرة تغيراً رئيسياً في السياسة من جانب الاتحاد السوفياتي لكن الجزء الهام جاء في نهاية المذكرة وهو :

« لا يعتزم الاتحاد السوفياتي احداث اي تغيير في الاجراءات الراهنة لحركة المرور العسكرية الخاصة بالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من برلين الغربية الى المانيا الاتحادية لمدة نصف عام . . . واذا لم تتم الاستفادة من المدة المذكورة اعلاه للتوصل الى اتفاق مناسب ، فان الاتحاد السوفياتي عندئذ سوف ينفذ الترتيبات المتخذة وذلك من خلال اتفاق مع جمهورية المانيا الديمقراطية »[٥] .

وكان رد فعل الحلفاء الغربيين فورياً ازاء المبادرة السوفياتية كما كانوا على اجماع في اعتزامهم المحافظة على حقوقهم في برلين الغربية . وفي انتخابات جرت حول هذه القضية لم يصوت سوى اثنان في المائة من السكان الى جانب وضع « المدينة الحرة » . وعندما تصلب رد الفعل الغربي ولم يأت جواب على المذكرة ، أعدت الحكومة السوفياتية بديلاً آخر . وكان أخطر عناصر المذكرة من حيث احتمالاته هو فترة « الانذار » المحددة بستة اشهر . ولذلك اتخذ الاتحاد

السوفياتي خطوات لنزع فتيل الموقف . وفي يوم ٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ قام انسطاس ميكويان خبير المكتب السياسي السوفياتي في التجارة الخارجية والذي اتفق ان كان يقضي عطلة في الولايات المتحدة وقتئذ ، بزيارة وزير الخارجية الامريكي واعلمه أن تحديد الوقت بستة اشهر كان اقتراحاً وليس انذاراً . وفي ٩ شباط اعلن دلاس أن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا قد اتفقت على الخطوات التي ستتخذها في حالة اقفال طرق دخولها الى برلين الغربية . فوقع خرشوف في مأزق ، اذ كان قد هدد الغرب وها هو دلاس يهدد الاتحاد السوفياتي وكان المعروف عن دلاس أنه متصلب في معارضته للاتحاد السوفياتي . وفي ١٦ شباط اجاب الغرب على المذكرة السوفياتية برفض اقتراحات خروشوف والقول أن الدول الغربية ستؤمن استمرار حرية مرورها الى برلين الغربية . وفي ١٧ شباط أثار الاتحاد السوفياتي امكانية اخرى وهي بما أن الغرب رفض توقيع معاهدات الصلح مع شطري المانيا الى ما بعد اعادة توحيدهما ، فان الاتحاد السوفياتي قد يوقع معاهدة صلح منفصلة مع المانيا الديمقراطية وبذلك يسلم قضية طرق الدخول الى برلين الغربية لالمانيا الديمقراطية .

وكان الاتحاد السوفياتي هو دولة الاحتلال الوحيدة التي ارادت تغييراً في وضع برلين . غير أن احداث التغيير كان يعني اتخاذ اجراء استفزازي كان سيؤدي الى الحرب في ضوء اعلان دلاس . وكانت الدول الغربية تتخذ موقف الدفاع وتتمتع بمركز تفوق في هذه الناحية لان أي تحرك مؤد الى الحرب كان لا بد وأن يقوم به السوفيات وليس تلك الدول . الا أن الدول الغربية أعطت خروشوف وسيلة لانقاذ نفسه من الورطه . فاقترحت اجتماعاً وزارياً لبحث قضية برلين وقضية المعاهدة . وفي ٢ آذار قبل خروشوف ذلك . وهكذا زودت مفاوضات الدول الكبرى خروشوف بطريقة مشرفة يخرج فيها من مصاعبه . وقال في ٥ آذار في مدينة ليبزج أن تحديد فترة الامهال بستة اشهر لم يعين له وقت وبعد ذلك بأربعة أيام تخلى في برلين الشرقية عن اعتراضه على بقاء القوات

العسكرية الغربية في برلين . وفي ١٩ آذار تنازل خروشوف تنازلاً كاملاً عن موقفه السابق عندما قال في مؤتمر صحفي « اعتقد أن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لها حقوق مشروعة في البقاء في برلين » [٦] .

وفيما بين آيار وآب سنة ١٩٥٩ اجتمع وزراء خارجية دول الاحتلال الاربع في مؤتمر في جنيف ولكنهم اخفقوا في الوصول الى أي اتفاق رغم أن المؤتمر وافق على تمديد تاريخ لخروشوف ليزور ايزنهاور في الولايات المتحدة . واعترف الرجلان في محادثاتهما التي تلت ذلك بمسؤ وليتهما المشتركة كزعيمين لاقوى دولتين في العالم ، بالمحافظة على السلام العالمي . ويبدو أن خروشوف قد حمل انطباعاً جيداً عن ايزنهاور . ولدى عودته الى موسكو وصف رئيس الولايات المتحدة بأنه « رجل يتمتع بثقة شعبه الكامله و . . . ويريد باخلاص مثلنا أن ينهي الحرب الباردة » [٧] . ولكن ربما ظن خروشوف أن ايزنهاور قد يكون مستعداً للملاينة حول برلين بعد أن توفي دلاس . وفي محادثات كامب ديفيد في الولايات المتحدة كان ايزنهاور قد قبل بوجوب التوصل الى حل لمشكلة برلين ملمحاً بذلك الى أن الولايات المتحدة قد تقبل تغييراً في وضع برلين الغربية كما أن الامريكيين لم يرفضوا ادعاء خروشوف بأن وضع برلين كان وضعاً شاذاً .

وفي اوائل سنة ١٩٦٠ كانت تراود خروشوف آمال حقيقية بانتصاره في برلين . وقد قبلت فكرة مكميلان رئيس وزراء بريطانيا لاجتماع قمة رباعية للدول الكبرى في باريس . واستمر الاتحاد السوفياتي في ضغطه على الغرب بطرق ثلاث وهي أولاً : في ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٦٠ القى خروشوف خطاباً في مجلس السوفييت الاعلى كشف فيه النقاب عن أن الاتحاد السوفياتي لديه سلاح رهيب لدرجة أن المخاطر الكامنة في استخدامه غير مقبولة [*] . ولذلك اقترح عدم اجراء تجارب نووية ما دام الغرب يقوم بالمثل وتخفيض

(*) ربما كان خروشوف يشير الى قنبلة ال ٦٠ ميجاطن أو ٦٠ مليون طن التي تمت تجربتها سنة ١٩٦١ .

القوات المسلحة السوفياتية بمقدار الثلث . وبدا أن هذه التحركات والاقتراحات كانت تستهدف التخفيف من حدة التوتر الدولي ولكن ربما كان خروشوف يستغل كون الاتحاد السوفياتي ملتزماً بتخفيض القوات التقليدية على اية حال . فقد قررت القيادة السوفياتية ، وبصرف النظر عما كان يحدث في العلاقات بين الشرق والغرب في سنة ١٩٦٠ ، أن تزيد من قواتها النووية على حساب قواتها التقليدية رغم أن هذا الامر لم يتضح للغرب لفترة من الوقت . وثانياً : أنه بينما كان خروشوف يبدي اعتدالاً ظاهرياً فان اتباعه من الالمان الشرقيين لم يكونوا يشاطرونه ذلك . وحدثت عدة حوادث في برلين الغربية انتهت بمطالب من المانيا الشرقية كانت موضع دعم كامل من السوفيات مفادها امكانية فرض تحديد على ارتفاعات الممرات الجوية في برلين الغربية .

واحتجت الولايات المتحدة على عدم شرعية هذا الاجراء لكنها وافقت عليه وكان الامريكيون مهتمين بنتيجة قمة باريس الا أن استعدادهم للتعاون مع الاتحاد السوفياتي والتسليم بالمطالب المفرطة لنظام المانيا الديمقراطية قد اقلقا الحكومتين في بون وبرلين الغربية اللتين خشيتا من أن الولايات المتحدة وبريطانيا قد تكونان على استعداد لعقد صفقة مع الاتحاد السوفياتي . وثالثاً : حاول خروشوف أن يعزل حكومة المانيا الغربية عن حلفائها . لقد كان يدرك أن تأييد الرئيس الفرنسي ديغول لبون حول معاهدة الصلح وقضية برلين كان تأييداً لا تراجع فيه ولذلك زار باريس لاستمالة ديغول ، لكنه لم ينجح .

وقد اراد خروشوف شيئين من قمة باريس وهما : اتفاق حول برلين واتفاق لمنع الاسلحة النووية في المانيا ومنطقة المحيط الهادي . وعندما اقتربت القمة لم يقترب الاتفاق حول برلين وأخذت اهمية القضية النووية في الازدياد بالنسبة للحكومة السوفياتية . وفي سنة ١٩٦٠ كانت هناك اربع دول نووية . وبدأت تظهر احتمالات في حصول مزيد من حلفاء الولايات المتحدة أعضاء حلف الاطلسي على قدر من السيطرة على الدفاع النووي لحلف الاطلسي . وفي اجتماع حلف الاطلسي في كانون الاول سنة ١٩٦٠ اقترح هيرتر وزير خارجية

الولايات المتحدة اقامة قوة نووية متعددة الاطراف والتي كانت ستعطي المانيا الغربية حصة في قوة نووية اوروبية . ولكن القوة النووية متعددة الاطراف لم تخرج الى حيز الوجود . وكذلك كان الاتحاد السوفياتي قد رفض اتفاقه مع الصين في شهر حزيران السابق على اقتسام المعرفة النووية مع بيكين وتدهورت العلاقات الصينية السوفياتية تدهوراً سريعاً . وفي اجتماع لحلف وارسو في ٤ شباط قال المراقب الصيني أن الصين لا تعتبر نفسها ملتزمة بأي « اتفاق دولي لنزع السلاح » أو أي اتفاق آخر لا تشارك فيه الصين [٨] الامر الذي عنى أن احتمال عقد اجتماع سوفياتي - صيني على مستوى القمة بدا بعيداً . وكان خروشوف هدفاً لانتقادات متكررة من الصين بسبب سياسته القائمة على « التعايش السلمي » . وبدا كما لو كانت سياسته القائمة على التفاوض بدلاً من المجابهة قد عجزت عن الحصول على النتائج التي كان يأمل فيها ، هذا اذا حققت اية نتائج على الاطلاق . وكان خروشوف يقترب من معضلة اخرى عندما كشف النقاب عن حادث طائرة يو / ٢ .

كانت طائرات التجسس الامريكية من طراز يو / ٢ تطير منذ سنوات في رحلات استطلاع وتصوير فوق الاتحاد السوفياتي . وعرف السوفيات عنها لكنهم لم يستطيعوا اسقاط اي منها حتى اول ايار سنة ١٩٦٠ . وفي الرابع من آيار اعلن خروشوف أن طائرة تجسس اسقطت اثناء انتهاكها للمجال الجوي السوفياتي . لكنه لم يقل شيئاً عما حدث للطائرة أو للطيار . وكانت طائرة يو / ٢ مزودة بجهاز للتدمير الذاتي من أجل احتمال كهذا . وعلى الارجح أن السلطات الامريكية اعتقدت أن الطيار جراى باورز كان قد نفذ الاوامر الثابتة ودمر الاجهزة الالكترونية المعقدة التي كانت الطائرة تحملها . واعلنت الولايات المتحدة أن احدى طائرات يو / ٢ قد ضاعت اثناء دراستها للاحوال الجوية على ارتفاعات عالية . وفي ٧ آيار بعد أن ورطت الولايات المتحدة نفسها بانكار الهدف العدائي لمهمة طائرة يو / ٢ كشف خروشوف النقاب عن أن الطائرة والطيار قد وقعا في قبضة السوفيات . واذا ما كان خروشوف بحاجة الى ذريعة

لالغاء مؤتمر قمة باريس فقد توفرت له الذريعة ، لقد كان يعلن عن مزايا التعايش السلمي وجاءت اعمال الولايات في ارسال طائرة يو / ٢ في مهام فوق الاتحاد السوفيتي لتوضح لنقاد خروشوف في الداخل وفي الصين أنهم كانوا على صواب في تقييمهم لاهداف سياسة الولايات المتحدة . واذا ما استطاع خروشوف الحصول على نوع من الاتفاق حول برلين من قمة باريس فانه كان بوسعه أخذه الى موسكو ليعلنه على أنه انتصار للخط الذي يسير فيه على سياسة انصار الحرب الباردة في بكين . وكان سيحاول فعل ذلك ولكنه الان اصبح يملك اسلوباً لحفظ ماء الوجه اذا ما فشل مؤتمر القمة . وقد ندد خروشوف باختراق طائرة يو / ٢ مجال السوفييت الجوي لكنه اعلن عن استعداده لقبول هذا الحادث على انه من فعل المرؤ وسين غير المسؤ ولين وان الرئيس الامريكي لم يعرف شيئاً عنه .

في ١٥ ايار قبل يوم من الاجتماع المقرر لمؤتمر القمة قدم خروشوف قائمة بالشروط المطلوب توفرها اذا كان لهذا المؤتمر أن يعقد ، وهي ضرورة اعتذار الولايات المتحدة عن حادثة ال يو / ٢ ، وايقاف جميع هذه الانواع من الطيران في المستقبل ، وعقاب المسؤ ولين عن الحادث . والغى ايزنهاور عمليات الطيران المستقبلية . لكنه وجد الشرطين الآخرين غير مقبولين . وفشلت القمة من لحظة بدئها تقريباً واعلن خروشوف أن على القمة أن تجتمع ثانية خلال فترة تتراوح بين ستة أشهر وثمانية . وبذلك قام باهانة شخصية لايزنهاور لانه بحلول كانون الثاني سنة ١٩٦١ كان سينتهي موعد ولاية ايزنهاور وسيكون في البيت الابيض رئيس جديد . وغادر خروشوف باريس الى برلين الشرقية تاركاً جواً متوتراً مشحوناً بالترقب وراءه بحيث اعتقد الامريكيون انه قد يستبق الوضع حول معاهدة الصلح الالمانية وحول برلين . ولذلك أمر وزير الدفاع الامريكي باعلان حالة الطوارىء بين القوات الامريكية في كافة انحاء العالم .
ومرة اخرى كان العالم يتحرك نحو الحرب غير أن خروشوف لم يوقع معاهدة صلح مع المانيا الديمقراطية . والواقع انه كرر دعوته لقمة اخرى في المستقبل

وكان يأمل أن لا يقوم اي طرف بتحرك من جانب واحد حول المسألة الالمانية . وجمدت قضية برلين بينما كان خروشوف ينتظر قدوم رئيس امريكي جديد لعله يستطيع الحصول منه على تنازلات حول المانيا .

وخلال بقية سنة ١٩٦٠ كان خروشوف يواصل المناداة بسياسته القائمة على التعايش السلمي مع الغرب . وكان هذا تحولاً سياسياً هاماً للاتحاد السوفياتي . ومع انه اسهم كثيراً في الانشقاق بين الصين والسوفيات الا أن خروشوف كان ملتزماً به . غير أنه في سنة ١٩٦١ كان خروشوف يعمل تحت ضغط بالغ الشدة . وكانت بعض سياساته الداخلية قاصرة عن النجاح ولم تعد الصين تعترف بزعامة السوفيات في العالم الشيوعي ، بل ان البانيا الصغيرة كانت قادرة على اعلان استقلالها عن موسكو . وفي سنة ١٩٦١ كان خروشوف بحاجة الى نصر لتأييد صدق سياساته واسكات منتقديه . وكان عليه البحث عن النصر ثانية في برلين .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٦١ أصبح جون كنيدي رئيساً للولايات المتحدة . وكان كندي صغير السن الى حد ما بالنسبة لهذا المنصب الرفيع . ولعل خروشوف اعتقد أن عدم خبرة كندي أمر يستطيع خروشوف الاستفادة منه . وقد خففت الصحافة السوفياتية من هجماتها على الامريكيين عندما تسلم كندي السلطة . وخفف الالمان الشرقيون من قيودهم على السفر الى المانيا الغربية . وفي نيسان قامت الولايات المتحدة بشن هجومها الذي لقي فشلاً ذريعاً على خليج الخنازير (انظر الفصل العاشر) . ولذلك عندما التقى كندي وخروشوف في فينا في حزيران كان باستطاعة خروشوف أن يتخذ اسلوباً متعالياً عندما جاء كندي يجر وراءه ذيول فشل سياسته الخارجية . وفي فينا اصدر خروشوف انذاراً آخر جاء فيه انه في حالة عدم التوصل الى اتفاق حول برلين بحلول كانون الاول سنة ١٩٦١ فان الاتحاد السوفياتي سيوقع معاهدة صلح منفصل مع المانيا الديمقراطية . وفشلت قمة فينا وتلا ذلك تطور سريع لأزمة حول برلين .

وكان خروشوف وزعماء المانيا الديمقراطية بحاجة الى حل سريع لقضية برلين ، فان وجود برلين ذاته كان يهدد كيان جمهورية المانيا الشرقية . اذ انه بين سنة ١٩٤٩ وسن ١٩٥٨ « صوت ٢١٨٩٠٠٠ الماني « بأرجلهم » وهربوا الى المانيا الغربية . وهذا العدد كان من بين ١٧,٥ مليوناً يعيشون في المانيا الديمقراطية سنة ١٩٤٩ . وكانت هناك نسبة عالية من الفارين مؤلفة من الشبان أو الاشخاص المهرة أو اصحاب المهن الراقية الذين لا يمكن لاقتصاد المانيا الشرقية أن يتطور بدونهم ، يضاف الى ذلك أن هذه الخسارة كانت تذكر باستمرار ان نظام الحكم الشيوعي لم يكن محبوباً بين شعب المانيا الشرقية بصرف النظر عن ادعاءات السلطات . وبحلول سنة ١٩٥٨ كان الالمان الشرقيون قد اغلقوا الحدود البالغ طولها ٨٥٠ ميلاً بين المانيا الغربية والشرقية بالاسلاك الشائكة تعززها في بعض المواقع حقول الالغام . وكان الذين يحاولون الهرب الى المانيا الديمقراطية معرضين لخطر اطلاق النار عليهم أو نسفهم أو إلقاء القبض عليهم لمواجهة حكم بالسجن مدته خمسة عشر شهراً كمهاجرين غير شرعيين . وبين سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦١ استمر اللاجئون في الوصول الى الغرب من خلال حدود عرضها ثلاثون ميلاً بين برلين الشرقية والغربية . وبقيت اعدادهم مرتفعة ، ولكنها لم تبلغ درجة قطع انجاز مراحل من التقدم الاقتصادي لا يستهان بها في المانيا الشرقية حتى الاشهر الستة الاولى من سنة ١٩٦١ عندما فر (١٠٣) الاف شخص من المانيا الديمقراطية الى برلين الغربية . ولم يكن في وسع الروس أن يسمحوا لهذه الدولة المحسوبة عليهم أن تتضرر بهذه الطريقة . واستمر ولتر ألبرخت الزعيم الالماني الشرقي في ممارسة الضغط على خروشوف وادامة التوتر في برلين وكانت مشكلته اكثر الحاحاً من مشكلة خروشوف . وقد حاول البرخت مرتين أن يستبق الغرب والروس باقفال حدود برلين كما أن القوات السوفياتية قد ردت الشرطة الشعبية مرتين على اعقابها عندما كانت تريد التحرك الى مواقعها [٩] . وفي ٨ تموز اعلن خروشوف أن المواقف الغربية ارغمت الاتحاد السوفياتي على زيادة حجم موازنته العسكرية

بنسبة ٣٣٪ . وفي ٢٥ تموز طلب كندي الى الكونغرس زيادة حجم موازنة الولايات المتحدة العسكرية وزيادة النسبة التي يأخذها الجيش من المجندين المدربين ودعوة جنود الاحتياط للخدمة . كما طلب ايضاً زيادة بناء قوات حلف الاطلسي في اوروبا . وفي نفس اليوم قال غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي لسفير المانيا الغربية في موسكو انه اذا ما تم توقيع معاهدة صلح منفصلة فان القوات السوفياتية سوف تنتشر على طول الحدود بين المانيا الشرقية والغربية .

وادت التهديدات والتهديدات المضادة الى رفع درجة التوتر السياسي في الحرب الباردة . واهم من ذلك زادت من امكانية فقدان احد الطرفين أو كليهما السيطرة على عملية التصعيد التي بدأ فيها هذان الطرفان . وفكر كندي في ارسال قوات في طرق السيارات الرئيسية الى برلين اذا تم توقيع صلح منفرد ، كما اخبر خروشوف السفير البريطاني عن عدد الاسلحة النووية اللازمة لتدمير بريطانيا . ولكن في جميع التهديدات العسكرية الضمنية كان يوجد تيار تحتي من اللاواقعية . فلم يكن في برلين الغربية سوى ١١ الف جندي غربي لحماية الحدود الغربية والواقعة بين برلين والمانيا الديمقراطية البالغ طولها مائة ميل . ولم يكن الدفاع عن برلين الغربية ممكناً بالوسائل التقليدية . ومن المفارقات أن هذا كان مصدر قوتها . ولم يكن في مقدور خروشوف تغيير وضع برلين دون المخاطرة الحقيقية بحرب نووية وهو أمر لم يرد أن يفعله ، ولكن بحلول شهر آب سنة ١٩٦١ كان هناك زيادة ملحوظة في اعداد اللاجئين الى برلين الغربية مما ادى الى تفاقم ازمة قلة الايدي العاملة الموجودة من قبل في المانيا الديمقراطية . وكما كتب فيليب وندسور يقول « أن الازمة التي احدثها خروشوف لم يعد من الممكن السيطرة عليها واذا ما تبعها انتفاضة في المانيا الشرقية أو انهيار حكومتها فانها سوف تهدد نفس الاهداف التي كان من المفترض أن تسعى الى تحقيقها بل وتزيد في خطر اندلاع الحرب »[١٠] .

وفي الساعات الاولى من صباح الاحد في ١٣ آب سنة ١٩٦١ بينما كانت

الوزارات والسفارات الغربية تدار بأيدي صغار الدبلوماسيين قامت « الشرطة الشعبية » بعزل برلين الغربية باسيجة الاسلاك . وبعد ذلك باربعة أيام شرعوا في بناء جدار وقلصوا عدد نقاط العبور في حدود برلين البالغة ثلاثين ميلاً الى اربع نقاط . وكانت هناك حوادث اطلاق نار بين الشرطة على الجانبين لكن الدول الغربية لم تستطع فعل شيء وطلبت المانيا الديمقراطية حق السيطرة على جميع رحلات السفر الجوية للمدنيين الى برلين الغربية وكان رد الغرب أنه حمل الاتحاد السوفياتي مسؤولية اي تدخل في الممرات الجوية . واعلن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة استئناف التجارب النووية واحضر الطرفان تعزيزات الى برلين وكانت هناك مواجهات بين وحدات الدبابات عند نقاط العبور في المدينة .

وكانت الازمات المتكررة بين سنة ١٩٥٨ و سنة ١٩٦١ اختبارات لقوة الارادة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والتي بلغت ذروتها في النهاية في خريف سنة ١٩٦٢ حول كوبا ثم انقشعت . وبعد الازمة الكوبية ادرك الاتحاد السوفياتي أن التصميم الغربي كان أقوى مما اعتقد . وكان الغرب قد اقنع الاتحاد السوفياتي أن وضع برلين الغربية لا يمكن تغييره دون حرب .

وقد أوقف جدار برلين هرب السكان الى الغرب وبذلك سمح لاقتصاد المانيا الشرقية بالتوسع . وازال بعض الالحاح عن الضغوط على موسكو من أجل حل مشكلة برلين وادعى الروس والالمان الشرقيون أن الجدار قد بني لايقاف الجواسيس والمخربين الغربيين من العبور الى الشرق . وكان البرخت في الواقع عنيفاً جداً في تنديده باعمال حكومة المانيا الغربية ، مما اضطر المانيا الديمقراطية لبناء الجدار . وفي اذاعة بالراديو في ١٨ آب برر البرخت اقامة الجدار بقوله « لقد سمح اخواننا واخواتنا العزيزات من افراد الشعب الالماني الغربي لحكومتهم بالوقوع في قبضة الفاشيين والنازيين والعسكريين والثأريين ، وصانعي الحروب وتجار الرقيق والقتلة »(١١) .

ولكن اهل برلين الشرقية والالمان الشرقيين كانوا يعرفون الحقيقة بقدر ما

يعرفها الالمان الغربيون . فالمانيا الشرقية كانت مضطرة لبناء جدار لابقاء سكانها داخل حدودها . كذلك فانه رغم كل تهديدات خروشوف بانه سيوقع معاهدة صلح مع المانيا الشرقية وتسليمها مسؤ ولية مسالك الدخول ، الا أن خروشوف لم يقدم على ذلك . وهكذا فشلت دبلوماسيته وتهديداته . وقد عجز الغرب عن منع بناء الجدار . ودافعت دوله بنجاح عن وضع برلين الغربية . الا أن اتفاقية بوتسدام جعلت الحلفاء الثلاثة الكبار بمثابة وكلاء مشتركين على برلين . وفشلت مهمة وصايتهم . فقد ادى بناء الجدار الى قسمة المدينة وفصل الاسر والاصدقاء عن بعضهم . وادى ايضاً الى تنفس اهل برلين الصعداء وفقدان الحلفاء ماء وجههم . وكان سور برلين هزيمة في الحرب الباردة لجميع الاطراف .

الفصل العاشر

أزمة الصواريخ الكوبية

ظهر في نصف الكرة الغربي نظامان يساريان قبل مجيء نظام كاسترو في كوبا ففي غيانا البريطانية كسب حزب الشعب التقدمي الذي يرأسه تشيدي جاغان ١٨ مقعداً من ٢٤ مقعداً في إنتخابات مجلس غيانا التي عقدت في نيسان سنة ١٩٥٣ . وعندما جمع جاغان إلى مطالبته بإصلاح الأراضي والتصنيع المطالبة بالحكم الذاتي ، اتهمته الحكومة البريطانية التي أصابها القلق بالنية لتأسيس نظام حكم شيوعي ، فأوقفت العمل بالدستور وأرسلت قوات بحرية إلى المنطقة وقبضت على زعماء حزب الشعب التقدمي . وفي سنة ١٩٥١ كسب آربنز غوزمان في غواتمالا الانتخابات بمساعدة الحزب الشيوعي وشرع في خطة لإعادة توزيع الأراضي ، وفي سنة ١٩٥٣ أخذ في مصادرة ممتلكات شركة الفواكه المتحدة الامريكية الكبيرة ، فقامت الشركة بتوفير الأسلحة والمال وقامت وكالة المخابرات المركزية بتقديم المشورة لقوة من المنفيين يقودها الكولونيل الكاثوليكي آرماس الذي غزا غواتيمالا في حزيران سنة ١٩٥٤ ورفض جيش غواتيمالا القتال واستقال اربنزوحرم الفلاحون الأمّيون من حق الاقتراع وأصبح الحزب الشيوعي غير مشروع ، وتنفست الدكتاتوريات المجاورة في نيكاراغوا والسلفادور وهندوراس ومعها الولايات المتحدة الصعداء .

ولكن في ٢٦ تموز سنة ١٩٥٣ قام محام شاب اسمه فيدل كاسترو مع مائة وخمسين من أتباعه بمهاجمة ثكنات الجيش في سنتياغو الكوبية في عهد الدكتاتور الكوبي الجنرال باتيستا ، وقتل نصف الثوار وسجن كاسترو ثم نفي ، وفي كانون الأول سنة ١٩٥٣ عاد كاسترو مع ٨٢ عضواً من حركة ٢٦ تموز إلى جبال سيرا مايسترا في كوبا ، وبحلول كانون الأول سنة ١٩٥٨ كان كاسترو قد شرع في حرب تقليدية ضد باتستا الذي انهار نظامه قبل انتهاء شهر كانون الثاني

سنة ١٩٥٩ .

وبدأ كاسترو خلال سنة ١٩٥٩ برنامجاً للإصلاح الأراضي تضمّن مصادرة مزارع السكّر ومصانعه التي يملكها الأمريكيون ، ومع أن كاسترو لم يكن شيوعياً ، إلا أنه صمم على إخراج استعمار الدولار الامريكي ، وجاء في تقرير رفع لوزارة التجارة الامريكية سنة ١٩٥٣ ما يلي :

« إن الاستثمارات الأجنبية الهامة الوحيدة في كوبا هي استثمارات الولايات المتحدة ، إذ تتجاوز مشاركة الولايات المتحدة الامريكية ٩٠ ٪ في خدمات الهاتف والكهرباء ، وحوالي ٥٠ ٪ في السكك الحديدية العمومية ، وما يقارب ٤٠ ٪ في إنتاج السكّر الخام . وتأتي كوبا في المرتبة الثالثة في أمريكا اللاتينية من حيث قيمة استثمارات الولايات المتحدة المباشرة فيها »[1] . وقد أدّت حركة كاسترو في التأميم إلى اصطدامه مع الرئيس ايزنهاور الذي قطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا في كانون الثاني سنة ١٩٦١ وخلال الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٦٠ طالب كنيدي بدعم أمريكي « للقوات الديمقراطية المعادية لكاسترو سواء في المنفى أو في كوبا نفسها والتي توفر الأمل في النهاية للإطاحة بكاسترو »[2] . وورث كنيدي خطة تؤ يدها وكالة المخابرات المركزية لدعم إداري تمويني لغزو كوبا يقوم به المنفيون وينزلون في منطقة خليج الخنازير في نيسان سنة ١٩٦١ . وفشل الهجوم ودمّرت قوات الغزو على الشاطىء ، وكان تورط الولايات المتحدة واضحاً للعالم أجمع . وحمل كاسترو على الامبريالية الامريكية في وقت كان يوطّد فيه علاقاته مع الاتحاد السوفياتي الذي كان قد وافق في شباط سنة ١٩٦٠ على أخذ السكر الكوبي وتقديم مساعدة بعد المقاطعة الاقتصادية الامريكية لكوبا ، وفي كانون الأول سنة ١٩٦١ أعلن كاسترو قائلاً « إنني ماركسي لينيني » وفي تموز سنة ١٩٦٢ سافر راوول كاسترو وتشي غيفارا إلى موسكو لتوثيق الروابط الاقتصادية وترتيب معونة دفاعية في حالة حدوث مزيد من تدخل الولايات المتحدة في كوبا ، ولم يكن هذا بالأمر المستحيل لأن كنيدي كان قد أعلن بعد حادث خليج الخنازير أنه :

« إذا أخفقت دول نصف الكرة هذا في الوفاء بالتزاماتها ضد التدخل الشيوعي الخارجي ، فإن الحكومة لن تتردد عندئذٍ في القيام بالتزاماتها الأولى وهو أمن هذه الأمّة . وإذا ما جاء ذلك الوقت ، فإننا لا نريد أن يلقي علينا الدروس أولئك الذين تركوا بصماتهم باستمرار في شوارع بودابست الدامية ، وإنني عاقد العزم على بقاء نظامنا ونجاحه مهما كانت التكاليف والثمن »[٣] .

وفي ٤ أيلول حذّر كنيدي الاتحاد السوفياتي من أنه لن يتحمل وجود صواريخ هجومية سوفياتية تنصب في كوبا (وهي صواريخ أرض أرض تختلف عن صواريخ أرض جو) . وفي أيلول أصدر الاتحاد السوفياتي إعلاناً عاماً ذكر أنه ليس بحاجة لنصب صواريخ هجومية في كوبا ، وكانت أول سفينة صواريخ قد وصلت ، ورأى أحد عملاء وكالة المخابرات المركزية ناقلات الصواريخ في منطقة سان كريستوبال في ١٢ أيلول . ولكن وكالة المخابرات المركزية أهملت هذه التقارير « المفتقرة إلى الثقة » لأن الحكومة الامريكية كانت تعتقد أن وضع الصواريخ في كوبا لم يكن لينسجم مع السياسة الخارجية السوفياتية ، لأنه لم يسبق للروس وضع صواريخ نووية خارج حدود بلادهم ، وكان ثمّة عدد من الأسباب حمل السوفييت على خرق هذه القاعدة ، ففي سنة ١٩٥٨ قدّر تقرير غيثر الامريكي أن السوفيات سيكون لديهم ١٠٠ صاروخ بالستيكي عابر للقارات قبل نهاية سنة ١٩٥٩ وبناء على ذلك زاد الرئيس ايزنهاور الميزانية العسكرية الامريكية بـ ١٢ بليون دولار . ولكن بحلول سنة ١٩٦٢ قدّر أن السوفيات لا يمتلكون أكثر من ٥٠ صاروخاً من الطراز السالف الذكر و ١٥٠ قاذفة عابرة للقارات و ٤٠٠ صاروخ بالستيكي متوسط المدى . وكانت قوة الولايات المتحدة مؤلّفة من ١٢٠٠ قاذفة قنابل عابرة للقارات و ١٩ غواصة من طراز بولاريس عليها ٣٠٤ صواريخ و ١٠٠٠ طائرة تعمل من الحاملات ومن قواعد وراء البحار وقادرة على إلقاء قنابل نووية وعشرات من الصواريخ العابرة للقارات من طراز منتمان وكان معنى ذلك أن الولايات المتحدة متفوّقة جداً على السوفيات .

لذلك لا غرابة في أن يشعر خروشوف بالقلق . إذ ستواجه روسيا مصاعب قاسية إذا ما اضطرّت للشروع في برنامج مكلّف للصواريخ العابرة للقارات ، أما إذا تمكنت من وضع صواريخها المتوسطة المدى المتوفرة لديها في كوبا فإنها قد تضاعف من قدرتها الضاربة ضد الولايات المتحدة (وبالتالي فقد وضع ٤٢ صاروخاً استراتيجياً و ٤٢ قاذفة استراتيجية في كوبا) وسيكون لدى روسيا صواريخ لا تبعد أكثر من ٩٠ ميلاً عن الساحل الامريكي وسوف تقفز من فوق حلف الأطلسي وتواجه البطن الناعم (أي نقطة الضعف الخطرة) لامريكا . وبوضع الصواريخ في هذا المكان سوف تزداد الهيبة السوفياتية بالنسبة للصين . كما أن الاتحاد السوفياتي سيصبح في وضع أفضل لارهاب الامريكيين حول قضية برلين في أية مجابهة ألمانية في المستقبل ، كذلك فإن خروشوف نظر لكندي على أنه ضعيف ومفتقر إلى التجارب لأنه أخفق في التصرف بالنسبة لجدار برلين وسمح لغزو جزر الخنازير بالفشل .

وفي آب سنة ١٩٦٢ وصل إلى كوبا ٥٠٠٠ فنّي روسي مع صواريخ سام ، وتبع ذلك وصول قاذفات قنابل من طراز اليوشين ، وفي ١٤ تشرين الأول طارت طائرة من طراز يو / ٢ فوق غرب كوبا قرب سان كريستوبال وأخذت صوراً كشفت عن وجود مواقع صواريخ (وبسبب العواصف المدارية لم تحلق طائرات يو / ٢ فوق سان كريستوبال منذ أواسط آب) فأمر كنيدي بمزيد من الرحلات الجوّية . وفي ١٦ تشرين الأول كشفت الصور المفصلة عن عدد من الصواريخ يتراوح بين ١٦ ـ ٣٢ ويقال أن مكنمارا وزير الدفاع قال « الصاروخ هو الصاروخ وليس ثمة من فرق إن قتلت هنا بصاروخ أطلق من الاتحاد السوفياتي أو من كوبا » ولكن دقّة هذه الصواريخ ستكون عالية جداً ، وان فترة الانذار الامريكية سوف تتقلص لتتراوح بين ٣٠ ثانية ودقيقتين .

وفي ١٨ تشرين الأول حدثت مقابلة مرتبة مسبقاً مع غروميكو وزير الخارجية السوفياتي ، وكرّر القول بأنه ليس لدى السوفيات صواريخ هجومية في كوبا ، فذعر كنيدي وقال انه ما لم يوضّح للسوفييت أن تهديداً كهذا

وخداعاً كهذا لا يمكن احتمالها ، فإن أمريكا لن تشعر بالأمان في التفاوض مع روسيا مرّة أخرى ، وقال كنيدي لدين اتشيسون « هذا هو الاسبوع الذي يجب أن أتقاضى فيه راتبي بصورة أفضل » . واجتمعت اللجنة التنفيذية لمجلس الأمن القومي لبحث الخيارات ، فلو تمّ سلوك الطرق الدبلوماسية فقط ـ سواء مع خروشوف أو كاسترو أو الأمم المتحدة أو الجميع معاً ، فإنه سيكون باستطاعة السوفييت أن يكسبوا الوقت الضروري لإقامة مواقع الصواريخ ، وكان ثمّة من الخيارات العسكرية بما في ذلك رأي الجنرال مكسويل تيلور الذي فضّل « القيام بضربة جوية تكون بمثابة عملية جراحية » ، وفضّل البعض الآخر غزو كوبا ، وفي كل من الحالتين سيقتل فنّيون من الروس وعند ذلك قد يضطر خروشوف السريع الانفعال وربما بضغط من اتباعه الطموحين في المكتب السياسي للحزب الشيوعي إلى تصعيد الوضع في برلين وتركيا وربما نحو حرب عالمية ثالثة شاملة .

غير أن كنيدي جذبته بسرعة فكرة مكنمارا وهي فرض « حصار » على كوبا سماه كنيدي « بالحجر الصحي » لأن هذا الأسلوب سوف يتيح لخروشوف الوقت لإعادة النظر في الوضع ولكنه لسوء الحظ سيتيح الوقت لنشر الصواريخ ، ولذلك صدرت الأوامر للعسكريين من أجل إعداد الطائرات اللازمة لضربة جوية ضد كوبا في أي وقت بعد ٢٣ تشرين الأول . (وقد افترض أن بعض الصواريخ السوفياتية ستكون عاملة بحلول ٢٨ تشرين الأول) . ومن أجل الإبقاء على خيار الغزو فقد وجّه مائة ألف جندي إلى فلوريدا مع أكثر من ١٠٠ سفينة و ٤٠ ألف من مشاة البحرية لممارسة « الحجر » على كوبا . وفي ١٩ تشرين الأول جرى إعلام بريطانيا بالقرار الامريكي . وفي ٢٠ تشرين الأول أتاح صدام عسكري بين الصين والهند على الحدود (مقدمة الحرب التي نشبت على تلك الحدود) إمكانية ضغط صيني سوفياتي مشترك ضد الغرب ، ويبدو أن كنيدي لم يكن يدرك آنئذٍ مدى الانشقاق الصيني السوفياتي الذي جعل هذا التعاون مستبعداً .

وفي ٢١ تشرين الأول غادر كنيدي إلى ولاية ايلينوي لاستئناف الحملة الانتخابية للكونغرس في شهر تشرين الثاني . ولذلك ظل الامريكيون والسوفيات في هذه المرحلة جاهلين بمعرفة كنيدي عن الصواريخ في كوبا . وقد فوّض كنيدي سورنسون أحد مساعديه بإعداد مسوّدة خطاب كان الرئيس ينوي إلقاءه في الإذاعة والتلفزيون الساعة السادسة مساء الثاني والعشرين من تشرين الأول . وظل كنيدي على اتصال هاتفي مستمر مع واشنطن وكذلك سيطر على الوضع وقال في إحدى مكالماته « اخبروا سورنسون انه يكتب خطاباً يعلن فيه حصاراً وليس معركة نهاية العالم » وفي يوم ٢٢ تشرين الأول جرى إعلام ٤٣ حكومة بما فيها الاتحاد السوفياتي عن الحصار الوشيك ، وأرسل دين اتشيسون شخصياً إلى ديغول وقد كان متوقعاً منه أن يكون مزعجاً (للأمريكيين) ولكنه قبل بالرأي القائل « ان الرئيس كنيدي ليس لديه أي خيار آخر ضمن الظروف الراهنة » وخلال النهار أخلي الأطفال والنساء من غوانتانامو ، وتحوّلت قاذفات ب /٤٧ إلى أربعين مطاراً مدنياً ووضعت قاذفات بـ/ ٥٢ في حالة الإنذار القصوى ، ثم أعدت ١٥٦ صاروخاً عابراً للقارات للانطلاق الفوري ، وفي الساعة السادسة مساء أعلم الرئيس الجمهور الامريكي بالصواريخ والحصار وذكر بأن :

« الثلاثينات من هذه القرن علمتنا درساً واضحاً وهو انه إذا أتيح للسلوك العدواني أن يستمر دون معارضة أو تحدّي فإنه يؤدي إلى الحرب في النهاية . . . وستكون سياسة هذه الأمّة قائمة على اعتبار أي صاروخ نووي ينطلق من كوبا ضد أي بلد في نصف الكرة الغربي بمثابة هجوم من الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة ، ويتطلب رداً ثأرياً شاملاً ضد الاتحاد السوفياتي . . . (وطالب) الرئيس خروشوف أن يوقّف ويزيل هذا التهديد السرّي المتهوّر والاستفزازي للسلام العالمي (وان ينتهز) الفرصة لابعاد العالم عن هوّة الدمار » .

وفي ٢٣ تشرين الأول لم يصدر ثمّة رد فعل من برلين أو كوبا ، وقبلت

منظمة الدول الامريكية الحصار بأكثرية ١٩ صوتاً ضد لا شيء . وبحلول المساء كان الخبراء السوفيات يعملون في مواقع الصواريخ تحت المشاعل ، لقد أساء خروشوف كثيراً تقدير رد فعل كنيدي ، فقد رفض كنيدي أن يستدرج إلى الأمم المتحدة ليتورط هناك وفاجأ خروشوف بالسرعة التي تمّ بها الحصار والسرعة التي تشاور بها كنيدي مع حلف الأطلسي ومع منظمة الدول الامريكية ولم يكن في نيّة كنيدي أن « يتفاوض تحت تهديد السلاح » كما كان مصمّماً على عدم « السماح للاحداث بالخروج عن نطاق السيطرة » وعلى بعد ٨٠٠ ميل كانت سفن الولايات المتحدة خارج مدى طائرات الميج الكوبية وتمّ اعلام السفن الحربية الامريكية ان قرار اقتحام السفن الروسية أو ضربها إذا حاولت اختراق الحصار يجب أن يصدر من الرئيس شخصياً ومباشرة ، وكان كنيدي يبذل محاولات يائسة لتفادي ضرورة القيام بضربة جوية ضد مواقع الصواريخ ، وكانت أفضل التقديرات هي أن ١٠ ٪ (أي سبعة صواريخ) ستظل سليمة بعد ضربة كهذه ولذلك كان البديل هو ممارسة الضغط على خروشوف ليتراجع .

وفي يوم الأربعاء ٢٤ تشرين الأول كانت هناك سفينتان سوفياتيتان وغوّاصة تسير تحت الماء تقترب من خط الحصار البالغ طوله ٥٠٠ ميل (وقد قلّصه كنيدي من ٨٠٠ ميل إلى ٥٠٠ لاعطاء خروشوف مزيداً من الوقت للتفكير) . وفي الليلة السابقة قام المدعي العام روبرت كنيدي بإعلام دوبرينين السفير السوفياتي « بأننا سنعيد سفنكم أدراجها » وقد علم خروشوف أن القيادة الجوّية الاستراتيجية الامريكية كانت في حالة الإنذار القصوى ، وان امريكا كانت تمتلك قوّة نووية تزيد عن قوة الاتحاد السوفياتي وان الاسطول السوفياتي التقليدي لم يكن ندّاً لنظيره الامريكي ، وعلم كنيدي أن السفن الروسية أبطأت من سرعتها ثم توقفت ثم عادت أدراجها ، وأصدر الرئيس الامريكي أمراً فورياً بعدم ازعاج أية سفينة روسية إذا ما ظلّت وراء خط الحصار ولكن هل كان السوفييت يقومون بإعادة تجمع لقواتهم ومن ضمنها ست غواصات في

منطقـة الكاريبـي ؟ وبحلـول ٢٤ تشرين الأول اطلـع الـرئيس كنيدي على تقديرات موثوقة بأن أكثر من ٣٠ صاروخاً كانت موجودة في كوبا (وكانت تكفي لقتل حوالي ٨٠ مليون امريكي) وتجاهل طلب أو ثانْـت سكرتـير عام الامـم المتحدة الـذي طالـب بإنهـاء الحصـار واتاحـة فتـرة ثلاثـة أسـابيع من أجـل التفاوض .

وفي ٢٥ تشرين الأول وصلت رسالة من خروشوف اتهمت كنيدي بأنه كان يلعب بالنار النووية بصورة متهـوّرة ، واتهمـه بالقرصنـة « والعـدوان » (وبالطبع - يمكن القول بأن الحصار في عرض البحر أو الصعود إلى سفن أجنبية كان يشكل أعمالاً حربية) . وبناء على أوامر من كنيدي سمـح لسفينـة نفـط سوفياتية اسمها « بوخارست » بعبور خط الحصار عندما نوديت وأجاب ربانها بأنها كانت تحمل نفطاً فقط ، ولكن الحصار كان لا يزال مستمراً ومع أن نوعية الصور أعطت السوفيات فكرة عن قدرة طائرات يو / ٢ الامريكية إلا أن كنيدي وافق على نشر صور الصواريخ الكوبية ، وهكذا كان في وسع ادلاي ستيفنسون السفير الامريكي في الامم المتحدة احراج السفير السوفياتي الذي كان لا يزال ، بناء على أوامر من خروشوف يرفض التسليم بوجود أية صواريخ سوفياتية من هذا النوع في كوبا .

وفي يوم الجمعة الموافق ٢٦ تشرين الأول أمر كنيدي بتحليق الطائرات فوق مواقع الصواريخ مرة كل ساعتين على ارتفاع ٧٠٠ قدم وبالقاء ٥ ملايين نشرة ، باللغة الاسبانية « تفسر » أسباب غزو الولايات المتحدة لكوبا ، ولكن وصلت رسالة جديدة من خروشوف الساعة السادسة مساء وقد اقترح الزعيم السوفياتي الذي كان متوتـر الاعصـاب ان لـم نقـل مذعـوراً ان يتـم سحـب الصواريخ السوفياتية عن كوبا مقابل تعهد الولايات المتحدة بعدم غزو الجزيرة في المستقبل ، وقد صمم كنيدي على اتخاذ جانب الحذر فطالب بتحليل لفحوى الرسالة في الصباح التالي ولكن بما أن الولايات المتحدة والاتحاد الـسوفياتي يتبعان توقيتين مختلفين ، فإن هذا التأخير أعطى مجلس السوفيات الأعلى فرصة لاحلال

عرض جديد محل مبادأة خروشوف الشخصية ، وقد تلقى كنيدي هذا العرض يوم السبت في ٢٧ / ١٠ .

وطالبت الرسالة الثانية بإزالة صواريخ جوبتر الامريكية (والتي كانت قد أصبحت متخلّفة عن الزمن) من تركيا مقابل إزالة الصواريخ السوفياتية من كوبا ، وقد أوردت جريدة « التايمز » الصادرة في ٢٩ تشرين الأول العرض : « إن صوار يخكم موجودة في إيطاليا ومصوّبة ضدنا ، وصوار يخكم موجودة أيضاً في تركيا ، وأنتم تقلقون من كوبا ، وتقولون انها تقلقكم لأنها على بعد ٩٠ ميلاً بحرياً عن ساحل أمريكا ولكن تركيا محاذية لنا ، وحراسنا يتمشون جيئة وذهاباً وينظرون إلى بعضهم البعض » .

واستشاط كنيدي غضباً لعدة أسباب ، إذ كان قد أمر بإزالة صواريخ جوبتر منذ سنة ١٩٦١ ولأن تركيا وهي حليف قوي ، يجب أن لا تتعرض للخذلان . ولأنه أصبح لديه شكوك الآن حول من يحكم الاتحاد السوفياتي فعلاً ، ولأن هجوماً على كوبا سيؤدي بوضوح إلى مخاطر ردّ انتقامي سوفياتي ضد تركيا وبذلك يتورّط حلف الاطلسي في حرب أوروبية محتملة إن لم تكن حرباً عالمية .

وكان يوماً قاسياً ، ففي الساعة العاشرة والربع صباحاً أسقطت طائرة يو / ٢ التي كانت قد التقطت صوراً فوتوغرافية يوم ١٤ تشرين الأول ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر « ضلّت » طائرة يو / ٢ أخرى طريقها فوق شبه جزيرة تشوكت(Chokut) الروسية مقابل الاسكا ، وكان كل من الزعيمين يحاول جاهداً السيطرة على الأمور والحيلولة دون أخطاء يرتكبها أتباعهما وقد تؤدي إلى كارثة لا يمكن العودة عنها ، وقد أمر كنيدي بنزع الرؤوس عن الصواريخ الامريكية وعدم إعادة تركيبها إلا بأمر محدد منه شخصياً ولكن سرت ثمة إشاعة تقول أن أفراد السفارة السوفياتية يحرقون سجلاتهم وهو عمل لا يجري في العادة إلا عندما تكون الحرب وشيكة الوقوع ، وحوالي الساعة الثامنة مساء أقنع روبرت كنيدي الرئيس بتجاهل الرسالة التي بعث بها المكتب

السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي والإجابة على اقتراح خروشوف ، فوافق الرئيس كنيدي ولكنه قال ان الجواب الامريكي يجب أن يحتوي على طلب رد سوفياتي بحلـول يوم الأحـد ٢٨ تشرين الأول . وحسـبما جاء في قول أحـد المؤ رخين الامريكيين « لم تقتصر الحكومة الامريكية في إعلام الروس أن ١٤٤ صاروخ بولاريس و ١٠٣ صواريخ أطلس و ١٠٥ صواريخ ثور وجوبتر و ٥٤ صاروخ تيتان كانت جاهزة لتحويل الاتحاد السوفياتي إلى كومة من النفـايات المشعّة خلال ثلاثين دقيقة ، يضاف إلى ذلك وجود ٦٠٠ صاروخ متوسط المدى عابر للقارات و ٢٥٠ صاروخ أخرى متوسط المدى و ١٦٠٠ قاذفة بعيدة المدى و ٣٧ حاملة طائرات لديها جميعاً قوة نيران تعادل ٣ ـ ٤ أضعاف قوة النيران التي يمكن للسوفيات وضعها في الجو »[٤] .

وكان كنيدي عازماً على انه إذا لم يأت جواب الروس على رسالته ، فإنه سيجري غزو كوبا يوم الاثنين في ٢٩ تشرين الأول ، وسيصبح العالم أقرب بكثير إلى حرب عالمية ثالثة .

وفي الساعة التاسعة من صباح ٢٨ تشرين الأول أذاع راديو موسـكو جواب خروشوف وجاء فيه « من أجل الاسراع في تصفية الصراع الخطر وخدمة قضية السلام . . . وتهدئة الشعب الامريكي ، فقد صدرت الأوامر لتفـكيك الأسلحة التي يصفونها بأنها هجومية وتعبئتها وإعادتها إلى الإتحاد السوفياتي ، وسرت إشاعات مفادها الجنرال كيرتيس لي ماي من القيادة الجوية الاستراتيجية نصح الرئيس الامريكي « بأن نهاجم يوم الاثنـين على أية حال » . ولـكن في الساعة ١٢ ظهراً أذاع راديو صوت أمريكا أن كنيدي قبل عرض خروشـوف الذي وصفه بأنه عرض « رجل دولة » ويروي عن وزير الخارجية الامـريكية دين رسك قوله « لقد نظرنا داخل فوهة المدفع فتراجـع الـروس » . وخـلال شهرين لم يبق لصواريخ تشرين أي أثر وحرثت الأرض فوق مواقعها وعاشت الحرب الباردة أحمى أيامها . وفي آب سنة ١٩٦٣ وافق الروس والامريكيون على معاهدة حظر جزئي للتجارب النووية ، وعلى إقامة خط تلفونـي ساخـن

للاتصال بين واشنطن والكرملين وأصبح من الممكن رؤ ية أوّل علامة للوفاق ، ولكن قدّر للامريكيين أن يبددوا جزءاً كبيراً من طاقاتهم خلال بقية الستينات في عملية ضخمة لمكافحة العصيان والثورة في فيتنام مما قد استنزف قواهم ولطّخ ديمقراطيتهم وحال دون تطوير حوار مع الاتحاد السوفياتي .

خارطة / ١٠



الفصل الحادي عشر

أسلحة الحرب الباردة

بدأ العصر الذري يوم ١٦ تموز سنة ١٩٤٥ في الاماغوردو في صحراء نيومكسيكو ، فقد انفجرت قنبلة من البلوتونيوم بعصف تعادل قوته التدميرية ١٤ ألف طنّ من مادة(TNT) ، وعندما كان روبرت أوبنهايمر مدير مشروع منهاتان الذي كلّف ٢١٩١ مليون دولار يرقب الانفجار اقتبس القول التالي من سرْي كريشنا ـ الذات العليا ـ: « لقد أصبحت أنا الموت بعينه ومدمّر العوالم » .

وكان استخدام القنابل الذرّية ضد المدينتين اليابانيتين هيروشيما ونجازاكي في ١٦ آب و ١٩ آب من آخر الأعمال التي تمّت في الحرب العالمية الثانية ، وإلى حد ما من جملة الأعمال الأولى في سجل الحرب الباردة ، ولا ريب في أن فاينبار بوش (رئيس لجنة الابحاث الدفاعية الوطنية الامريكية) اعترف بأن أحد أسباب استعجال التاريخ الذرّي في صيف سنة ١٩٤٥ كان « بدافع عدم إيجاد ضرورة للقيام بتقديم تنازلات لروسيا عند انتهاء الحرب » .

وفي أيلول سنة ١٩٤٥ كان أحد مصانع القنابل الذرّية قد بدأ انتاجه في البوكيرك ، وبدأ العلماء الألمان مثل د. فون براون الذي « أسر » في أيار سنة ١٩٤٥ يشرحون للامريكيين كيفية تشغيل صواريخ ف/٢ التي كانت قد « صودرت » خلال الحرب العالمية الثانية . غير أن أمريكا سنة ١٩٤٦ كانت لا تزال تأمل في تفادي الصراع مع السوفييت فقدمت مشروع باروخ الذي يتضمن سيطرة الأمم المتحدة على الأسلحة الذرّية واشرافها على الطاقات الذرّية الموجودة فعلاً أو الكامنة وضمان عدم قيام أي بلد بتطوير الأسلحة النووية وتكديسها ، إلا أن الأمم المتحدة كانت واقعة تحت السيطرة الامريكية سنة

١٩٤٦ ولذلك فإن أي « مراقبين » من الأمم المتحدة سيكونون موضع ارتياب شديد من قبل الاتحاد السوفياتي ، الذي يعتبر مجتمعاً مغلقاً ، ولا يرحّب بأي نوع من التفتيش الأجنبي ، يضاف إلى ذلك أنه حتى لو سلمت الولايات المتحدة أسلحتها للامم المتحدة فإنها لا تستطيع إزالة أو تدمير المعرفة المختزنة في عقول علمائها وقدرتهم على بناء أسلحة كهذه ولذلك فشل مشروع باروخ . ولذلك كانت المشاريع التي جاءت بعده تتضمن تحديدات على الأسلحة الذرّية الهيدروجينية وأنظمة أو أجهزة حملها أكثر مما كانت تتضمن مفهوم نزع السلاح النووي .

وقد أقلقت أحداث ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ كثيراً من الامريكيين بما فيهم إدوارد تيلر ، أحد اللاجئين المجريين وكان يعمل في القنبلة الذرّية منذ سنة ١٩٤٢ واشتغل في أبحاث متقدّمة في لوس الاموس في مركز القيادة بمشروع منهاتان ، وذلك بغية التوصل إلى جهاز أكبر يقوم على إندماج الذرّات وليس إنشطارها . وفي سنة ١٩٤٥ لم تكن أمريكا وعلماؤ ها قد بلغوا درجة في عدائهم للسوفيات تدعوهم للشروع في أبحاث على قنبلة كبرى أو أكثر تطوراً ، وقد قدّر الجنرال غروفز الرئيس العسكري لمشروع منهاتان أن الأمر سيستغرق من السوفيات عشرين سنة ليتمكنوا من انتاج سلاح ذرّي . وفي ٢٠ أيلول سنة ١٩٤٩ اكتشفت الولايات المتحدة أن روسيا قد فجّرت سلاحاً نووياً وأعطاه الغرب الاسم الرمزي « جو / ١ » .

وفي ٢٩ تشرين الأول أوكلت للجنة أمريكية كان من أعضائها أوبنهايمر ، مهمّة دراسة مزايا محاولة أمريكية لانتاج القنبلة الأكثر تطوراً ، وجاء في تقرير الأكثرية الذي أعدّه خمسة علماء ، « أننا جميعاً غير راغبين في رؤ ية الولايات المتحدة تبادر للاسراع في هذا التطور وفي تصميمنا على عدم السير نحو تطوير القنبلة العظمى فإننا نرى فرصة فريدة متاحة لاعطاء القدوة في فرض بعض القيود على شمولية الحرب ، وبذلك نحدّ من مخاوف البشر وننعش فيهم الأمان » . واستبدّ الغضب بعلماء مثل تيلر الذي كانوا يعتقدون « أنه لا يمكن

للبشر أن يرتدعوا حقيقة. ويفكروا في السير باعتدال في السياسة إلا إذا كبرت القنابل لدرجة أنها أصبحت قادرة على إزالة كل شيء وان معارضي القنبلة الهيدروجينية يشبهون النعام إذا ظنّوا أن باستطاعتهم دعم السلام في العالم »[1]
وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠ انفجرت قضية فوخس في بريطانيا وكان فوخس فيزيائياً نووياً هرب من ألمانيا النازية ، وانضم الى المشاريع النووية البريطانية ثم الامريكية وثبتت عليه تهمة التجسس للاتحاد السوفياتي ، وقد أمر ترومان مجلس الأمن القومي بإعادة النظر في « القنبلة العظمى » وقد أوصى كل من جونسون وزير الدفاع واتشيسون وزير الخارجية بخلاف ليلنثال رئيس لجنة الطاقة الذرّية ، بتطويرها. وفي ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٥٠ أعلن الرئيس ترومان « إن من مسؤ ولياتي كقائد أعلى للقوات المسلّحة ان أعمل ما في وسعي لتصبح بلادي قادرة على الدفاع عن نفسها ضد أي عدوان وبناء على ذلك فقد كلّفت لجنة الطاقة الذرّية بالاستمرار في عملها لانتاج كافة أنواع الأسلحة بما في ذلك ما يسمى بالقنبلة الهيدروجينية أو(القنبلة العظمى)[2] . وفي آذار سنة ١٩٥٠ أقنعت هيئة رؤ ساء الأركان المشتركة ترومان أن يخبر العلماء أن إنتاج القنبلة الهيدروجينية « كان أمراً ملحاً جداً » . وفي حزيران سنة ١٩٥٠ اندلعت نيران الحرب الكورية ، وخلال العامين التاليين اشتغل علماء مثل تيلر ومثل ستانسلاف أولام البولندي على القنبلة ، بينما كان جوني فون نيومان المجري يعمل على آلة المحلل الرياضي والمعامل العددي والحاسب ـ وهي أداة ضرورية للتحليل السريع للمعلومات الاحصائية المعقّدة المطلوبة لانتاج السلاح الجديد .

وفي ١ تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ بدأ عصر القنبلة الهيدروجينية ، فقد تفجّر سلاح وزنه ٦٥ طناً مولداً طاقة تعادل ٣,٥ مليون طن من مادة(TNT) وكادت أن تتفجّر كل جزيرة ايلوغالب(Elugaleb) الصغيرة . كما ولدت حفرة عمقها ١٧٥ قدماً وسعتها ميل واحد في قاع المحيط .

واستمر البحث ذلك لأن السلاح الذي يزن خمسة وستّين طناً ليس

سلاحاً عملياً وفي ١٢ آب سنة ١٩٥٣ انفجرت قنبلة هيدروجينية سوفياتية في سيبريا . ولكن في شهر آذار من السنة التالية فجّر الامريكيون سلاحاً آخر من المحيط الهادي له قوة تعادل ١٥ مليون طن من الديناميت ، وهكذا قطع العالم شوطاً بعيداً منذ أن ضربت قنبلة اليورانيوم الذرّية ذات ال ١٤٠٠٠ طن مدينة هيروشيما فقتلت ٧٠ ألفاً فوراً ومن صواريخ ف /٢ ذات السرعة البالغة ٣٠٠٠ ميل في الساعة والتي كانت تحمل على رأسها المخروطي طناً واحداً من مادة (T.N.T.) .

ومنذ سنة ١٩٥٤ بدأ السباق لتكديس القنابل الذرّية ولكن قاذفات ب /٤٧ الامريكية بعيدة المدى والقاذفات المماثلة لها عند الروس لم تكن الوسائل الوحيدة لحمل الشحنات النووية المتفجّرة ، فقد قضى الامريكيون والروس الخمسينات في إجراء أبحاث على الصواريخ أيضاً ، وتمّت تجربة أول صاروخ أرض ـ أرض سنة ١٩٤٧ ولكن في ١٩٥٧ كانت الصواريخ البالستيكية العابرة للقارات والبعيدة المدى فعلاً (أكثر من ٥٠٠٠ ميل) هي التي قصر عنها كلا الطرفين المتنافسين . وفي آب سنة ١٩٥٧ كان الروس هم أوّل من حقّق هدف الصاروخ البالستيكي العابر للقارات . وفي تشرين الأول أطلقوا إلى الفضاء قمراً اصطناعياً اسمه سبوتنك (Sputnik) أو « الرفيق /١ » ، وفي كانون الأول سنة ١٩٥٧ وفي مكان آخر ـ أطلق الامريكيون صاروخاً مداه خمسة آلاف ميل وسرعته ١٦٠٠٠ ميل في الساعة ، وتكاليف الصاروخ الواحد ٣٠ مليون دولار وهو من طراز أطلس العابر للقارات .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٤ لم تكن هناك صواريخ سوفياتية . وكان هناك تفوّق أمريكي من حيث القاذفات البعيدة المدى ، فأخذ دلاس يدعو لتأييد فكرة الرد الانتقامي الشامل بين الشعب الامريكي مجادلاً بقوله « انه لا يوجد دفاع محليّ يستطيع لوحده احتواء القوّة البرّية الهائلة للعالم الشيوعي » . . . ولذلك لا بد من تعزيز الدفاعات المحلّية برادع آخر مؤلف من

قوة رد شاملة . . . أو القدرة العظيمة على الرد الفوري »[٣] .

وأخذت فكرة مجابهة التحركات التقليدية السوفياتية بتهديد بهجوم نووي شامل تبتعد عن الواقعية بصورة متزايدة عندما تحول الرد الشامل إلى شارع ذي مسلكين وبدأت الصحف الامريكية تبين خرائط للمدن الامريكية تحيط بها دوائر متحدة المركز لمناطق « مدمّرة » ضربها صاروخ سوفياتي ربما يحمل رأساً نووياً يعادل ٥ ملايين طن من مادة(TNT) وفي حزيران سنة ١٩٥٩ نشرت لجنة الكونغرس الامريكية الخاصة بالطاقة الذرّية عدة شهادات تحلل آثار هجوم نووي سوفياتي على الولايات المتحدة قوته التدميرية ١٥٠٠ مليون طن من مادة (TNT) أي ما يعادل ١٥٠٠ ميجاطن ، واعترفت هذه الافادات أن هذا ليس الحد الأقصى للهجوم الذي يستطيع السوفيات شنّه وقدّروا أنه في حالة وجود حالات افتراضية محدّدة من الطقس ، وأنواع مفترضة محدّدة من الأهداف والأسلحة في يوم معين ـ وليكن الساعة ١٢ ظهراً يوم ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٥٨ ، فإنه سيقتل ٢٠ مليون أمريكي في اليوم الأول و ٢٢ مليوناً خلال الستين يوماً التالية ومعظمهم من أمراض الاشعاع . كانت هذه بعض الحقائق القاسية الكامنة وراء الحرب الباردة في أواخر الخمسينات واستمر بعدها سباق التسلح دون توقف .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٤ بدأت الغواصة الامريكية نوتيلس (Nautilus) التي تعمل بالطاقة الذرّية تجاربها ، وفي تموز سنة ١٩٦٠ حدثت أوّل تجربة لصاروخ (اسمه الرمزي بولاريس / أ١)(Polaris / A1) انطلق من غواصة أمريكية تحت الماء اسمها (جورج واشنطن) . وفي ١٩٦٠ كان باستطاعة اية غواصة نووية أن تبقى تحت الماء شهرين أو أكثر وأن تطلق صاروخاً مداه ١٥٠٠ ميل بحري وأن تضرب أي مكان في الاتحاد السوفياتي ما عدا مناطق محددة في أواسط روسيا حول أومْسك ، وبعد برهة وجيزة جاء صاروخ بولاريس / أ ٢

برأسه النووي المعادل لقوة ١٠ / ٧ ميغا طن ومداه البالغ ٢٥٠٠ ميل بحري (٢٨٥٠ ميلاً عادياً) كما وضعت في الخدمة الفعلية مئات من الصواريخ الامريكية الجديدة العابرة للقارات التي أطلق عليها اسم منتمان (Minuteman) . وفي سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ كانت هناك أقمار صناعية تحمل كاميرات مثل القمر الامريكي ساموس أو القمر السوفياتي كوزموس وهي تتجسس من السماء وغواصات البولاريس تجوب البحار والصواريخ العابرة للقارات وهي تنزل ببطء في أسطواناتها الاسمنتية الواقية في ولاية مونتانا الامريكية وفي سيبريا السوفياتية وبذلك أخذت أسلحة الحرب الباردة تتخذ مظهر الحداثة حتى أواسط السبعينات . ومع ذلك فثمّة فرقان واضحان . . . ففي أوائل الستينات كان التفوق الامريكي شديد الوضوح ولا سيما للروس ، وكذلك في سنة ١٩٦٠ أعطت قاذفاتُ القنابل طراز / فـ(V-Bombers) الرادعَ النوويَّ البريطاني المستقل مظهر المصداقية .

وفي سنة ١٩٥٢ فقدت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي احتكارهما النووي عندما فجّرت بريطانيا أولى قنابلها الذرّية ، وفقدتا احتكارهما للقنابل الهيدروجينية سنة ١٩٥٧ عندما فجّرت بريطانيا قنبلتها الهيدروجينية الأولى ، وكانت بريطانيا مكتفية بقاذفاتها من طراز فكتور(Victor) وفاليانت(Valiant) في أواسط الخمسينات فتحولت الى تطوير الصواريخ في نهاية العقد ، وبعد اخفاقات باهظة الثمن (وحالات قريبة من النجاح باهظة الثمن مثل بلوستريك Blue Streak) بين سنة ١٩٥٧ و ١٩٦٢ استخلص رئيس الوزراء البريطاني مكملان من الرئيس كنيدي في مؤتمر نساو سنة ١٩٦٢ اتفاقية تشتري بريطانيا بموجبها صواريخ بولاريس من الولايات المتحدة ، وبعد تركيب رؤوس حربية بريطانية عليها أصبحت هذه الصواريخ جزءاً من إسهام بريطانيا في التحالف الغربي ، وكان هناك ستة عشر صاروخاً في كل واحدة من الغواصات النووية الأربع التي بدأ تشغيل الأولى منها سنة ١٩٦٧ أما قاذفات القنابل البريطانية من طراز ف فقد أخرجت من الخدمة النووية في سنة ١٩٦٨ .

أما الرادع النووي الفرنسي فقد كان ، بعكس النووي البريطاني ، غير مخصص لخدمة حلف الأطلسي ، كما أن القوة النووية الفرنسية تحوي قاذفات قنابل نووية وصواريخ متمركزة على البر ،وفي بلاتود البيون أو الهضبة البيضاء (Plateua D'Albions) شمال مرسيليا بخمسين ميلاً توجد المجموعة الأولى للصواريخ الاستراتيجية التابعة لسلاح الجو الفرنسي المؤلفة من ثمانية عشر صاروخاً يبعد كل منها عن الآخر عدة أميال ومداها ١٥٠٠ ميل وتحمل رؤ وساً نووية قوتها ١٥٠ كيلو طن أو ١٢ ضعفاً لقوة قنبلة هيروشيما كما تحتوي القوة الضاربة أيضاً على ثلاث وثلاثين طائرة ميراج / ٤أ مدى الواحدة منها ٣٠٠٠ ميل إذا زودت بالوقود من الجو . وطاقمها مؤ لف من شخصين وسرعتها ضعف سرعة الصوت ، وتحمل تحت جسمها قنبلة واحدة تعادل قوتها ١٠٠ كيلوطن كما توجد أربع غواصات نووية (ستنضم اليها خامسة) إحداها مسلحة بستة عشر صاروخاً مدى الواحد منها ١٩٠٠ ميل ويحمل رأساً نووياً تعادل قوته ٥٠٠ كيلو طن . أما الثلاث الأخرى فمسلحة كل منها بستة عشر صاروخاً مدى الواحد منها ٣٠٠٠ ميل وتعادل قوته مليون طن . بل أن فرنسا قامت بصنع طراز مشابه لما في ترسانة أمريكا الضخمة والمتنوعة من الأسلحة النووية التعبوية وتشمل ثلاثين صاروخاً من طراز بلوتون ويحمل كل منها رأساً حربياً تعادل قوته ١٥ ـ ٢٥ كيلوطن ومداه خمسة وسبعون ميلاً .

وكان الجنرال ديغول ، رغم أنه ليس البادىء في البرنامج النووي الفرنسي ، مؤ يداً كل التأييد لردع فرنسي مستقل ووصف الحاجة إلى الاستمرار في تطوير القوة الفرنسية بقوله في نيسان سنة ١٩٦٤ « إذا تخلّت فرنسا عن القدرة على ردع العدو في مهاجمتها فإن ذلك يعني تسليم دفاع فرنسا وبالتالي وجودها لحام أجنبي أي حام لا يعتمد عليه . كلا ، إننا نستحق شيئاً أفضل من ذلك »[٤] . واستعمل البريطانيون منطقاً مماثلاً لتبرير قرارهم في أن يصبحوا دولة نووية . « كان علينا المحافظة على موقعنا بالنسبة للامريكيين ولا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بأن نصبح في قبضتهم بصورة كاملة »[٥] . وكثيراً ما يشير

منتقد الروادع البريطانية والفرنسية إلى التفاوت الضخم بينها وبين قوة الدولتين الأعظم النووية ، ويرد على هذا الانتقاد في باريس ولندن بشعار الردع المتناسب ، وإذا كان ممكناً للاتحاد السوفياتي هزيمة أمريكا أو تحول الصين إلى حليف خاضع تابع ، فإن ذلك قد يتطلب مغامرة كبرى في التضحية بعدد كبير من سكان الاتحاد السوفياتي لردع السوفيات عن محاولة القيام بأعمال كهذه ، لكن خطر فقدان موسكو ولينغراد قد يردع الاتحاد السوفياتي عن محاولة غزو بلد أصغر منه ، وبذلك وحسب هذا المنطق فإن القطر الصغير يحتاج من القوة الرادعة قدراً أقل مما تحتاجه القوة العظمى لإعطائه نفس الدرجة من الأمان . وبالطبع فإن أقوى حجّة ضد هذه القوة الرادعة هو أنها معرضة للخطر عسكرياً فطائرات الميراج معرضة للدمار إذا جاء الهجوم سريعاً بحيث أنها لا تتمكن من الارتفاع عن الأرض . وجاء في أحد التقديرات أن اثنين وسبعين صاروخاً عابراً للقارات تستطيع إزالة قواعد بلاتون البيون من الوجود . وبوجود ٤ غواصات فرنسية فإن الفرنسيين لا يستطيعون إلا إبقاء غواصتين في البحر في أي وقت ، وعندئذٍ سيكون السؤال هل يستحق تدمير فرنسا تلقي صواريخ تلك الغواصتين ؟ بالطبع رأى الصينيون أن هذه النظريات غير واردة في الخمسينات والستينات لأن الشعوب وليس القنابل هي التي تكسب الحروب .

ولكن بعد أن قامت الصين بنشر قواتها الاستراتيجية الخاصة وتصالحت مع « اللامعقول » فإن نظرة الزعامة التي خلفت ماو في بيكين أقل تفاؤلاً منه بكثير بالنسبة لاحتمالات الحرب النووية .

« إن القنبلة النووية نمر من ورق » هذا القول المشهور لماوتسي تونغ يعرفه الجميع ، وتقوم الصين بتطوير أسلحة نووية « ليس لأننا نؤمن بتفوق الأسلحة النووية وقدرتها الخارقة ، أو نخطط لاستخدام الأسلحة النووية . وهدف الصين هو كسر احتكار القوى النووية والقضاء على الحرب ، إننا نؤمن بالشعب فالشعب هو الذي يقرر نتيجة الحرب وليس الأسلحة مهما كانت »[٦] .

الفصل الثاني عشر

أمريكا وحرب فيتنام ١٩٥٤ ـ ١٩٧٥

في سنة ١٩٥٦ رفض دييم(Diem) رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية التعاون في انتخابات تشمل جميع فيتنام وبحلول سنة ١٩٥٨ كان يواجه عمليات اغتيال منتقاة بين كبار رجال القرى الموالين للحكومة ، وبحلول عام ١٩٦١ كان هناك قوة مؤلفة من ٢٠ ألف شيوعي فيتنامي (الفيتوكونغ أوVc) مصممين على عزله وإعادة توحيد فيتنام . وفي سنة ١٩٦١ كان في الجنوب ٦٨٥ مستشاراً عسكرياً أمريكياً فقط ، وكانوا هناك ليحولوا دون أن تكون فيتنام الجنوبية أول أحجار الدومينو التي تسقط تحت ضغط الشيوعيين الاسيويين . وكان ايزنهاور قد قال في نيسان سنة ١٩٥٤ « لديكم صف من أحجار الدومينو منصوبة ، فإذا أطحتم بأول حجر منها فإن الذي يحدث لآخر حجر منها هو أنه حتماً سوف يسقط بسرعة كبيرة »[١] ويبدو أن كنيدي قبل هذه النظرية ، فقد قال في أيلول سنة ١٩٦٣ «أن الصين كبيرة وتبرز بوضوح وراء الحدود مباشرة ، بحيث أنه إذا سقطت فيتنام الجنوبية فإن ذلك لن يعطي الصينيين وضعاً جغرافياً أفضل لمهاجمة رجال العصابات للملايو وحسب ، بل انه سيعطي أيضاً الانطباع بأن الصين والشيوعيين ستكون موجة المستقبل في جنوب شرق آسيا »[٢] . وكان الامريكيون قد حرموا من أخصائييهم في شؤ ون آسيا (وهم الرجال الذين طردوا من وزارة الخارجية خلال الفترة المكارثية بعد « فقدان » الصين) . ولذلك لم يكن الاميركيون متأكدين من أن جبهة التحرير الوطنية لجنوب فيتنام التي تأسست سنة ١٩٦٠ كانت توجهها الصين أو فيتنام الشمالية أو انها موجهة من تلقاء نفسها ، مع أن الجنرال هاركنز رئيس هيئة العمليات الامريكية في فيتنام جادل قائلاً في سنة ١٩٦٣ « من الواضح أن رجال العصابات لا يتمتعون بالدعم أو الامداد المنتظم من فيتنام الشمالية أو الصين أو من أي مكان آخر .

إنهم يعتمدون في الدرجة الأولى على ما يستطيعون الاستيلاء عليه »[٣] .

وكان التعرف على الفيتكونغ مسألة صعبة ، فقد كان كثيرون منهم في الشمال وعادوا ، وفي سنة ١٩٥٤ لحق ثمانون ألفاً من الفيت منه بزعيمهم لي دوان إلى شمال خط عرض ١٧ ، فهل كانوا جنوبيين وجزءاً من ثورة محلية ضد دييم أو هل كانوا متسللين شماليين ؟ وإذا كانوا شماليين ، فهل كانت فيتنام دولتين ؟ بالطبع حتى لو كان الفيتكونغ جنوبيين مشتبكين في حرب أهلية ضد حكومة دييم ، فإن تلك الحكومة كانت حكومة منتخبة (رغم أن الانتخابات التي أدارها وقتها شقيق دييم ليست « عادلة » بالمقاييس الغربية)، ولذلك فإنه كان من حق الولايات المتحدة أن تستجيب لطلب المساعدة من حكومة قائمة .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٦١ وبعد زيارة قام بها الجنرال مكسويل تيلور (الذي أصبح فيما بعد رئيساً لهيئة الأركان المشتركة) كممثل عسكري لكنيدي ، نصح بإرسال ٨٠٠٠ جندي أمريكي إلى فيتنام لمساعدة دييم بينما كان منهمكاً في بناء جيشه ليصل إلى مائتي ألف خلال سنة ١٩٦٢ .

وفي ٨ تشرين الثاني أوصى مكنمارا وزير الدفاع الامريكي وبضغط من جنرالاته بالتزام أمريكي عسكري أكبر . وكان جورج بول وكيل وزارة الخارجية قد عمل مع الفرنسيين بصورة وثيقة خلال الحرب في الهند الصينية وشاهد وقتئذٍ التفاؤل الخادع الذي كان يبديه الجنرالات ، كما خبر النشاط والاصرار لدى الفيت منه واستغلال الشيوعية للقومية والآثار الداخلية السيئة على فرنسا لحرب غير مرغوب فيها شعبياً . وقال بول لكنيدي انه سوف يكون لديه ٣٠٠ ألف جندي أمريكي في فيتنام خلال سنوات قليلة قصيرة ، فضحك الرئيس وقال « يا جورج ، لقد بلغت من الحماقة مداها »[٤] . وعندما اغتيل كنيدي كان في فيتنام الجنوبية ١٦٥٠٠ مستشاراً أمريكي . وبتصعيد كنيدي للالتزام الامريكي العسكري أوقع أمريكا في ورطة سياسية عسكرية . ومع ازدياد الالتزام ازدادت أيضاً الخطب البلاغية الامريكية لتأييد دييم بينما ذهب مراسلو الصحف بل ورجال التلفزيون إلى فيتنام وذاق الجمهور الامريكي أول

طعم لحرب برّية في آسيا . وظلّت تقارير الجنرال هاركنز طيلة سنتين ونصف قبل إعفائه من منصبه وهي تسرف في تقدير نجاح الولايات المتحدة وتبالغ في تقليل أهمية « الرجال الصفر الصغار » الذين كانوا يرفضون إرتداء الزيّ العسكري ، أو الاحتفاظ بالأرض أو القتال في ضوء النهار ، أو اتباع ميثاق جنيف . وخلال سنة ١٩٦٢ أخذ كنيدي يشاهد أن تورطه أخذ يزداد حجماً واندفاعاً بصورة تلقائية والرئيس يوافق على مطالب العسكريين للنابالم ولإيجاد مناطق خاصة بحرية الرماية فيها والأدوية التي تؤدي إلى إسقاط أوراق الأشجار . وقام مكنمارا بزيارة فيتنام سنة ١٩٦٣ ، ولكنه فضّل أن يفكر بمنطق المعلومات والمعطيات ـ مثل النسبة المئوية لازدياد عدد الضياع والقرى الاستراتيجية أو أعداد الفيتكونغ ـ بدلاً من طبيعة الحرب السياسية التي كان للعدو فيها مفهوم مختلف على أي حال عن غيره حول الخسائر « المقبولة » . أما أمثال مكسويل تيلور في البنتاغون والمتأثرين بمنطق الحرب الباردة أكثر من بعض مستشاري كنيدي المدنيين ، فقد قضوا سنة ١٩٦٣ وهم يخفون الحقائق التي مفادها أن دولة « تابعة » تؤيدها الآلة الحربية الامريكية كانت عاجزة عن كسب حرب ضد رجال العصابات الفلاحين . وفي أول تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ اغتيل دييم وغادر هنري كابوت لودج سفير الولايات المتحدة في سايغون العاصمة الفيتنامية الى واشنطن ليشرح لكنيدي الوضع المفجع في فيتنام . ووصل ليجد أن كنيدي نفسه قد اغتيل وان الرئيس الجديد جونسون كان مصمماً هو الآخر على « عدم فقدان » فيتنام فقد قال « لن أكون الرئيس الذي شهد جنوب شرق آسيا يسلك الدرب الذي سلكته الصين » . وفيما بين تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ وسنة ١٩٦٥ شهدت سايغون اثني عشر تغييراً في الحكومة . لكن الولايات المتحدة بقيت مصمّمة على أهدافها ، وفي أواسط آذار سنة ١٩٦٤ وضع مكنمارا تقريراً يذكر فيه نوايا الولايات المتحدة وجاء فيه :

« نحن نسعى إلى إيجاد فيتنام جنوبية مستقلة وغير شيوعية ولا نطلب أن تكون بمثابة قاعدة غربية أو عضو في تحالف غربي ، لكن فيتنام الجنوبية يجب أن

تكون حرة في قبول المساعدة الخارجية اللازمة للحفاظ على أمنها . وما لم تستطع تحقيق هذا الهدف في جنوب فيتنام فإن جميع جنوب شرق آسيا تقريباً سوف يقع على الأرجح تحت السيطرة السوفياتية ، ويخضع للشيوعية بحيث يزيل النفوذ الفعّال للولايات المتحدة وخصوم الشيوعية (بورما) ، أو يقع تحت سيطرة قوة ليست الآن شيوعية بصورة مكشوفة ولكن يحتمل أن تصبح كذلك (أندونيسيا) . وقد تصمد تايلند بعض الوقت بمساعدة منا لكنها ستكون تحت ضغط خطير ، بل أن الفيليبين قد تصبح في وضع مهزوز . كما سيزداد كثيراً التهديد للهند في الغرب ، واستراليا ونيوزيلندا في الجنوب ، وتايوان وكوريا واليابان في الشمال والشرق »[٥] .

كان هذا منطق الدمينو بكل بساطة ودون أية إضافات ، فقد كان جونسون مصمماً على الصمود ، وتنفيذ التزامات أمريكا وحماية الصفيح والمطاط والتنغستن في الهند الصينية والإثبات لماو ولجميع رجال العصابات الموجودة في العالم بأسره أن الحرب الشعبية يمكن إفشالها .

وفي آب سنة ١٩٦٤ زُعِم أن قوارب الدولة الفيتنامية الشمالية أطلقت النار على المدمرات الامريكية التي قيل انها كانت في المياه الدولية . « وحسب أوراق البنتاغون » التي سَرَّبَهَا دانيال السبرج أحد محللي وزارة الدفاع ، إلى الصحف في حزيران سنة ١٩٧١ ، كان لدى جونسون قرار جاهز ومنتظر لاستفزاز كهذا منذ شهور وبعد أن يوقّعه الكونغرس كان سيعطيه سلطات واسعة لمعالجة أزمة فيتنام . وهكذا بدأت أول أعمال القصف الهجومي على فيتنام الشمالية . واستناداً إلى التقارير الامريكية فإن الجنود النظاميين الشماليين تسللوا إلى الجنوب في شتاء سنة ١٩٦٤ للقيام بضربة قاضية ، فكان هذا مبرراً لإرسال أعداد كبيرة من القوات البرّية الامريكية الى فيتنام وللقصف الاستراتيجي للشمال بالقنابل . وتطوّرت الحرب « ولمدة شهرين خلال انتخابات سنة ١٩٦٤ كان رأي الادارة أن الحرب في فيتنام الجنوبية تغطي نفقاتها . وعندما بدأ القصف الاستراتيجي لشمال فيتنام ظهرت معلومات فوراً

لتثبت أن (العدوان من الشمال)، كان مفتاح كل شيء »[٦] . وفي آذار سنة ١٩٦٦ انتقد السناتُور كلاركُ مكنمارَا الـذي كان يتحـدث عن قوات فيتنـامية شمالية قوامها ١٥٠٠٠ جندي في الجنوب مقابل ٢٢٠ ألف فيتكونغ أي ٦,٥ ٪ من المجموع بعد ١٣ شهراً من التسلل الكثيف[٧] ، إلا أن جونسون ظل يشير إلى التهديد الشيوعي للغرب ، وفي نيسان سنة ١٩٦٥ جادل قائلاً « أن بيكين تحرّض حكام هانوي ، وفي الصين نظام حكم قضى على حرّية التيبت وهاجم الهند ونددت الامم المتحدة بعدوانه على كوريا ، والصينيون يساعـدون قوى العـدوان في كل قارة تقريبـاً . والصراع في فيتنـام جزء من نمـوذج للأهـداف العدوانية ، يشمل العالم بأسره » . والواقع أن الولايات المتحدة نفسها اعترفت أن الصينيين أعطوا معونة لفيتنام الشمالية قيمتها ٣٥ مليون دولار مقابل ٢٢٥ مليوناً تلقتها فيتنام الشمالية من الاتحاد السوفياتي[٨] .

وقد ثبت أن سنة ١٩٦٥ كانت سنة توتر بالنسبة لامريكا ، إذ تدخـل مشاة البحرية الامريكيون في جمهورية الدومنيكان إحدى جزر البحر الكاريبي وذلك للحيلولة دون سيطرة اليسار عليها ، أما في أندونيسيا فقد برز احتمال قيام انقلاب مدعوم من الشيوعيين بالسلاح ، وفي سنة ١٩٦٧ قال روبرت كنيدي « منذ أقل من عامين كنّا مستعدين لقبول الشيوعية في أندونيسيا وهي بلد يبلغ تعداده مائة مليون نسمة وغني بالموارد ويقع في منطقة حسّاسة في مضيق ملقا ويطوّق الفيليبين »[٩] . وبما أن الغزو المسلح كان السبيل الوحيد لمنع الانقلاب وبسبب تورّط أمريكا الشديد في فيتنـام فإنهـا لم تتدخـل في أنـدونيسيا وقـام الجنرالات الاندونيسيون أنفسهم بمعالجة قضية الشيوعيين عندهـم وذلك بأن ذبحوا عشرات الآلاف منهم في انقلاب استبقوا به الانقلاب الشيوعي المزمع .

وفي فيتنام اتجه الامريكيون الذين أصيبوا بإحباط متزايد نحو استخدام الغاز غير القاتل ، والقنابل الفوسفورية وأسلحة مضادة للافراد وقنابل النابالم وقصف الشمال بالقنابل المسماة « بالدقيقة الإصابـة » . وفي سنـة ١٩٦٥ قدّر أحد رجال الكونغرس الامريكي بأن قتل أحد افراد الفيتكونغ من أعداء نظام

الجنرال ثيو في فيتنام الجنوبية كان يكلف الامريكيين أربعمائة ألف دولار[١٠] ، غير أن الحرب كانت تشنّ في الريف القليل السكان نسبياً وذلك إلى أن جاء هجوم تيت في سنة ١٩٦٨ الذي هاجم فيه الفيتكونغ المدن الرئيسية بما فيها هْوِي حيث تراجعوا تاركين وراءهم ألف شخص قاموا بإعدامهم من المواطنين ، وتسلل خمسة آلاف منهم إلى سايغون وأغاروا على القصر الجمهوري ومحطّة الإذاعة والمطار بل والسفارة الامريكية وذلك في كانون الثاني سنة ١٩٦٨ (وفي نفس الشهر قرر الكوريون الشماليون الدخول في الصراع ضد الامريكيين بصورة أكثر نشاطاً وذلك باستيلائهم على سفينة التجسس الامريكية بويبلو التي كانت من ناحية نظرية موجودة في المياه الدولية ، ولم يتم الافراج عن بحارتها إلا بعد ثلاثة عشر شهراً) . أما في فيتنام فرغم أن هجوم تيت لم يؤد إلى انتفاضة عامة ، إلا أن الامريكيين أخذ ينتابهم شعور متزايد بعدم الأمان ، وفي آذار تصدرت أخبار قرية ماي لي / ٤ (أو بِنْكْفيل) صفحات الجرائد في الولايات المتحدة حيث قامت قوات من الفرقة الامريكية بذبح ١٠٩ من النساء والأطفال في إحدى جرائم الحرب ، وكانت نسبة التفوّق (ضد الشيوعيين) في الملايو والبالغة ١٠ : ١ أو ١٢ : ١ أمراً غير وارد في فيتنام ، لأنه في آذار سنة ١٩٦٨ كان ٥٣٥ ألفاً مس الامريكيين و ٥٥ ألفاً من الحلفاء يضاف إليهم ٣٥٠ ألفاً من جيش فيتنام الجنوبية و ٤٠ ألفاً من الميليشيا يواجهون ٢٠٠ ألفاً من الفيتكونغ و ٦٠ ألفاً من جيش فيتنام الشمالية النظامي . وازدادت عدم شعبية جونسون ولذلك قرر عدم خوض الانتخابات لاعادته رئيساً سنة ١٩٦٨ وحلّ نيكسون محله كرئيس للجمهورية في كانون الثاني سنة ١٩٦٩ .

وفي غوام صاغ نيكسون سياسة خارجية جديدة لآسيا وذلك في شهر تموز سنة ١٩٦٩ ، فبينما ظلّت أمريكا تفي بالتزاماتها ضمن إطار المعاهدات السابقة إلا أنه كان واجباً منذ الآن « ان نزن بدقة مصالحنا عند التورط في التزامات جديدة وأن نتفادى رد الفعل التلقائي إزاء التهديدات » . ومع أن نيكسون استمر في المحافظة على الدرع النووي الامريكي في آسيا ، إلا أنه عبّر عن

« عزمه على مساعدة الآخرين في مواجهة الاشكال الأخرى للعدوان وذلك بتوفير المساعدة العسكرية والاقتصادية ، وفي ذات الوقت تكليف الدولة الأخرى المعرضة للتهديد بتوفير القوة البشرية اللازمة للدفاع عنها »[١١] .

وكانت سنة ١٩٦٩ سنة مرعبة في فيتنام إذ زاد عدد القوات الامريكية فيها عن ٥٤٩ ألفاً من الجنود وكان معدل عدد القتلى بينهم ٢٧٨ في الاسبوع ، بينما كان ٤٠ ٪ فقط من سكان فيتنام الجنوبية الريفيين خاضعين لسيطرة الحكومة ، كما كان التضخم في فيتنام الجنوبية يرتفع بنسبة ٣٥ و ٤٥ ٪ ، « ووصلت التكاليف الاضافية للحرب في أمريكا ٢٢ بليون دولار سنوياً »[١٢] .

وفيما بين سنة ١٩٦٩ وسنة ١٩٧٢ أخذت سياسة « الفتنمة » تستمر بسرعة (وهي سياسة قامت على جعل حكومة فيتنام الجنوبية تتولى مسؤ ولية إدارة دفة الحرب) ومع شهر كانون الأول سنة ١٩٧٢ لم يبق في فيتنام سوى ٢٥ ألف جندي أمريكي رغم وجود ٩٨ ألف جندي في تايلند وغوام وعلى متن الاسطول السابع ، وفي سنة ١٩٧٢ كان ٨٠ ٪ من السكان في فيتنام الجنوبية خاضعين نظرياً لسيطرة الحكومة ، كما تمّ إعادة توزيع مليون فدّان من الأراضي وساعد الامريكيون من خلال عمليتهم ضد حشود جيش فيتنام الشمالية في كمبوديا سنة ١٩٧٠ وعمليات ثيو ضد قوات هوتشي منه في لاوس سنة ١٩٧١ ، على « كسب الوقت المطلوب بجعل حليفتنا (فيتنام الجنوبية) مكتفية ذاتياً »[١٣] .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٣ ظهرت فكرة « السلام مع الشرف » لكن التكاليف كانت باهظة ، فقد ذكر التقرير الاستراتيجي سنة ١٩٧٢ انه في شهر كانون الأول سنة ١٩٧٢ كان ٧,٨ مليوناً من سكان فيتنام الجنوبية لاجئين ، علماً بأن مجموع عدد سكانها آنئذٍ كان ١٩ مليوناً وبحلول شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٥ ارتفع العدد إلى عشرة ملايين أو ٥٥ ٪ من السكان ، وفي ذلك الشهر بلغ عدد الايتام تسعمائة ألف ، وقبل نهاية سنة ١٩٧٣ بلغ عدد الاصابات بين العسكريين ١٨٠٦٧٦ من الفيتناميين الجنوبيين و ٩٢١٢٥٠ من فيتنام الشمالية

والفيتكونغ و ٥٦٢٢٦ قتيلاً أمريكياً و ٤٩٢٨ قتيلاً من كوريا الجنوبية و ٤٩٢ قتيلاً استرالياً و ٣٥ قتيلاً نيوزيلندياً . أما الإصابات بين المدنيين فقد قدّرت في فيتنام الجنوبية بـ ٤١٥ ألف قتيل و ٩٣٥ ألف مصاب ، وقدّرت الاصابات بين المدنيين في فيتنام الشمالية بحوالي ١٥٠ ألف قتيل بين سنة ١٩٦٩ وسنة ١٩٧٢ وهكذا بلغت الإصابات في فيتنام بشطريها حوالي ١,٨ مليون قتيل بين سنة ١٩٦١ وسنة ١٩٧٢ ، أما التكاليف المالية التي تكبدتها الولايات المتحدة في الحرب والمساعدات العسكرية فقد قدرت بين ١٠٩٤٨٠ مليون دولار و ١٧٠٠٠٠[١٤] مليون دولار . وقام سلاح الجو الامريكي لوحده بـ ١٨٩٩٦٦٨ طلعة وأسقط ٦٧٢٧٠٨٤ طناً من القنابل على الهند الصينية (مقابل ٢٧٠٠ ٠٠٠ طن أسقطتها الطائرات البريطانية والامريكية على ألمانيا طيلة الحرب العالمية الثانية) كما فقد ٨٠٠٠ طائرة .

ووصل القصف الجوّي المكثّف الذي قامت به طائرات ب / ٥٢ الامريكية الى أقرب نقطة من ضواحي هانوي في كانون الأول سنة ١٩٧٢ ، وحتى ذلك الوقت كان رئيس الوزراء فام دونغ وعضو المكتب السياسي لي دوك ثو يطالبان حسب قول الرئيس نيكسون « بتاريخ محدد لانسحابنا التام وغير المشروط ، وطرد حكومة ثيو ، وإقامة حكم شيوعي تحت ستار حكومة ائتلافية »[١٥] . ولكن فيتنام الشمالية تخلت عن ذلك الهدف كشرط مسبق لعقد هدنة وذلك في باريس في كانون الثاني سنة ١٩٧٣ ، كما تخلّت الولايات المتحدة عن مطالبتها بسحب القوات النظامية الشمالية من الجنوب ، وقبل الرئيس ثيو « الصلح » بسبب ازدياد شحنات الاسلحة التي تلقاها في الخريف وبسبب قصف هانوي بالقنابل والتوكيدات التي تلقاها من الولايات المتحدة . وقال في مؤتمر صحفي في شباط سنة ١٩٧٥ « إن الصين والاتحاد السوفياتي قد أبلغا الولايات المتحدة أنهما سوف يستخدمان نفوذهما لدى فيتنام الشمالية لحمل زعماء هانوي على ضبط النفس ، وقد وعدني الدكتور كيسنجر بهذا قبل توقيع الاتفاق وبعده ، إذ قال ان روسيا والصين وعدتا بالتعاون مع الولايات

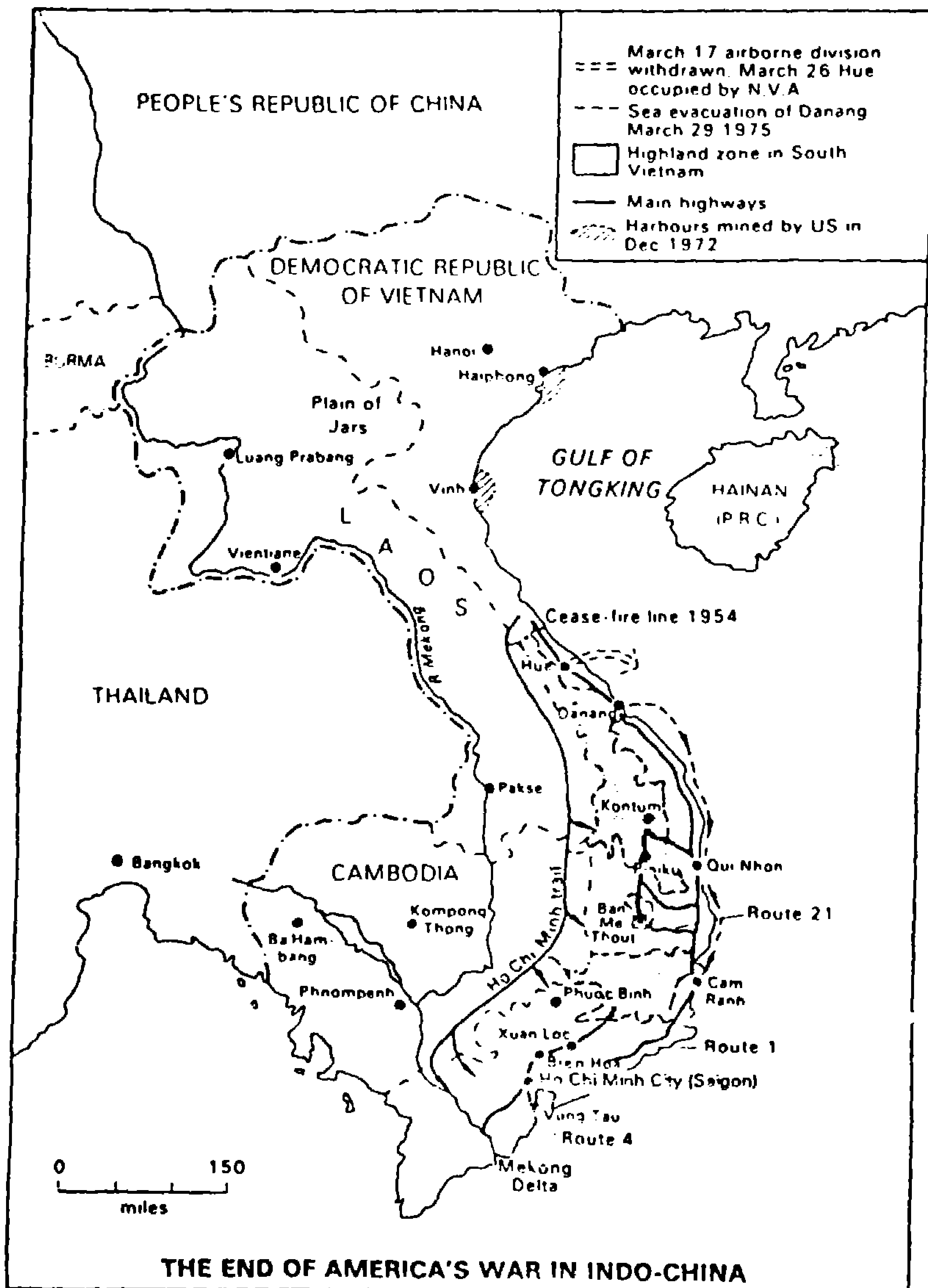
المتحدة »[١٦] . وكشف النقاب عن توكيدات أخرى أكثر سرّية ، عندما ألحّ السناتور هنري جاكسن على البيت الأبيض بصورة متواصلة في نيسان سنة ١٩٧٥ من أجل الحصول عليها .

وفي ٨ نيسان اعترف رون نيس الناطق باسم الرئيس الأمريكي أن « السياسة والنوايا المعلنة للولايات المتحدة ، وهي الردّ بشدّة على أي خرق كبير لاتفاقية باريس ، كانت موضع تبادل آراء سري بين إدارة نيكسون والرئيس ثيو في ذلك الحين »[١٧] . وشملت اتفاقية باريس بنوداً حول انسحاب قوات الولايات المتحدة واطلاق سراح جميع الأسرى العسكريين والسياسيين وتعويض أسلحة قوات فيتنام الجنوبية بنسبة ١ : ١ فقط وتعيين لجان رقابة محايدة للتحقيق في أية إدعاءات بخرق وقف إطلاق النار في فيتنام « وإعلان حياد » كمبوديا ولاوس وإقامة مجلس وطني للمصالحة في جنوب فيتنام الجنوبية يشمل ممثلين عن الشيوعيين « والقوة الثالثة » والذي سينظم الانتخابات في الجنوب ويفاوض من أجل إعادة توحيد البلاد في النهاية . ولكن كلاً من فيتنام الشمالية والجنوبية تجاهلت هذه البنود ، فزادت فيتنام الشمالية من إمداداتها لقواتها البالغة ١٨٠ ألفاً في الجنوب . وفي الفترة بين كانون الثاني وكانون الأول سنة ١٩٧٣ لوحدها دخلت حوالي ٥٠ دبابة من طراز ت / ٥٤ و ت / ٣٤ إلى الجنوب ، كما أقيمت مطارات ومنشآت صواريخ سام في المرتفعات الوسطى وتحوّلت طريق هوتشي منه الترابية الى طريق رئيسية معبدة . وفي ذات الوقت أظهر ثيو تجاهله التام للبند المتعلّق بالمجلس الوطني للمصالحة وركّز على توسيع منطقة سيطرته في الشمال بالاعتداء على مناطق الفيتكونغ ، وفي آب سنة ١٩٧٤ قالت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي أن ثيو قد سيطر على ٦ ٪ آخرين من سكان فيتنام الجنوبية أو حوالي مليون نسمة ولم يكونوا كلهم لاجئين من مناطق الفيتكونغ . وبحلول شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٥ وبعد عامين من بداية « وقف إطلاق النار » الذي كوفىء عليه الدكتور كيسنجر بجائزة نوبل للسلام ، كان قد قتل قرابة مائة ألف فيتنامي[١٨] .

وخلال سنة ١٩٧٤ واجه ثيو مشكلات تتعلق بالاسعار العالية جداً للنفط وللاسمدة الخاصة بالأرز المرتفع الانتاج الذي استورده من أمريكا . كما كان عليه أيضاً أن يعالج آثار التضخم الامريكي والتصدي للديمقراطيين البوذيين الذين كانوا يحتجّون على فساد الحكومة ، وخفض الكونغرس الامريكي من معونته للسنة المالية ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ بحيث جعلها ٧٠٠ مليون دولار فقط ، كما أخذت قطع الغيار والذخائر الخاصة بقوات ثيو ولا سيما المتعلقة بسلاح الجو ، تتناقص باطراد ، كما أن التضخم البالغة نسبته ٧٠ ٪ قد أصاب رواتب جيش فيتنام الجنوبية ومعنوياته بضربة شديدة فارتفعت أعداد الفارّين منه ارتفاعاً هائلاً . ومن الأشياء الأكثر أهمية من ذلك بالنسبة لنظام ثيو كان الإجراء الذي اتخذه الكونغرس الامريكي في آب سنة ١٩٧٣ ، إذ غضب بسبب ما اعتبره « تمثيلية » خليج تونكين ومن الغزو « السرّي » لكمبوديا وقصف هانوي بالقنابل في كانون الأول سنة ١٩٧٢ الذي جاء نتيجة لأوامر من رئيس الجمهورية لوحده ، فأقر قانون سلطات الحرب . ومنع هذا القانون الرئيس الامريكي من القيام « بأعمال حربية » من جانب واحد ، وذلك « في مياه الهند الصينية وفوقها أو منها » ، وكان من نتيجة ذلك أن أرغم الكونغرس الرئيس بعد أن تأخر الوقت على قبول المنطق الذي أعلنه السناتور وليم فولبرايت في كتابه « غطرسة القوة » الصادر سنة ١٩٦٧ والذي جاء فيه « إن أمريكا الآن في ذلك الموقع التاريخي الذي تعاني فيه أمة عظيمة من خطر عدم معرفتها بالدقة ، ما الذي يقع ضمن طاقتها والذي يقع خارج حدود هذه الطاقة »[١٩] . كما أن الكونغرس بالطبع حرم الرئيس نيكسون وكذلك خليفته الرئيس فورد من أخذ زمام المبادرة في فيتنام وإمكانية تهديدها لفيتنام الشمالية بتجديد القصف الامريكي .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٥ هاجم جيش فيتنام الشمالية فوك بنه (Phuoc Binh) على بعد ٧٥ ميلاً شمال غرب سايغون . ولم يحدث رد فعل أمريكي ، وفي آذار شرع جيش فيتنام الشمالية بقطع الطرق الاستراتيجية في

خارطة / ١١



THE END OF AMERICA'S WAR IN INDO-CHINA

المرتفعات الوسطى ، وأدى هجوم تضليلي على بليكو إلى سحب قسم من الفرقة الثالثة والعشرين من جيش فيتنام الجنوبية لنجدتها بينما واجهت المدينـة التـي غادرتها قوات الفرقة وهي بان مي ثوت الهجوم الحقيقي وسقطت في ١٠ آذار بعد ثلاثة أيام . وعندما أمرت الفرقة / ٢٣ بالعودة إلى بان مي ثوت واجهت هزيمة نكراء ، وفي ١٥ آذار قرر ثيو دون التشاور مع الولايات المتحدة انه غير قادر على الاحتفاظ بالمرتفعات الوسطى وان عليه أن يسحب خطوطه الدفاعية الى الخلف نحو الساحل وإلى الدلتا وسايغـون بدلاً من أن يواجـه في كونتـوم وبليكو مواقف تذكره بذيان بيان فو . ولم يبق لديه سوى خمس طائرات نقل صالحة للعمل من الطائرات من طراز سي ١٣٠ والتي كانت جزءاً من جنـاح طائرات النقل الامريكية الضخم الذي كان موجوداً هناك في أواخر الستينات . كذلك فإن الجيش الفيتنامي الجنوبي لم يكن يمتلك اسناداً يذكر من طائـرات الهليكوبتر المزوّدة بالمدافع ولم يستطع تأمـين الطـرق المنطلقـة من المرتفعـات الوسطى والتي اعتمد هو واعـداد كبـيرة مختلفـة من المدنيين عليهـا من أجـل الوصول إلى الساحـل . وبضياع المرتفعـات الوسطـى سرعـان ما اتضـح أن الجيوب الساحلية مثل كوي نون لم يكن ممكناً الدفاع عنهـا ، كما أن الفـرق الأربع من جيش فيتنام الجنوبية بين هوي ودانانغ وجدت نفسهـا مطوّقـة من خمس فرق من جيش فيتنام الشمالية . فتردد ثيو ثم سحب الفرقة المحمولة جواً إلى سايجون وقرر الصمود . وقطعت طريق هوي ـ دانانغ فاضطر في ٢٦ آذار لإخلاء هوي بحراً وسـط فوضى شاملـة . وتـلا ذلك سلسلـة من عمليات الانسحاب المذعورة مع شلل في القيادة وفرار الضباط . ومع بداية نيسان قرر كل من الجنرالين غياب وهوانغ فان تاي ، وقد أصابتهما المفاجـأة بذل أقصى جهودهما وأمرا قواتهما بالتوجه جنوباً ، وفي ٩ نيسان جاء هجوم جيش فيتنام الشمالي المنتظر ولكن ليس من شمال سايغون بل حول كسوان لوك . وقرر ثيو محاولة إحراز نصر « دفاعي » هناك . لكن جيش فيتنـام الجنـوبية لم يستطـع الاحتفاظ بالطريق من أكسوان هوك إلى قاعدة بين هوا الجوية . وبحلول ١٨

نيسان كانت النهاية جليّة واضحة . ففي ٢١ نيسان شقت الفرقة /١٨ من الجيش الفيتنامي الجنوبي المهزومة طريقها بالقتال من اكسوان لوك ، واستقال الرئيس ثيو ، ولم تتم اعادة تنظيم سريعة لدفاعات سايغون ، وتوغل جيش فيتنام الشمالية نحو بين هوا والطريق رقم ٤ في الدلتا والطريق بين سايغون وفونغ تاو . وفي ٢٧ نيسان وبعد ثمانية أسابيع من القتال كانت قوات الجيش الفيتنامي الشمالي تطلق نيرانها على مطار ثان سون نوت إلى الشمال من سايغون مباشرة .

وفي أول نيسان كان لا يزال هناك ستة آلاف أمريكي في فيتنام الجنوبية مع حوالي ١٦ ألف جندي أمريكي وأطفال من جنوب فيتنام ، وفي أواسط نيسان بدأ « جسر الايتام الجوي » إلى أمريكا في العمل ، ولكن في ٢٧ نيسان اتضح أن أمريكا لا يمكنها أن تنقل جميع نصف المليون من الفيتناميين لأنقاذهم من خطر « حمام الدم الشيوعي » الذي لم يتحقق في الواقع ، وفي الساعة العاشرة والدقيقة الحادية والخمسين ليلاً في ٢٨ نيسان أمر الرئيس الامريكي فورد بعملية « الريح المتكررة »(Frequent Wind) التي نقلت فيها طائرات الهليكوبتر الامريكية ١٣٧٣ أمريكياً و ٥٥٩٥ فيتنامياً عن أسطح المنازل في سايغون خلال ١٨ ساعة . وقتل أربعة من جنود البحرية الامريكيين أرسلوا لحماية الذين تم إخلاؤهم ، وكان قد قتل ٥٦٥٥٩ أمريكياً من بين المليونين ونصف من الامريكيين الذين خدموا في حرب فيتنام الامريكية التي استغرقت أربع عشرة سنة ، كما هرب ١٢٧ ألف فيتنامي بطريق الجو إلى تايلند أو بالبحر إلى سفن الاسطول الامريكي السابع البالغ عددها أربعين سفينة وغادر آخر مشاة البحريه الامريكيين سفارة الولايات المتحدة على طائرة هليكوبتر أمريكية من طراز سي نايت(CH/ 46) وفي الساعة ١١,٥ من صباح ٣٠ نيسان اقتحمت دبابة رقمها ٨٧٩ من جيش فيتنام الشمالية بوابات القصر الجمهوري في سايغون ، وقام آخر شخص فيه وهو الجنرال دونغ فان منه بتسليم فيتنام الجنوبية ، وأعلنت نشرة من وكالة الأنباء التابعة للفيتكونغ أن « هذه اللحظة

كانت نهاية الأنظمة العميلة لامريكا في فيتنام الجنوبية وكذلك لسياسة الولايات المتحدة العدوانية في فيتنام »[٢٠] .

وقال كيسنجر في مؤتمر صحفي يوم ٥ أيار سنة ١٩٧٥ « لم نستطع التنبؤ بأن ووترجيت سوف تنهك السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة لدرجة تتحدد فيها قدرة السلطة التنفيذية على التحرك بمرونة ، ولم نكن نتوقع أن يسنّ الكونغرس قانوناً يمنعنا من تنفيذ اتفاقية باريس . ولا أعتقد أن هانوي كانت قادرة على إرسال تسع عشرة فرقة من فرقها العشرين (ضد ثلاث عشرة فرقة تابعة للجيش الفيتنامي الجنوبي) لو لم يحدث هذان الامران »[٢١] .

والواقع أنه بحلول شهر أيار سنة ١٩٧٥ لم « تسقط فيتنام الجنوبية لوحدها في أيدي الشيوعيين بل سقطت معها أيضاً كمبوديا ولاوس ، لقد كان المستشارون الامريكيون متورطين في لاووس منذ سنة ١٩٦٢ وذلك في الحرب بين الملكيين والباثيت لاو الذين كانت تؤيدهم فيتنام الشمالية ، وتمّ توقيع اتفاقية لوقف إطلاق النار في شباط سنة ١٩٧٣ ، وتقرّر نظرياً انسحاب جميع القوات الأجنبية . ولكن بقي خمسون ألفاً من الجيش الفيتنامي الشمالي لحماية سهل الجرار في الشمال وبداية طريق هوتشي منه الترابية في جنوب لاووس ، وأثناء سنة ١٩٧٤ شكلت حكومة ائتلاف ملكي شيوعي ، لكن سيطرة القوات الملكية على المناطق والطرق الاستراتيجية كالتي تربط بين فينتيان (Vientian) ولوانغ برابانغ (Luang Prabang) أصبحت تضعف باطراد . كما أن الانتصارات الشيوعية في بقية أنحاء الهند الصينية أدّت إلى أعمال شغب قام بها الضباط والمرشحون التلاميذ في أيار سنة ١٩٧٥ والتي سبقت استقالة كبار الوزراء الوطنيين مثل وزير الدفاع سيسوك ناتشامباساك (Sisouk Na Champassak) . واتهم سيسوك في ٤ أيار بالاعداد لانقلاب ضد الحكومة الائتلافية . وسرعان ما سيطر الباثيت لاو على جميع الوزارات الهامة في وزارة حكومة كانت شيوعية في الحقيقة .

أما في كمبوديا المجاورة فإن نظام لون نول الذي جاء عندما طرد سيهانوك

المحايد على أثر إنقلاب في آذار سنة ١٩٧٠ سقط قبل إنهيار سايغون ، وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٤ كان الخمير الحمر الشيوعيون وحلفاؤهم الفيتناميون الشماليون قد سيطروا على ٧٠ ٪ من الأرض و ٥٠ ٪ من السكان ، إذ لم يعد القصف الامريكي يمنعهم من ذلك بعد أن قرر الكونغرس إيقافه في آب سنة ١٩٧٣ . وقد اشتدت عقدة الحبل حول فنوم بنه التي حرمها الكونغرس من أموال اضافية في ربيع سنة ١٩٧٥ ولذلك تم تحريرها في ١٧ نيسان ، وفي إذاعة تلفزيونية إلى الشعب الامريكي في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٧٣ كان الرئيس نيكسون قد قال « لنفخر بأن أمريكا لم تسع إلى عقد صلح يخذل حلفاءنا وينهي الحرب من ناحيتنا ويتركها مستمرة بالنسبة لخمسين مليوناً في الهند الصينية » . ولكن لم ينفذ سوى البند الخاص بأسرى الحرب وذلك من بين جميع بنود الاتفاقية التي وصفها المعلقون الامريكيون بأنها « دنكرك » متفاوض عليها ، واسترد الامريكيون الـ ١٢٠٠ أسير حرب الذين كانوا لهم عند فيتنام الشمالية مع أن كلاً من نيكسون وكيسنجر استغرقا أربع سنوات وشهرين في ترتيب خروج الامريكيين من فيتنام ، وفي الاسبوع الذي تلا توقيع معاهدة باريس أعلن ثيو في التلفزيون أن الولايات المتحدة وعدته بأنها سترد بقوة « على أي تحرك كبير يقوم به الجيش الفيتنامي الشمالي » ، وفي نيسان سنة ١٩٧٥ أفرجت الحكومة الفيتنامية الجنوبية عن رسالتين إحداهما في تشرين الثاني سنة ١٩٧٢ والأخرى في نفس الشهر سنة ١٩٧٣ كان نيكسون قد وعد فيهما بأن الولايات المتحدة « ستتخذ إجراء انتقامياً سريعاً وقاسياً » إذا ما خرقت هانوي اتفاقية باريس . ولكن الرئيس فورد لم يستطع التصرف إذ قال « انني أشعر بالاحباط من أعمال الكونغرس والقيود التي فرضت على السلطة التنفيذية خلال العامين الماضيين »[٢٢] . وفي باريس تحدث كيسنجر عن « فترة طيبة » بالنسبة لنظام ثيو وقرر الكونغرس أن مهلة سنتين كانت كافية وان شرف الولايات المتحدة لم يعد متورطاً هناك . وفي ٧ نيسان أعلنت صحيفة النيويورك تايمس ما يلي : « في حالة وقوع التحدي فإن شعور الأمة بشرفها لن يتجاوز الادراك

لمصالحها الحيوية الخاصة . ولم يكن جنوب شرق آسيا أبداً منطقة مصالح حيوية لامريكا ولم يجعله يبدو منطقة من هذا القبيل إلا تدخل أمريكا الذي ليس له مبرر كبير» .

ومن الصعب تقييم « نتائج » فيتنام . لقد فقدت الولايات المتحدة صورتها على أنها دولة لا تقهر عسكرياً وكان أداء « حرب ماو الشعبية » ضد اموال الولايات المتحدة وتقنيتها أداء جيداً جداً (رغم أن الامريكيين لم يستعملوا بالطبع ترسانتهم النووية والبيولوجية والكيميائية الاستراتيجية) كما أن نفقات الحرب الفيتنامية قلّصت من الأموال المخصصة لمشروعات جونسون الاصلاحية في ميدان الصحّة والتربية والحقوق المدنية والمدن الداخلية ، وعاد الجيش من فيتنام وهو يعاني من مشكلة المخدرات والعنصرية . وخشي الناس الحذرون من الحرب الالكترونية وحرب البيئة ، بينما قاوم الكونغرس تنامي سلطة الرئيس في السياسة الخارجية منذ سنة ١٩٤٠ ، وفي عهد جونسون ظهرت في أمريكا « ثغرة مصداقية » ;بسبب الخلاف بين أقوال الحكومة وأفعالها ، ووسعت وترجيت من هذه الثغرة أثناء حكم نيكسون ، كما أن وسط أمريكا قد أصابه القلق من بثّ صور بنكفيل والنابالم على شاشات التلفزيون وأقلقته قائمة الاصابات الامريكية بينما تمرّد الطلبة وأحرقوا بطاقات التجنيد بل وهربوا إلى المنفى .

هذه الآثار لا بد وأن تحدد كيفية رد فعل الرئيس في المستقبل « عند رسم خط للاحتواء » وبعض الامريكيين كانوا في شك مريب من ضرورة تدخل أمريكا أساساً : وفي النهاية فقد تشكك معظمهم في أسلوب إدارة دفة الحرب .

ومن المؤكد أن انهيار فيتنام الجنوبية قد أدّى إلى إعادة تقييم كبيرة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية في ربيع ١٩٧٥ ، وكان جيمس شليزنجر وزير الدفاع على صواب في قوله « كان من نتائج الأحداث في جنوب شرق آسيا اهتزاز ثقة أقطار عديدة بقوّة أمريكا وفي إخلاصها بصفة خاصة »[٢٣] .

وجادل سفير فيتنام الجنوبية في الولايات المتحدة بقوله « إنه كان ثمة

استنتاج واحد ممكن . ويمكن استخلاصه من الأحداث في الهند الصينية وهو « أن من الاسلم أن يكون المرء حليفاً للشيوعيين وأن التحالف مع الـولايات المتحـدة يبدو وكأنه أمر قاتل »[٢٤] . ولكن لا ريب في أن فنوم بنه ليست برلين ، وليست سايغون في منزلة طوكيو وان كانت كل من تايبه وسيول قد احتاجت بعض التطمين في نيسان سنة ١٩٧٥ ، كما أن بانكوك أجبرت الولايات المتحدة على نقل آخر قاذفات القنابل من طراز / ب٥٢ من قاعدة يوتابـاو(Utapao) الجوّية في أوائل حزيران .

ومن الطبيعي أن يقول الرئيس فورد : « لقـد أحزنتنـا أحـداث الهنـد الصينية حقيقة . بيد أن هذه الأحداث على مأساويتها لا تنبىء بنهاية العالم ولا بنهاية زعامة أمريكا في العالم ، ويبدو أن البعض يشعرون أننا إذا لم ننجح في كل عمل وفي كل مكان فإننا فاشلون في كل ما نقوم به وفي أي مكان . انني أرفض هذا التفكير الضيّـق »[٢٥] . ومع ذلك فإن زعماء أسيويين مثل لي كوان يو في سنغافورة اعتبروا سقوط الهند الصينية بأنه « كارثة محضة » وقال لفورد : « إذا كان الرئيس والكونغرس يستطيعون التكلم بصوت واحد حول القضايا الاساسية في السياسة الخارجية وبعبارات واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، فإن الأصدقاء والحلفاء عندئذٍ سيعرفون أين يقفون كما أن الآخرين لن يصابوا بسوء الفهم »[٢٦] .

غير أن بعض الزعماء في العالم شعروا أن نهاية الخطأ الامريكي في الهند الصينية ستتيح للولايات المتحدة العودة بمزيد من النشاط الى مصالحها الأكثـر جوهرية وقابلية للدفاع عنها ، بينما كانت عملية « الإعاقة » ضد الشيوعية في الهنـد الصينية قد أفـادت في السماح لاحجـار الدومينـو المحتملـة في أواسـط الخمسينات مثل الملايو والفيليبين بأن تزيد من قوتها ، وكان فورد يأمل « أن تستطيع أمريكا أن تسترد ثانية شعورهـا بالكبـرياء الـذي كان موجـوداً قبـل فيتنام »[٢٧] ، وقال برجنيف وهو يتحدث في موسكو في ٨ أيار « أن إزالة معاقل الحرب في الهند الصينية توجد ظروفاً لمزيد من التحسن في الجو الدولي »[٢٨] .

وقد انتهت « الحرب المحدودة » في فيتنام والتي لم يقاتل فيها « متطوعـون » سوفييت أو صينيون ، والتي لم تقصف فيها السفن السوفياتية في هايفونـج بالقنابل[٢٩] . والتي لم يخضع فيها حليف سوفياتي لقصف شامل . وبالطبع كان كيسنجر قد قال « لن ننسى من الذي ورد الاسلحة لفيتنام لتجعل من توقيعها على اتفاقية باريس أضحوكة » ولكن كان مقدراً للوفاق أن يستمر لأنه كما قال الرئيس فورد «[٣٠] يجب أن ننمو ونتخلص من كوننا أمة تكون فيها كل نكسة بمثابة مكسب سوفياتي ، أو الاعتقاد بأن كل مشكلة يكون السوفييت سبباً لها . . . ففي البرتغال والشرق الأوسط وحتى في أندونيسيا جاءت المصاعب من ظروف محلية أو من رد أمريكي قاصر بقدر ما تسببت عن التدخل السوفياتي» بيد أن الزعيم الامريكي ذكر الاتحاد السوفياتي بأن لا يحاول استغلال «نواحي الضعف الموجودة في مختلف أنحاء العالم »[٣١] .

الفصل الثالث عشر

العلاقات الامريكية الصينية
والوفاق الامريكي الصيني

قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية بوقت قصير شكّل وزير الخارجية الامريكي دين اتشيسون لجنة لتقوّم سياسة أمريكا الخارجية في آسيا ، وقررت اللجنة أن من المبادىء الاساسية في السياسة الامريكية أن لا تسمح الولايات المتحدة بمزيد من التوسع والسيطرة الشيوعية في آسيا أو في جنوب شرق آسيا . غير أن الولايات المتحدة توقعت « تحرير » تايوان ولذلك جرى إصدار نشرة إعلامية من وزارة الخارجية الامريكية لتساعد في الرد على « الفكرة الشائعة الخاطئة حول أهمية تايوان الاستراتيجية للولايات المتحدة في المحيط الهادىء »(١) .

وفي الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٥٠ أكّد الرئيس ترومان مرّة أخرى اعلاني القاهرة وبوتسدام اللذين وصفا الجزيرة بأنها أرض صينية « ليست لدى الولايات المتحدة رغبة في الحصول على امتيازات خاصة أو إقامة قواعد عسكرية في فرموزا في هذا الوقت ، كما أنه ليس لديها أية نيّة في استعمال قواتها المسلحة للتدخل في الوضع الراهن . . . ولن تقدّم الولايات المتحدة معونة أو مشورة عسكرية للقوات الصينية في فرموزا »(٢) . ومع أن الولايات المتحدة ، بخلاف بريطانيا ، لم تكن مستعدة آنذاك لأن تعترف بنظام الحكم الصيني الجديد ، فإنه حسبما جاء في عدد النيويورك تايمس الصادر في ٣١ أيار سنة ١٩٥٠ كان اتشيسون قد أكّد للسكرتير العام للامم المتحدة أن الولايات المتحدة لن تستخدم حقّ النقض للمساعدة في إبقاء الصين خارج الامم المتحدة

وان الولايات المتحدة على استعداد للالتزام بقرار الأكثرية حول تلك القضية في مجلس الأمن .

ولكن إندلاع الحرب الكورية في ٢٥ حزيران سنة ١٩٥٠ وعجز الولايات المتحدة عن تحقيق نصر سريع أحدث تغيراً في سياسة الولايات المتحدة الخارجية . وفي تموز سنة ١٩٥٠ تحرك الاسطول الامريكي السابع إلى مضائق تايوان وأوصد الباب بشكل فعّال في وجه أي غزو شيوعي لتايوان . « إن مهمة الاسطول السابع هي إبقاء فرموزا خارج الصراع وهدفنا هو السلام وليس الغزو »[٣] . ومن غير المستغرب أن يعتبر ماو هذا التحرك على أنه « تدخل من قبل الولايات المتحدة في شؤ ون الصين الداخلية » فتدهورت العلاقات الصينية الامريكية ، وكان من المحتّم أن تبلغ الأزمة بينهما ذروتها بدخول الصين إلى معترك الحرب الكورية وبحلول ١٨ أيار سنة ١٩٥١ ، كان دين رسك مساعد وزير الخارجية لشؤ ون الشرق الأقصى مستعداً أن يرى في الصين مجرّد دمية سوفياتية في الحرب الباردة « نحن لا نعترف بالسلطات في بيكين بالنسبة لما تدعيه . فقد تكون حكومة منشوكوسلافية على نطاق واسع ، انها ليست حكومة الصين ، وهي لا تجتاز التجربة الأولى بنجاح وليست حكومة صينية »[٤] .

وبحلول السلام في كوريا سنة ١٩٥٣ كانت الولايات المتحدة مهتمة بأمور الحرب في الهند الصينية الفرنسية (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) حيث كان هناك أيضاً تورّط صيني . وفي كانون الأول سنة ١٩٥٤ تمّ التوقيع على معاهدة دفاع رسمية أميركية تايوانية ، وخلال أشهر قليلة أصبحت مضائق تايوان إحدى النقاط « الساخنة » في مسرح الحرب الباردة الامريكي الصيني . وفي سنة ١٩٥٥ أصبحت قلعة شيانغ كاي تشك في فرموزا (تايوان) بقواتها المسلّحة البالغة ستمائة ألف جندي ضرورة استراتيجية للولايات المتحدة في غرب المحيط الهادي على حد قول الرئيس ايزنهاور . وعندما أمر ماو بقصف جزيرتي كيموي وماتسو الوطنيتين ، كان ايزنهاور مصمماً على حماية هذين الموقعين المتقدمين من سلسلة جزره التي « تحتوي » الصين لا سيما وأن الولايات المتحدة كانت قد

« فقدت » الجيش الفرنسي من الهند الصينية قبل مدة قصيرة فقط في سنة ١٩٥٤ ، واعتقد ايزنهاور أن التراجع قد يضعف معنويات تايوان ويؤثر سلبياً على نفوذ الولايات المتحدة وهيبتها بالنسبة لاقطار كاليابان والفيلبين . لكنه كان ميالاً إلى الاعتقاد بأن الهجوم على الجزر قد يكون مقدّمة للهجوم على تايوان نفسها ، وبالطبع فقد يثير عمل الولايات المتحدة رداً انتقامياً من الصين والاتحاد السوفياتي ، لكن ايزنهاور كان في شك من هذا ، وقال في رسالة إلى تشرشل في شباط سنة ١٩٥٥ « لا أعتقد حتى في حالة اشتباكنا في حرب خطيرة على طول الساحل الصيني ، أن روسيا ستتدخل باستخدام قواتها . وبالطبع فإنها سوف تغدق الامدادات على الصين من أجل إنهاكنا . . . ولكنني مقتنع أن روسيا لا تريد في الوقت الحاضر إجراء تجارب على وسائلها الدفاعية ضد القصف الجوي الذي قد نقوم به ضدها في البرّ السوفياتي الرئيسي »(٥) . والحقيقة انه كان من الضروري استخدام الاسلحة الذرّية ضد المطارات الصينية في البرّ الأصلي إذا أريد الدفاع عن كيموي وماتسو(٦) . وتحدّث ايزنهاور الى الصحافة الامريكية حول هذا الموضوع حين قال « سألني أحد المراسلين في آذار سنة ١٩٥٥ هل ستستخدم الولايات المتحدة الأسلحة الذرّية التكتيكية في حرب عامة في آسيا ؟ فأجبته : نعم ولكن ضد أهداف عسكرية بحتة . وكنت آمل أن يكون لهذا الجواب بعض الأثر في إقناع الصين الشيوعية بقوة تصميمنا »(٧) . وفي مؤتمر باندونغ في نيسان سنة ١٩٥٥ قال شو أن لاي رئيس وزراء الصين الشعبية « أن الشعب الصيني يرغب في تحرير فرموزا بالوسائل السلمية بقدر ما يمكن ذلك »(٨) . وخفّت حدّة الأزمة ، ولكنها عادت تشتعل مرة أخرى في سنة ١٩٥٨ عندما جرى تهديد الصينيين ثانية بإمكانية استخدام الأسلحة النووية ضد البرّ الصيني (أنظر الفصل / ١٤) .

ولم تتحسن العلاقات الصينية الامريكية عندما دخلت الحرب الباردة عقد الستينات واستمرت الولايات المتحدة في فرض المقاطعة التجارية على الصين خلال الحرب الكورية ، كما واصلت استخدام نفوذها في الأمم المتحدة

للحيلولة دون دخول الصين الشيوعية اليها ، وزودت تايوان بمعونة اقتصادية وعسكرية كبيرة ، وفي الواقع ذكرت صحيفة بيكين ريفيو في عددها الصادر في ٢ تموز سنة ١٩٦٥ أن القواعد البحرية والجوية الامريكية في تايوان ومساعدة أمريكا لعملاء تشيانغ كاي تشيك السريين الذين تسللوا إلى البرّ الصيني (وبصرف النظر عن تحليق طائرات يو / ٢ الامريكية على ارتفاعات عالية فوق الصين) كانت كلها وببساطة جزءاً من العملية التي «كانت الولايات المتحدة بموجبها قد جعلت من تايوان مستعمرة وقاعدة عسكرية تهدد البرّ الصيني » .
وفي نظر الصين كان كنيدي الذي تسلّم مقاليد الحكم سنة ١٩٦١ أسوأ من ايزنهاور ـ لأن وكالة المخابرات المركزية الامريكية كانت متورطة في لاوس وكانت « قوات الأمم المتحدة في الكونغو أداة للاستعمار الامريكي الجديد ليس إلا » . وزودت الولايات المتحدة فرنسا أثناء حربها في الجزائر « بكميات هائلة من الأعتدة العسكرية لذبح الآلاف المؤلفة من الشعب الجزائري »[٩] . ولم يكن الصينيون ميالين لقبول نظريات خروشوف القائلة بالتعايش مع أمريكا (أنظر الفصل / ١٤) ولكن الأمل ظل يراودهم بأن الشعب الامريكي سوف يطيح بقادته ذوي النزعة العسكرية الاستعمارية وبذلك يثبت أن نظام الحكم الامريكي القوي ظاهرياً لا يعدو كونه « نمراً من ورق » . وحتى ذلك الوقت كان من الأمور الأساسية مساعدة الثورات في العالم كله وإبقاء الولايات المتحدة فاقدة لتوازنها . وكانت أمريكا في أواسط الستينات كما كانت في أواسط الخمسينات ميّالة إلى اعتبار الصين « الخطر الأصفر » ومصدر كل تغيير مزعج في الأوضاع الراهنة . وفي مطلع آب سنة ١٩٦٣ لخّص الرئيس كنيدي في مؤتمر صحفي هذه المخاوف بقوله « إننا نجد قوة عظيمة جبارة في الصين تنظمها وتوجهها الحكومة على غرار الخط الستاليني وانها أيضاً طالبت بشنّ حرب دولية للتعجيل بالنجاح النهائي للشيوعية . . . وانني أعتبر ذلك التجمع أو التركيبة إذا ظلت موجودة حتى السبعينات . . . وضعاً مشحوناً بخطر أكثر من أي وضع واجهناه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية »[١٠] .

وكانت كل من أمريكا والصين تنظر إلى الأخرى في معظم فترة الستينات على انها تمثل صورة تجريدية لمثال معين . فالامريكيون في نظر الصينيين رأسماليون ذوو نزعة عسكرية لهم قواعد تحيط بالصين ، أما الصينيون في نظر الامريكيين فهم شيوعيون ملحدون عدوانيون مستعدون لتصدير الثورة إلى كل أقطار العالم . وازدادت مخاوف أمريكا نتيجة تصاعد الصراع في فيتنام سنة ١٩٦٤ ، وذكر دين رسك في الكونغرس في شهر نيسان سنة ١٩٦٦ ما يلي :

« إننا لا نسعى للاطاحة بنظام الحكم في بيكين بالقوة ، كما اننا نعترض على محاولاته الاطاحة بأنظمة الحكم الأخرى بالقوة . وفي الخريف الماضي شرح لين بياو وزير دفاع الصين الشيوعية استراتيجية بيكين القائمة على العنف من أجل تحقيق السيطرة الشيوعية على العالم . . صحيح أن هذه النظرية تدعو إلى الثورة من قبل « السكان الوطنيين » في كل بلد وبهذا المعنى فإنه يمكن تسميتها بسياسة « افعل ذلك بنفسك » ، غير أن بيكين مستعدة لتدريب قادة هذه الثورات وتلقينهم المبادىء المطلوبة ودعمهم بالأموال والأسلحة والدعاية إضافة إلى دعمهم سياسياً . بل ان بيكين مستعدة لصناعة هذه الحركات الثورية . . . وسيأتي يوم نتجاهل فيه الحكم على القادة الصينيين من أقوالهم ونحكم عليهم من خلال أفعالهم . ومن الصحيح أنهم أكثر حذراً في أعمالهم منهم في أقوالهم . . . ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن نهمل خططهم المستقبلية وإذا ما فعلنا ذلك فإننا نكرر سوء التقدير المفجع الذي أبداه كثير من الناس حول أطماع هتلر »[١١] !

وتوقعت واشنطن انتشار النفوذ الصيني الشيوعي وتحركت لاحتوائه ، وبذلك أثارت مخاوف في الصين من هجوم أمريكي عليها مما أدّى إلى تورطها في ثورات المنطقة ، وبذلك تأكدت التنبؤات الامريكية الأصلية . وبالطبع فقد نظر الامريكيون إلى ذلك نظرة مختلفة ، إذ اعتقد الامريكيون أن الصينيين ينوون في النهاية أن يتولوا قيادة الثوريين في العالم وبسبب شيوعيتهم المتعصبة والتي هي عدوانية في جوهرها ، فإن الصينيين ملتزمون بالعداء لامريكا بصرف

النظر عن أية إجراءات قد تتخذها الـولايات المتحـدة . وهـكذا فإن احتـواء الصين له ما يبرره لأنه يمنع الصين من إرتكاب العدوان الـذي كانـت تنـوي ارتكابه لو لم يتم احتواؤها . وبعبارة أخرى فقـد صور الامـريكيون عداوة الولايات المتحدة للصين على انها مجرد رد فعل . أما الصين من ناحيتها ، فقد جادلت قائلة أن قواتها العسكرية كانت مدرّبة ومجهّزة ومنظمة لخوض حرب دفاعية داخل الصين وانها قد عرضت اجراء مفاوضات مع الولايات المتحدة ، وان التبت كانت وما زالت أرضاً صينية من ناحية الحـق ، وان الهنـد كانـت مسؤولة عن حرب الحدود سنة ١٩٦٢ ، وانه لا حق لامريكا في منـع توحيد تايوان مع الصـين ، « وانه لا توجــد قوات صينية خارج حدود الصــين » . وللحقيقة فإن ماوتسي تونغ قد أكّد لادغار سنو سنة ١٩٧١ « ان جيوش الصين لن تتخطى حدودها من أجل القتال ، وكان ذلك واضحاً وضوحاً كافياً . . . ولن يقاتل الصينيون إلا إذا هاجمت الولايات المتحدة الصين . . . لقد كانـت الصين مشغولـة بشؤ ونهـا الـداخلية ، ومـن الاجـرام أن يحـارب المرء خارج حدوده »[١٢] . ويمكن الردّ بالطبع أن المرء يجب أن لا يعـير وعـود الشيوعيين الصينيين أذناً صاغية ، فحتى لو بدا من غير المحتمل أن تغزو الصين جيرانها ، فإنها قد تنوي الاطاحة باستقرارهم عن طريق مساعدة حركات ثورية شيوعية محلية أو تأسيس هذه الحركات ، وهذه النظرية تضع المتاعب في وجه الغرب لأنه كثيراً ما يحدث أن تكون الأنظمة المعادية للصين في آسيا فاسدة هي الأخـرى وتفتقر إلى الكفاءة ومغرقة في اعتمادها على الدعم الغربي .

ولذلك فإن التدخل الذي يحدث في فيتنام لا بد وأن يكون بمقدار يستثير معارضة الصين ولو لمجرد انه يتضمن اعداداً كبيرة من القوات العسكرية التي تكون قريبة جداً من حدود الصين . ومن زاوية مقابلة فان منزيس رئيس وزراء استراليا الذي أرسل قوات لمساعدة الولايات المتحدة في فيتنام ، قال في نيسان سنة ١٩٦٥ « ان استيلاء الشيوعيين على فيتنام الجنوبية سيكون تهديداً عسكرياً مباشراً لاستراليا . . ويجب أن ينظر اليه على انه اندفاع من الصين الشيوعية بين

المحيطين الهندي والهادي »[١٣] . والواقع أن الصين قدمت أسلحة (وان لم تقدم جنوداً) ، للاستخدام في فيتنام كما انها تقدم الملجأ الأمين لثوار الثاي (Thai) ولها بعض الاتصالات مع جنود العصابات في الملايو وسرواك . ولكنها لم تحاول مساعدة الهوكس في الفيلبين أو الثوار البورميين . وبطبيعة الحال فإن الغرب يرى في أي تورط صيني في الشؤ ون الاسيوية عملاً هداماً خطراً ، وقدم المساعدة لأنظمة الحكم « الشرعية » المعرضة للخطر .

وتقاس « شرعية » هذه الأنظمة عادة بمجرد وجودها فقطوليس بالضرورة بطابعها الديمقراطي أو حتى بسيطرتها على معظم أراضيها ، وبالطبع يرد الصينيون بأنهم لا يحاولون « تصدير الثورة » ، وقد قال نائب رئيس الجمهورية تشن بي في أيلول سنة ١٩٦٣[١٤] « ان مسألة الثورة العالمية شأن من شؤ ون الأقطار المعنية ، فإذا لم تكن هذه الأقطار ناضجة لاستقبال الثورة ، فإن الصين لا تستطيع فعل شيء إزاء ذلك . . . فالصين لا تستطيع أن تعطي الثورة أو تمنعها حسب رغبتها » .

ومع هذا فقد زار الرئيس نيكسون بيكين في شباط سنة ١٩٧٢ وذكر في تقريره إلى الكونغرس بعد سنة من ذلك « انه ليس للولايات المتحدة وللصين مصالح جوهرية لا بد وأن تتصادم أثناء مسيرة مجرى التاريخ الواسعة الطويلة »[١٥] . أما الاعداد للزيارة التي تمّت سنة ١٩٧٢ عندما قال نيكسون « ان قائد اقوى أمة اجتمع بزعيم أكثر الأمم عدداً » . فقد بدأ سنة ١٩٦٩ . وخلال ١٩٦٩ قام الرئيس تدريجياً بتخفيف القيود على التجارة وجوازات السفر بالنسبة للصين . وفي نيسان سنة ١٩٧١ دعى فريق كرة طاولة أمريكي إلى الصين ، وفي حزيران سنة ١٩٧١ أنهي الحظر التجاري على الصين بعد أن استمر إحدى وعشرين سنة . وفي تموز سنة ١٩٧١ قام وزير الخارجية كيسنجر بزيارة بيكين ، وثمة تفسيرات مختلفة حول تغيّر سياسة أمريكا تجاه « الصين الحمراء » ، فقد يقال أن الولايات المتحدة أدركت عقم محاولتها « إحتواء » الصين ، وأن نيكسون كان يحاول « عقد صفقة » حول فيتنام ، ولعلّ الرئيس

كان يحاول كسب شعبية انتخابية في أمريكا بنزع الفتيل من علاقة مشحونة بالخطر . وربما كان القصد من أعمال نيكسون إقلاق موسكو لكي تزيد من سرعة ومدى وفاقها مع الولايات المتحدة ، وقال نيكسون نفسه « أن الصين الموجودة خارج المجتمع العالمي والمنعزلة كلياً ، والتي لا صلة بين قادتها وبين زعماء العالم ستكون خطراً على العالم غير مقبول بالنسبة لنا ولا للآخرين »[١٦] . والواقع انه لا يكاد يوجد شك في أنه ليس بوسع أمريكا أن لا تتوصل إلى مزيد من التفاهم وإلى إيجاد اتصال على مستوى « الخط الساخن » مع صين نووية وذات إمكانيات لصنع صواريخ عابرة للقارات ، وكذلك فإنه بعد نظرية غوام المعلنة سنة ١٩٦٩ والقائلة بالفتنمة ، أصبح الامريكيون متورطين بعملية فك ارتباط مع البرّ الآسيوي الأصلي « وفي التحليل الأخير ، فإنه بوسع أمريكا (بعكس الاتحاد السوفياتي الذي هو دولة برية أسيوية) أن تقلص من دورها على البرّ الاسيوي ، ان لم يكن في منطقة المحيط الهادي ، وإذا ما سلمنا بإدراك الامريكيين لتناقص قوتهم النسبي في العالم (أنظر الفصل / ١٩) فإنه ربما كان من الاسهل توقيع بيان شنغهاي المشترك في ٢٨ شباط سنة ١٩٧٢ الذي كان يحوي بنوداً مثل « يجب أن لا تحاول أمريكا ولا الصين أن تسعى إلى الهيمنة على منطقة آسيا المحيط الهادي ، كما أن كلاً منهما تعارض محاولات أية دولة أخرى أو مجموعة دول لاقامة هيمنة من هذا القبيل »[١٧] .

وقال نيكسون : « لقد أعطت الصين مثالاً على التغييرات العظيمة التي حصلت في العالم الشيوعي ، ففي الستينات أدّت قوى القومية إلى تفكيك الوحدة الشيوعية وتحويلها إلى مراكز قوة وعقائد متباينة ، كما أن سياستنا الخارجية أخذت تتباين بين العواصم الشيوعية ، لكن هذه العملية لن تكون مجدية لنا إذا بقينا منقطعين عن ربع سكان العالم ، إذ لم يكن بوسعنا تخفيف حدّة التوتر في آسيا دون التحدث مع بيكين . يضاف إلى ذلك أن الزمن الذي تستطيع فيه دولة الزعم بأنها تنطق بإسم كتلة من الدول قد ولّى ، وعلينا أن

نتعامل مع البلدان حسب أعمالها وليس بناء على صيغ عقائدية مجرّدة »[18] .

ورغم زيارة نيكسون الثانية لموسكو فقد عبرت برافدا في عددها الصادر في ٢٨ آذار سنة ١٩٧٢ عن أصوات قلقة ، وفي ٣ آذار سنة ١٩٧٢ قالت جريدة نيوز دويتشلند التي تصدر في برلين الشرقية : « ان التفاهم بين مجموعة ما وبين الحكومة الامريكية موجه في أساسه ضد الاتحاد السوفياتي » ، ولكن ربما وجدت روسيا بعض العزاء في شوكة تايوان التي تنخس جانب العلاقات الصينية الامريكية ، فقد أكّد الصينيون في شنغهاي أن تايوان مشكلة حساسة تعترض طريق تطبيع العلاقات الصينية الامريكية بينما اتخذ نيكسون في تقريره الذي قدّمه للكونغرس سنة ١٩٧٢ موقفاً لافتاً للنظر عندما يقول « سنحافظ على علاقاتنا الودّية وروابطنا السياسية والتزاماتنا الدفاعية مع جمهورية الصين (فرموزا أو تايوان) ، وليست العلاقة بين تايوان والبرّ الصيني الأصلي من الأمور التي تقررها الولايات المتحدة »[19] . وكذلك ، فبالرغم من توسع التجارة بين الصين وأمريكا من ٥ ملايين سنة ١٩٧١ إلى ٥٠٠ مليون دولار سنة ١٩٧٣ فقد استمرت جريدة بيكين ريفيو ووسائل الاعلام الصينية الأخرى في مهاجمة سياسة الولايات المتحدة حول أمور مثل « المساعدات المشروطة » وضغط الولايات المتحدة في الابقاء على انخفاض أسعار المواد الخام التي تنتجها الأقطار النامية « وتصدير » الامريكيين للتضخم الذي أصاب اقتصادهم[20] .

وكان للوفاق بعض النتائج الملفتة للاهتمام ، ففي أحد المؤتمرات الصحفية احتجّت السيدة انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند في ٢٧ تشرين الأول سنة ١٩٧٤ ، قائلة « في البداية قالوا (الامريكيون) انهم سوف ينقذوننا من الشيوعية ومن الصين ، ثم أصبحوا مؤيدين للصين تأييداً كلياً ، وفي أزمة بنغلادش سنة ١٩٧١ قيل لنا أنهم لم يرغبوا في إفساد وفاقهم مع الصين » (بتزويد الهند بأسلحة تستخدمها ضد باكستان حليفة الصين)[21] ، وفي تموز سنة ١٩٧١ قبل ماو بلطف طلب واشنطن أن يزور رئيسها بيكين ، وحسب رأي ماو في محادثته مع ادجار سنو سنة ١٩٧٠ كان لا بد من معالجة مشكلات

الصين مع أمريكا « في الوقت الراهن » عن طريق مفاوضات مع « احتكاريين رأسماليين » مثل نيكسون ، وقال شو ان لاي في مأدبة على شرف نيكسون ، في بيكين « إن الشعبين الصيني والامريكي » قد طالبا بعلاقات أفضل وبالطبع كان على الزعماء اتباع رغبات الشعب « الذي هو القوة المحركة في صنع تاريخ العالم »[٢٢] . وفي خطاب في مؤتمر للحزب في بيكين في أيلول سنة ١٩٧٣ قال شو أن لاي ان المفاوضات مع أمريكا كانت ممكنة بسبب تناقص الخطر الذي كانت تمثله للصين ولشعوب العالم ، وقال رئيس الوزراء أن أمريكا أخذت تتراجع بعد « هزيمتها » في الحرب الكورية « وانها اعترفت بصراحة انها آخذة في الانحدار[٢٣] .

وإن كون « زعيم العالم الرأسمالي » قد زار بيكين ضخّم من نفوذ الصين كذلك . فإن إعلان الزيارة في حد ذاته ضَمِنَ دخول الصين الى الأمم المتحدة . وكانت نتيجة التصويت على تلك القضية في ٢٥ تشرين الأول سنة ١٩٧١ (٧٦) صوتاً مؤيدة و (٣٧) صوتاً معارضة و(٢٧) امتنعوا عن التصويت . وتمّ طرد تايوان رغم جهود أمريكا في إبقائها في الجمعية العمومية كما سمح للصين أن تحتل مقعدها في مجلس الأمن ومكانها في الجمعية العمومية ، وبالنسبة للصين فقد كانت هذه مراكز تستحق الحصول عليها ليس فقط من أجل فرصة اعتراض الاجراءات السوفياتية من خلال الفيتو في مجلس الأمن ، بل أيضاً من أجل حصول الصين على موقع للمناورة إزاء العالم الثالث . وبالطبع فإن من أهم أسباب التقارب الصيني الامريكي كان تقدير الصين بأن الخطر الموجه إليها من السوفييت أشد من الخطر الموجه إليها من أمريكا ، وقد يزيد الوفاق من سرعة فك ارتباط الولايات المتحدة مع آسيا وتقليل خطر اتفاق أمريكي سوفياتي في الشرق الأقصى ، واتاحة المجال للصين لكي تراقب روسيا في الشمال .

وعلى الأقل فإنه بوجود الصين ، وهي على علاقة ودّية جديدة مع الغرب ، سيكون هناك مزيد من الاحتمال لأن ينظر اليها على انها الضحية في صدام صيني

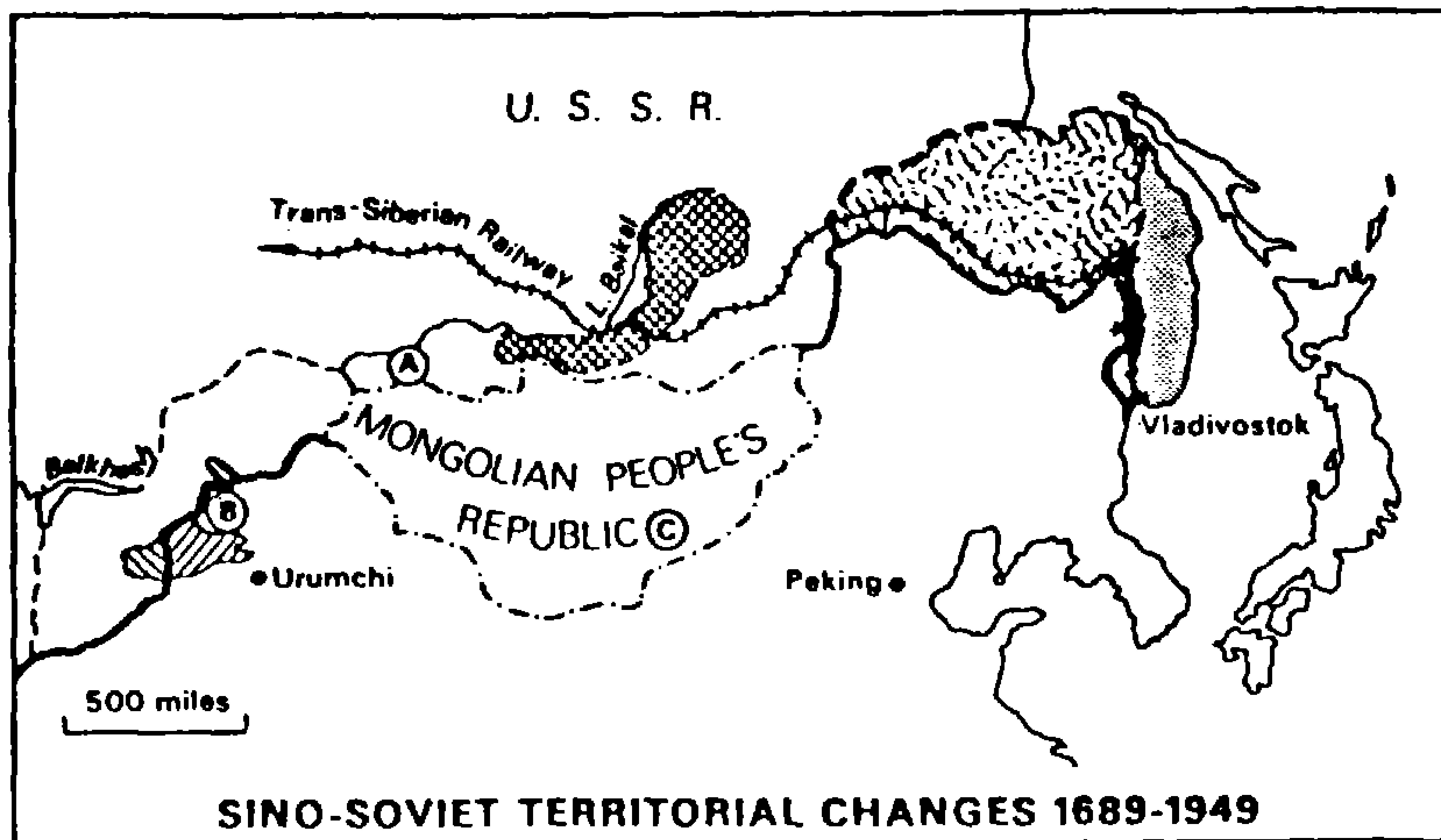
سوفياتي في المستقبل ، بل كان من الممكن أن الوفاق مع أمريكا قد يزيد من قلق الامريكيين بسبب امكانية هذا الصدام ، وربما كان من المهم بقدر مساو ، وجود إمكانية لأن يؤدي الوفاق في النهاية إلى تحرير تايوان بالطرق السلمية ، ولكن بالرغم من زيارات كيسنجر المتعددة وزيارة الرئيس فورد في سنة ١٩٧٥ فإنه يبدو أن واشنطن لم تكن في عجلة من أمرها لمنح الصين اعترافاً دبلوماسياً كاملاً ، ولإيجاد حلّ وسط حول تايوان . كذلك فالصين من جانبها كانت تتوخى الحذر ، وكما قال نائب وزير خارجيتها تشياوكوان هوا في الجمعية العمومية للامم المتحدة في ٣ تشرين الأول سنة ١٩٧٢ :

« على شعوب جميع الأقطار أن لا ينخدعوا بظواهر الوفاق المؤقتة والسطحية في الوقت الراهن بحيث ينمو عندهم شعور كاذب بالأمن ، وبينما نحن نكافح من أجل السلام العالمي والتقدم البشري ، فإن علينا البقاء في حالة كافية من اليقظة واتخاذ الاستعدادات الضرورية ضد خطر الحروب العدوانية الجديدة التي قد تشنّها أية امبريالية » .

وفي محاولة لفهم فلسفة ماوتسي تونغ يجدر بنا قراءة كرّاسات ماو التي كتبها خلال الثلاثينات والأربعينات في كراسة « عن السياسة » الصادرة سنة ١٩٤٠ . كتب ماو يقول أن هدف « جبهة متحدة » (من جميع القوى المعادية لليابان) كان « استغلال التناقضات ، واستمالة الكثيرين ، ومعارضة القلائل وسحق أعدائنا واحداً واحداً » . ويتضمن هذا المنطق إجراء تمييز بين الخصوم وتحديد من هو أخطرهم في لحظة معينة ، ومن هو العدو الذي يمكن استخدامه ضد عدو آخر . كما يفهم منها أيضاً الاستفادة من أي تبدل في سياسات العدو (ناتج من التناقضات الداخلية) وذلك لزيادة الفوائد المتأتية للقوى الثورية ، لذلك فقد يكون للوفاق الصيني الامريكي فوائد ولكن ليس « كتواطؤ » أو « كخط عام » لسياسة خارجية بعينها ، إذ أن الخط العام للسياسة الخارجية الصينية يبقي دائماً على تجميع أكبر جزء ممكن من العالم ضد الامبريالية والامبريالية الاجتماعية ، لأن هذه القوى إذا بقيت دون إزعاج فإنها سوف

تتواطأ للإبقاء على الوضع الدولي الراهن وتحول دون تغييرات في توازن القوى العالمي قد تزعج أحد « الحلفاء » لدرجة تهدد بإثارة الشحناء فيها بينها . إذن فالخط الصيني يبقى كالتالي : في المستقبل ثورة تؤدي إلى الاشتراكية ، وفي الحاضر : « نحن نعارض سياسات القوى وهيمنة الدول الكبرى وارهابها للدول الصغرى ، ولن تكون الصين في أي وقت دولة عظمى عملاقة تخضع الآخرين لعدوانها أو نشاطها الهدّام أو سيطرتها أو تدخلها أو إرهابها »[٢٤] .

خارطة / ١٢



KEY

—— Present Soviet/Chinese frontier

---- Frontier established by Treaty of Nerchinsk, 1689

Acknowledged as Russian by Treaty of Kiakhta, 1727

Ceded to Russia by Treaty of Aigun, 1858

Ceded to Russia by Treaty of Peking, 1860

Acknowledged as Russian by Treaty of Peking, 1860

Occupied by Russia in 1871
Evacuated after Treaty of Ili (Treaty of St. Petersburg)

Ceded to Russia after Treaty of Ili, 1881

(A) Occupied by USSR in 1922. Finally annexed to USSR in 1944

(B) Pro-Soviet 'East Turkestan People's Republic' 1946-49

(C) Independence from China confirmed by Soviet-Chinese Treaty, 1950

* Damansky or Chenpao Island region

الفصل الرابع عشر

العلاقات الصينية السوفياتية
والانشقاق الصيني السوفياتي
١٩٤٥ - ١٩٧٥

في سنة ١٩٤٦ قال ليوشاوتشي (الذي صار رئيساً لجمهورية الصين الشعبية فيما بعد) للصحفية الامريكية آنا لويز سترنج « ان ماو لم يطبق الماركسية على ظروف جديدة وحسب ، بل انه اعطاها تطوراً جديداً ايضاً . انه خلق شكلاً جديداً من الماركسية الصينية أو الاسيوية »[١] . ويقول العديد من المؤ رخين ان توكيد ليوشاوتشي وما شابهه من توكيدات بين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٥٠ كانت تشكل محاولة من اجل قيادة صينية للشيوعية الاسيوية . والظاهر أن الاتحاد السوفياتي تجاهل هذا التوكيد حيث كان كتاب سترونج ممنوعاً . وفي ١ تشرين الاول سنة ١٩٦٥ قالت جريدة برافدا « لقد ظهرت الحركة الثورية في الصين . . . تحت التأثير المباشر لثورة اكتوبر (تشرين الاول) في روسيا » . وفي ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥ خالفت صحيفة بيكين ريفيو ذلك بقولها : « ان ثورة اكتوبر الروسية الاشتراكية قدمت مثالاً على الثورة في الاقطار المعتدية اي للثورة في البلدان الامبريالية ، بينما جاءت الثورة الصينية قدوة للثورة في البلدان المظلومة أي الاقطار المستعمَرة (بفتح الميم) وشبه المستعمَرة » . ومن المؤكد ان يتحدى ماو مدى اسهام ستالين في الثورة الصينية لان ستالين كان قد نادى بتكوين جبهة متحده مع حزب تشانغ كاي تشك المسمى حزب الكومونتانغ الوطني وذلك في العشرينات من هذا القرن . غير أن تشانغ كاي تشك انقلب على الشيوعين الغافلين وذبح اعداداً كبيرة منهم سنة ١٩٢٧ . كما أن ستالين نصح الحزب الشيوعي الصيني بالاعتماد على البروليتاريا في المدن لقيادة

الثورة . وقد قامت قوات شرطة تشيانغ كاي تشك وجيشه بسحق فعال جداً لمحاولة انتفاضة في مدن جنوب الصين الكبرى مثل كانتون كان يقودها شيوعيون « مسكوفيون » (من موسكو) .

وفي اوائل سنة ١٩٢٧ كان ماو قد زار مقاطعة هونان لدراسة روابط الفلاحين هناك . وتوصل الى قرار بأن الثورة الصينية لا تستطيع أن تعتمد على البروليتاريا لوحدها - عددها مليونان فقط - وقال : (لن تكون هناك ثورة دون الفلاحين الفقراء وان انكار دورهم هو انكار للثورة) ومن الان فصاعداً حسب رأي ستالين وفهم ستالين للينينية كان ماو متهماً بالهرطقة الفلاحية . ويبدو ان السوفيات قد تجاهلوا الحرب الاهلية الصينية بعد أن تسلم ماو مقاليد القيادة سنة ١٩٣٥ من الجماعة « المسكوفية » . وفي ايار سنة ١٩٤٣ قال ماو انه منذ سنة ١٩٣٥ لم يتدخل الكومنترن في الشؤون الداخلية للحزب الشيوعي الصيني »[٢] . وخلال الثلاثينات احتفظ ستالين - بدافع خوفه من اليابان في العصر الامبراطوري - بعلاقات ودية مع تشانغ كاي تشيك ، بل ووقع معاهدة سنة ١٩٤٥ حول امتيازات تجارية سوفياتية في منشوريا قبل فيها تشانغ كاي تشيك كزعيم للصين غير منازع . والواقع أن ستالين اخبر الحزب الشيوعي الصيني بصراحة جافة في سنة ١٩٤٥ « أننا نعتبر تطور الانتفاضة في الصين ليس له مستقبل وإن على الرفاق الصينيين أن يبحثوا عن طريقة للتعايش مع تشيانغ كاي تشيك وان ينضموا لحكومته ويقوموا بحل جيشهم »[٣] . وتجاهل ماو هذه النصيحة كما تجاهل اقتراح ستالين القائل سنة ١٩٤٨ ان على الحزب الشيوعي الصيني أن يوقف فتوحاته في منطقة نهر يانغتسي - وبذلك يسمح بوجود نظام غير شيوعي في جنوب الصين - وذلك من أجل عدم استثارة تدخل امريكي . كذلك فان سفير ستالين في الصين أيام تشيانغ كاي تشيك ظل الى جانب اليمين الوطني حتى سنة ١٩٤٩ . ولعل ستالين كان يشعر بالقلق من نمو صين متحدة على غرار نظام تيتو ودولة ذات حجم ضخم لم يساعد الجيش الاحمر (السوفياتي) في اخراجها الى حيز الوجود ، وبالتالي لم يكن في وضع يسمح له

بالسيطرة عليها . كما أن ماو لا بد وأنه كان قلقاً في تشرين الاول سنة ١٩٤٩ لانه اذا قبل بالاعتماد سياسياً وعسكرياً على الاتحاد السوفياتي فانه كان عليه اتباع خطوط السياسة الخارجية السوفياتية ، وأن البديل القائم على البحث عن دور دولة كبرى للصين قد يؤدي الى توسيع الهوة السياسية بين الصين والاتحاد السوفياتي وان كان قد يزيد من خوف الولايات المتحدة .

لكن الصين كانت بحاجة الى معونة اقتصادية بعد الحرب الاهلية التي استمرت بصورة متقطعة منذ سنة ١٩٢٧ ، وبعد الحرب اليابانية التي دامت منذ غزو منشوريا سنة ١٩٣١ حتى سنة ١٩٤٥ ، ولم يكن للصين أن تتوقع مساعدة من الغرب وكانت على أي حال ملتزمة بالكفاح ضد الدول « الغنية » في العالم . وقرر ماو التحالف مع الاتحاد السوفياتي « لاننا ننتمي دولياً الى الجبهة المعادية للامبريالية والتي يتزعمها الاتحاد السوفياتي »[٤] . وفي سنة ١٩٥٠ غادر ماو الصين لاول مرة الى موسكو ووقع معها في شباط من ذلك العام معاهدة صداقة « لا تتغير ولا تتصدع » . ومن وجهة نظر سوفياتية فان ستالين ضمن أمن جناح روسيا الشرقي بأن اكتسب التحالف العسكري مع الصين ، كما اقنع ماو بقبول استقلال منغوليا التي كانت جزءاً من الصين يوماً ما لكنها أخذت منذ سنة ١٩٢١ فصاعداً تنحو منحى « استقلالياً » متزايداً تحت الحماية السوفياتية ، واكد بقاء دارين وبورت آرثر قاعدتين سوفياتيتين كما كان الامر في عهد تشيانغ كاي تشيك وعلى الاقل حتى سنة ١٩٥٢ ، وعمل على تأسيس شركات ذات رأسمال مشترك لاستغلال موارد الصين المعدنية . ومقابل ذلك وبعد شهرين من المفاوضات كانت الصين ستتلقى ما يعادل ٣٠٠ مليون دولار من القروض الطويلة الاجل وهي اقل بكثير بالنسبة لعدد السكان مما أعطاه ستالين لبولندا سنة ١٩٤٨ على سبيل المثال . ولم تكن هذه بداية جديدة ميمونة كل اليُمْن بالنسبة للتعاون والتفاهم الصيني السوفياتي .

غير أن من الخطأ الاقلال من قيمة المعونة السوفياتية للصين في الخمسينات اذ يعترف الصينيون أنفسهم أنه مع نهاية سنة ١٩٥٧ كان السوفيت

يساعدون في اقامة ٢١١ مشروعاً صناعياً رئيسياً ، ويقدمون المشاريع والمخططات الصناعية والتقنية للصين من أجل استعمالها ، كما زودوا الصين بعدد من الخبراء يتراوح بين سبعة وعشرة الاف . ويدربون ما يزيد عن عشرة الاف خبير صيني في الاتحاد السوفياتي ويحتكرون حوالي ٥٠٪ من التجارة الخارجية للصين . غير أنه من الصحيح أيضاً أن الصين لم تتلق كثيراً من المساعدات بصورة منح . ومن اسباب ذلك ان الروس توقعوا من الصين ان تتبع برنامج تقشف ، وان خروشوف زاد من معوناته لاقطار العالم الثالث كالهند ومصر والعراق ولا سيما بعد مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ ، وفي تشرين الاول سنة ١٩٥٤ زار خروشوف الصين وبحث هناك تقديم قروض صناعية وكذلك مسألة اعادة بورت آرثر . ولكن كانت هناك توترات في العلاقات الصينية السوفياتية حتى في عام ١٩٥٤ ، وعندما هاجمت كوريا الجنوبية شقيقتها الشمالية حسب قول الشيوعيين فان الصين تدخلت . وقال الحزب الشيوعي الصيني في الستينات « اننا نعارض بحزم صداماً مباشراً بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ولا تقتصر معارضتنا لذلك على الاقوال . ولكن في الحرب الكورية وفي كفاحنا ضد الولايات المتحدة في مضائق تايوان ، فضلنا نحن بأنفسنا أن نتحمل التضحيات الثقيلة الضرورية ووقفنا في الخط الدفاعي الاول عن المعسكر الشيوعي بحيث يظل الاتحاد السوفياتي في الخط الثاني »[٥] . وقد دفع الصينيون الثمن غالياً في كوريا يضاف الى ذلك اضطرارهم لتسديد ثمن المساعدة السوفياتية العسكرية ، والبالغ الفي مليون دولار .

وخلال زيارة سنة ١٩٥٤ اثار ماو من جديد قضية استقلال منغوليا الخارجية . وفي السنة التالية زادت الصين كثيراً من هيبتها بين اقطار العالم الثالث في مؤتمر باندونغ ولم تحضر روسيا مؤتمر باندونغ كدولة بيضاء غنية نسبياً ولم تخضع قط للاستعمار الاوروبي . وفي سنة ١٩٥٥ كان خروشوف قد قرر التنافس مع امريكا في العالم المحايد بدلاً من المغامرة بمجابهة نووية في اوروبا ، ولا بد أنه كان من غير الملائم للروس أن يواجهوا تحدياً من بكين

لسيطرتهم على العالم الشيوعي . ولكن حسب قول المستشار اديناور الذي قابل خروشوف في موسكو في ايلول سنة ١٩٥٥ ، فان الزعيم السوفياتي كان مهتماً بأمور اكثر من مجرد التنافس في العالم الثالث (بلغ سكان الصين ستمائة مليون يعيشون الواحد منهم على قبضة يد من الارز . وفي كل سنة يزدادون بمقدار ١٢ مليون . فكيف سينتهي الامر ؟) واضاف وهو يطوي يديه « أرجوك أن تساعدنا في مشكلاتنا مع الصين »[٦] .

وتزايدت هذه الصعوبات كثيراً بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في شباط سنة ١٩٥٦ . فقد نادى خروشوف في المؤتمر بتعايش سلمي مع الغرب وتحقيق الاشتراكية بالاعتماد على النجاحات الشيوعية في صناديق الاقتراع في اوروبا ان لم يكن في أمكنة اخرى ايضاً ، واختتم قوله بالتنديد بسلفه ستالين . واصيب الصينيون بالذعر كما يتضح من اقوالهم فيما بعد وخالفوا جميع ما قاله خروشوف .

« قال خروشوف أن الامبرياليين أخذوا يسلمون بأن سياسة التحدث من مركز القوة قد فشلت وأن ثمة اعراضاً من السلوك الهادىء اخذت تظهر بينهم . وهذا يعادل القول بأن الامريكيين تخلوا عن سياساتهم القائمة على الحرب والعدوان وبأنهم أصبحوا من القوى المدافعة عن السلام »[٧] .

وكان الصينيون مستعدين للقبول بأن طروحات لينين حول امكانيات التعايش السلمي بين اقطار مختلفة الانظمة الاجتماعية ، يمكن أن تنطبق بين روسيا والهند ولكنهم كانوا في شك من انها تنطبق على امريكا ايزنهاور ودلاس كما أنهم كانوا بصورة واصحة ضد اعتبار التعايش السلمي « احد الخطوط العامة للسياسة الخارجيد السوفياتية » . كما خالف الصينيون الرأي القائل بامكانية تحقيق الاشتراكيه من خلال « الطرق البرلمانية » وساورتهم الشكوك في أن هذا المنطق أملته رغبة خروشوف في تجنب صراعات عنيفة في العالم قد تحول دون الوفاق السوفياتي ـ الامريكي الذي كان في مرحلته الجنينية : « ان الثورة العنيفة هي المبدأ العام لثورة البروليتاريا . . . وتدل التجارب التاريخية على أن

الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا يتم دائماً بقوة السلاح »[٨] .

واخيراً رغم أن الصينيين سلموا بأن « من الضروري نقد اخطاء ستالين » ، الا انهم شعروا أن خروشوف « انكر ستالين بالمرة ، وبفعله هذا شوه دكتاتورية البروليتاريا وأساء الى سمعة النظام الاشتراكي والحزب الشيوعي العظيم في الاتحاد السوفياتي والاتحاد السوفياتي العظيم والحركة الشيوعية الدولية »[٩] ، وباختصار فان ماو « كهل » الشيوعية بعد وفاة ستالين كان غاضباً من عمل « زميله الاصغر » الذي جاء من جانب واحد وشعر أن نقد عبادة الاشخاص كانت نقداً ضمنياً لمركزه في الصين كما كانت نقداً لمركز ستالين القديم في روسيا . وساورت، ماو مخاوف وشكوك من أن هذا التنديد المباشر بستالين قد يضعف هيبة الشيوعية ويحدث آثاراً ونتائج غير مقبولة في انضباطية العالم الشيوعي ، كما أن ماو ببساطة لم يؤمن بأن الامبريالية « السلمية » أو « الشيوعية البرلمانية » كانت من المبادىء الماركسية اللينينية المشروعة . ومع أن العالم الغربي لم يدرك تماماً مدى الانشقاق العقائدي لمدة حوالي اربع سنوات ، فان الذي حدث كان انقسام الصرح الشيوعي الضخم الى تحريفيين (أي الذين يراجعون أو يحرفون الماركسية اللينينية) ومتشددين (وهو اصطلاح سوفياتي يعني اولئك الذين يتبعون التعاليم الشيوعية بصورة متشددة عندما تسمح الظروف أو تتطلب تكييفاً أو مراجعة لتلك التعاليم) .

غير أن الصين انتظرت الى ان تؤكد الاعمال السوفياتية أو تنفي شكوك الصين حول سياسات خروشوف الجديدة وذلك قبل أن تشرع في الاستقلال عن موسكو وسرعان ما اذيعت نتائج التنديد بستالين في شرق اوروبا (انظر الفصل /٨) . وقد اعترض ماو على التدخل السوفياتي العسكري المزمع في بولندة ولكنه كان مضطراً لتأييد خروشوف ضد المجر التي هددت استقرار حلف وارسو . وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٧ طار رئيس الوزراء الصيني شو أن لاى الى موسكو وبراغ وبودابست ووارسو لتعزيز مركز خروشوف . ولكن المرء

يشك في أن امتنان خروشوف كان يشوبه نفور عميق من الاضطرار للاستعانة بالصين من أجل دعم السياسات السوفياتية في اوروبا الشرقية التي كانت تعتبر وقفاً على السوفيت . الا أنه بحلول خريف سنة ١٩٥٧ واطلاق سبوتنيك / ١ الى الفضاء وتفوق السوفيات الواضح في تكنولوجيا الصواريخ ، فان الهيبة السوفياتية لم تعد بحاجة لدعم صيني .

وظن ماو أن الوقت ملائم لممارسة لعبة حافة الحرب مع الغرب وان يرغم الولايات المتحدة عن طريق التهديد بالحرب على التنازل في المانيا والهند الصينية وتايوان وبقية انحاء العالم . أما خروشوف الذي لم يعتقد أن الامريكيين كانوا « نمراً من ورق » فقد كان يأمل في استخدام تفوقه العسكري المؤقت لاقناع الامريكين بمنح مزيد من الاحترام للاتحاد السوفياتي ولمركزه ومصالحه في العالم . كما أن خروشوف كان اكثر فهماً من ماو لميزان الرعب في العالم ولقوة امريكا الضخمة في مجال قاذفات القنابل العابرة للقارات وصواريخها التكتيكية المتقدمة في اوروبا وطائراتها القاذفة العاملة من الحاملات في البحر المتوسط والشرق الاقصى . يضاف الى ذلك ان بناء صاروخ قادر على اصابة امريكا من سيبيريا ليس مماثلاً لاقتناء اعداد كبيرة من الصواريخ ونشرها بحيث تكون جاهزة للعمل . هذا ، وقد تم على اى حال اختبار صاروخ امريكي عابر للقارات في كانون الاول ، وفي حرب عالمية سنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٥٨ كانت شرق اوروبا وغرب روسيا وليس الصين هي المعرضة لان تصبح مقابر من اليورانيوم .

وقد خفف من قلق ماو الثوري الى حد ما بسبب اساليب خروشوف التدريجية البطيئة ، وعدُ السوفيات بتقديم معونة نووية ، ذلك الوعد الذي قطع في كانون الاول سنة ١٩٥٧ الا أن السوفيات ارادوا ثمناً مقابل تزويدهم الصين بعينة للقنبلة النووية . ففي ٦ ايلول سنة ١٩٦٣ استذكرت جريدة الشعب اليومية المفاوضات على الشكل التالي « في سنة ١٩٥٨ تقدمت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بمطالب غير معقولة تستهدف وضع الصين تحت

السيطرة العسكرية السوفياتية » . ورفض الصينيون المطالب السوفياتية حول السيطرة المشتركة على السياسة الخارجية واحتفاظ السوفيات بالاشراف على الرؤوس الحربية النووية . وفي حزيران سنة ١٩٥٩ رد الروس « بتمزيق » اتفاقيات تشرين الاول سنة ١٩٥٧ ورفضوا تزويد الصين بالقنبلة الذرية . وقد يبدو ان خروشوف لم يرد أن يثق بماو فيسلمه السلاح الذري . كما أن مساعدة نووية من هذا القبيل قد تزعج الولايات المتحدة التي ربما تكون قد قدمت معونة نووية لالمانيا الغربية !!

وفي تموز سنة ١٩٥٨ سببت ثورة في العراق ازمة في الشرق الاوسط . استُدْعِيَ البريطانيون والامريكيون الى الاردن ولبنان لمنع انتشار هذه الثورة فاعترض العالم الشيوعي على ذلك . وقالت جريدة الشعب اليومية في ١٩ تموز انه « ما لم ينسحب المعتدون الامريكيون والبريطانيون من لبنان والاردن . . . فان السبيل الوحيد الذي يبقى مفتوحاً أمام شعوب العالم هو ضرب المعتدين على رؤوسهم » . ولكن خروشوف كان قد كتب الى ايزنهاور في اليوم السابق مؤكداً على « اننا لا نخاطبكم من موقع التهديد بل من موقع العقل والمنطق » [١٢] . وقبل أن يستوعب الصينيون هذا الخلاف على قضية استخدام القوة في الشرق الاوسط ، اندلعت ازمة في مضائق تايوان . ففي آب شرع الصينيون في قصف مدفعي على جزيرة كيموي الصغيرة التابعة للصين الوطنية (تايوان) والواقعة على بعد خمسة أميال عن البر الصيني . وقام الاسطول الامريكي السابع بحراسة السفن الصينية الوطنية الذاهبة الى الجزيرة المحاصرة وعندما هددت الصين الشعبية بتوسيع مدى مياهها الاقليمية الى ١٢ ميلا ، لم يكتف دلاس (في ٤ ايلول) بالقول أن الولايات المتحدة سوف تتجاهل ادعاء من هذا القبيل ، بل قال ايضاً ما مؤداه انه اذا تعرضت الجزيرة لمرحلة معينة من الخطر فان الولايات المتحدة سوف تقصف بطاريات المدفعية على ساحل الصين . وكان الحلف السوفياتي للصين ملفتاً للنظر بصمته . وفي ٦ أيلول اقترح شو أن لاى محادثات مع امريكا في وارسو على مستوى السفراء . وبعد أن

خفت حرارة الازمة قام خروشوف بتذكير الولايات المتحدة بأن « الهجوم على جمهورية الصين الشعبية . . . هجوم على الاتحاد السوفياتي » .

ولم يكن من المستغرب أن يتوصل الصينيون الى استنتاج بأنهم بحاجة الى قنبلة من صنع ايديهم لان الضمان السوفياتي النووي كان « ضماناً » مشكوكاً فيه . كما اعتزمت الصين الشروع في القفزة الكبرى الى الامام والتي تقوم على الاستفادة من عدد السكان الهائل في الصين في ضمان تقدم البلاد الاقتصادي واكتفائها الذاتي اقتصادياً ولم يوافق خروشوف على ذلك . ولم يلتفت الصينيون الى النصيحة السوفياتية التي مفادها أنه اذا نجحت الصين في تحقيق معجزات اقتصادية اعتماداً على الالهام والقوة البشرية فقط ، مقابل التخطيط الدقيق على يد الخبراء واستخدام المال والتكنولوجيا العلمية ، فانها سوف تشك في الممارسة السوفياتية الاقتصادية برمتها ، والتي كانت آنئذ المثال والقدوة للعالم الشيوعي .

أما على الجبهة الدولية فقد شهدت سنة ١٩٥٩ بداية الفشل للقفزة الكبرى الى الامام كما شهدت محادثات كامب ديفيد بين خروشوف وايزنهاور . وقام الزعيم السوفياتي الذي سره اعتراف الامريكيين به كناطق بلسان دولة عملاقة ، بامتداح ايزنهاور واصفاً اياه بأنه « رجل السلام » وزعيم ذو شعبية في امريكا . أما ماو فلم يستطع أن يفهم كيف يمكن أن يكون زعيم الامبرياليين رجل سلام وأنه يتمتع بمساندة البروليتاريا الامريكية . كذلك فان ملاحظات الزعيم السوفياتي في امريكا حول التقدم الروسي في صناعة السلع الاستهلاكية المتينة واحتمالات يوم العمل ذي الساعات الاربع ، كانت موضع عدم الرضا من الصين التي كانت تعاني من حالات الجفاف والفيضانات وتقنين الطعام ـ ومما زاد الطين بلة عودة خروشوف الى موسكو عن طريق بكين والقائه الدروس على ماو وتذكيره الزعيم الصيني بأن « ليس من واجبنا اجراء اختبار قوة لثبات النظام الشيوعي واستقراره »[١٣] .

وفي سنة ١٩٦٠ شرع الاتحاد السوفياتي في الاعداد لقمة باريس في شهر

أيار ، والتي كانت غير شاملة للصين . وأدى اسقاط طائرة ال يو / ٢ الامريكية التي كانت تتجسس على روسيا الى الغاء المؤتمر ، ولكن خروشوف أعلن في مؤتمر حزيران للحزب الشيوعي الروماني في بوخارست ما يلي :

« ليس في نيتنا الاستسلام للاستفزاز والانحراف عن الخط العام لسياستنا الخارجية وهذه السياسة سياسة تعايش سلمي تقوم على توطيد السلام وتخفيف حدة التوتر الدولي والتخلص من الحرب الباردة . يضاف الى ذلك ، أيها الرفاق أن المرء لا يستطيع أن يكرر حرفياً وآلياً الان حول هذا الامر ما قاله فلاديمير ايليتش لينين منذ عشرات السنين عن الامبريالية ، ونستمر في التوكيد أن الحروب الامبريالية امر حتمي الى أن تنتصر الشيوعية في العالم بأسره . على الارجح سيشهد التاريخ عصراً لن تبقى فيه الرأسمالية الا في عدد صغير من الدول وربما تكون دولا بمنزلة الزر على المعطف مثلا . حسناً !! وحتى في هذه الظروف ، فهل نحن مضطرون للرجوع الى الكتب لمعرفة ما قاله فلاديمير ايليتش لينين بحق عن أيامه ، وهل على المرء أن يكرر القول بأن الحروب لا مفر منها لان الاقطار الرأسمالية لا تزال موجودة »[١٤] ؟ .

وقد رد المندوب الصيني بينغ تشن (P'eng Chen)في اليوم التالي بقوله أن العبرة التي يمكن استخلاصها من حادث طائرة يو / ٢ هي « أن الامبريالية هي على كل حال الامبريالية وان كلامها المعسول لا يمكن أن يوثق به » . وقد أدى هذا بدوره الى خطاب تقريع من خروشوف في اليوم الاخير للمؤتمر أثار فيه قضايا متفجرة مثل القفزة الكبرى الى الامام والنزاع الهندي الصيني على الحدود الذي ادى الى صدامات حدودية سنة ١٩٥٩ والذي وقف فيه السوفيات موقفاً حيادياً لافتا للنظر . الا أن روسيا والصين اتفقتا على الدعوة لمؤتمر شيوعي عالمي في موسكو في تشرين الثاني . ولكن في خلال شهر واحد ، قامت روسيا بسحب ١٣٩٠ مستشاراً صناعياً لها من الصين . وقد غادروا وهم يحملون معهم مخططاتهم الصناعية بذريعة انهم كانوا يعرضون لمحاضرات معادية للروس ، ولكن السبب الارجح هو رغبة خروشوف في أن يرغم

الصينين على الاعتراف بمدى اعتمادهم على المساعدة والمشورة السوفياتية الاقتصادية . والواقع أن عملية « الابتزاز » السوفياتي زادت من دفع الصين الى الاستقلال عن غيزها . فصممت على تسديد القروض السوفياتية البالغة ١٥٦٢ مليون دولار وتقليص تجارتها مع الكتلة السوفياتية ، وبحلول سنة ١٩٦٣ كان ٣٠٪ فقط من تجارة الصين يجري مع الكتلة الشيوعية مقابل ٧٠٪ سنة ١٩٥٥ . وجرت بمؤتمر موسكو محاولة لترقيع سطحي لبعض الشقوق والتصدعات العقائدية ، ولذلك كان البيان الختامي للمؤتمر غير متوافق من حيث الطابع « العدواني » للامبريالية ومفهوم « الانتقال السلمي » الى الاشتراكية . غير أن الصرح الضخم كان قد تصدع في الحقيقة وأخذ العالم الشيوعي ينحاز الى واحد من الطرفين المتخاصمين وان كانت الدولة الشيوعية الوحيدة التي انحازت الى الصين في هذه المرحلة هي البانيا (انظر الفصل / ١٥) .

وخلال سنة ١٩٦١ كانت العلاقات الصينية السوفياتية هادئة ولكن العاصفة هبت مع حوادث الصدام على الحدود في سنكيانغ في خريف سنة ١٩٦٢ (انظر خريطة التغيرات الاقليمية الصينية السوفياتية) وكذلك مع الحرب الصينية الهندية وازمة الصواريخ الكوبية وحدثت كلاهما في تشرين الاول . وقد استشاطت الصين غضباً من انحياز السوفيات الى الهند في نزاع كان من شبه المؤكد أن الهند هي التي اثارته . وكان موقفاً غريباً أن تستطيع برافدا القول « بأنه لم تكن ثمة دواع للصراع الحدودي بين الهند والصين »[١٥] بينما كانت جريدة الصنداي تلغراف الصادرة في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٦٢ تقول أن الهند « شنت هجومها ضد الصينيين على حدود الهملايا » . وبعد أزمة الصواريخ الكوبية اتهمت صحيفة الشعب اليومية الصينية الروس بخطأ يتسم بالمغامرة في تزويد كوبا بالصواريخ « وبالاستسلام للامبريالية الامريكية » ـ وذلك . بابعاد الصواريخ وفق « شروط معينة » .

وخلال سنة ١٩٦٣ كانت الحرب الكلامية بين الصين والاتحاد السوفياتي

منطلقة دون قيود ومما زادها اشتعالاً الاتفاق الامريكي السوفياتي على الحظر الجزئي للتجارب النووية في تموز . وهذه المعاهدة لو وقعت لكانت ترغم الطرف الموقع عليها أن يلجأ الى اجراء التجارب تحت الارض وهو عمل اكثر كلفة وتعقيداً . وادعى الصينيون انهم يفضلون نزع السلاح النووي نزعاً شاملاً وانهاء جميع التجارب وصناعات الاسلحة الذرية . وتصفية جميع القواعد فيما وراء البحار لان « من الواضح أن هذه المعاهدة لم يكن لها تأثير معوق لسياسات الولايات المتحدة المتعلقة بالاعداد لحرب نووية وابتزاز نووي . . . والهدف الاساسي لهذه المعاهدة هو . . . منع جميع الاقطار المحبة للسلام بما فيها الصين من زيادة قدرتها الدفاعية . بحيث تبقى الولايات المتحدة اكثر حرية في تهديد هذه الاقطار وابتزازها »[١٦]

وشهدت سنة ١٩٦٣ بداية تطوير الاحزاب الشيوعية المنشقة المؤيدة للصين في عديد من البلاد . مثل بلجيكا وسيلان واستراليا وبيرو والهند ، بينما انحازت بعض الاحزاب الصينية الكبرى الى جانب الصين في الحرب الباردة الجديدة المتنامية . وبحلول سنة ١٩٦٦ كانت هناك جماعات ومنشورات مؤيدة للصين في كل بلد اوروبي تقريباً . ولقيت الاحزاب المؤيدة للصين منافسة من الجماعات المؤيدة لكاسترو . وبمجيء سنة ١٩٦٧ بدا وكأن وقتاً طويلاً قد انقضى على الايام التي كانت الشيوعية الحقة فيها تعرف بالاشارة ببساطة الى تفسيرات ستالين للماركسية اللينينية . ومع نهاية سنة ١٩٦٣ فان الدعاية التي كانت مرتبطة في العادة بنشرات امريكية مضادة للشيوعية مثل الايحاء بأن روسيا كانت تتاجر مع جنوب افريقيا أو أن الصين كانت تصدر الافيون عن طريق مكاو ، كانت تحظى بانتشار كبير في المنشورات أو المطبوعات الصينية والسوفياتية على التوالي .

وخلال سنة ١٩٦٣ اتهم كل من الجانبين الآخر بمختلف الزندقات ففي العشرينات من هذا القرن كانت النظرية الماركسية ـ اللينينية قد قالت بأن تقدم الشيوعية في العالم كان يعتمد على جهود الدول الشيوعية القائمة وعلى جهود

العمال في الاقطار النامية ـ ووفق هذا الترتيب . ولكن الصينيين طلعوا بفكرة « المنطقة المتوسطة » والاقطار الغربية (كاليابان وكندا واستراليا) ، التي تحاول التحرر من « سيطرة الولايات المتحدة وارهابها » ، واقطار العالم الثالث التي كانت خاضعة سابقاً للاستعمار . وحسب رأي روسيا ، كانت الاهمية المتزايدة التي اضفيت على الاقطار المختلفة في تقدم « الثورة » نوعاً من الزندقة العقائدية . كما أن التوكيد السوفياتي على الاقطار الاوروبية والتركيز الصيني على الاقطار الاسيوية دعا ايضاً الى تشجيع الصراع العقائدي حول الوسائل « البرلمانية » للاشتراكية . وكانت ثمة امكانية على الاقل لمجيء الشيوعية للسلطة بالوسائل السلمية في فرنسا وايطاليا وربما في البرتغال . أما في معظم اقطار العالم الثالث فالشيوعيون يعانون من الكبت . ولذلك لا يتوقع وصولهم الى السلطة الا عن طريق العنف . غير أن معظم المساعدة المادية للحركات الثورية لا تزال تأتي من الاتحاد السوفياتي الاغنى من الصين . ويجادل الصينيون بقولهم أن السوفيات لا يدعمون الثورة (كما في اليونان سنة ١٩٤٨ وفي الجزائر سنة ١٩٦٠) عندما تصطدم مع مصالحهم القومية أو عندما يخافون من مجابهة نووية محتملة . ويتشعب الانشقاق الصيني السوفياتي ليدخل في مجال الحرب وذلك عندما يؤكد ماو على القوة والعنف بقوله « يجب أن يعرف كل شيوعي الحقيقة القائلة بأن البندقية هي مصدر القوة » ، وعندما يركز خروشوف على المنافسة الاقتصادية ويحاول أن يبرهن على تفوق الشيوعية وبذلك يجتذب شعوب العالم الى تلك العقائدية . وحول هذا الامر يمكن وصف تعليق ماو على نهرو سنة ١٩٥٥ بأنه أشهر تعليق وفي ذات الوقت اكثر التعليقات قابلية للتشويه أو التحريف وقد جاء فيه « لنتصور كَمْ من الناس سيموتون اذا ما اندلعت نيران الحرب ؟ من سكان العالم البالغين ٢٧٠٠ مليون قد يموت الثلث أو النصف . انهم هم وليس نحن الذين نرغب في القتال . . . واذا ما بلغت الامور أسوأ حالاتها وهلك نصف البشر ، فان النصف الآخر سوف يبقى بينما سوف تمحى الامبريالية من على وجه الارض ويصبح العالم بأسره اشتراكي

المذهب »[١٧] . وجاء في مذكرات خروشوف أن « ماوتسي تونغ يعتقد أن الحرب العالمية سوف تضعف الاقطار الرأسمالية وبذلك تؤدي الى مزيد من المكاسب للبروليتاريا . هذا قول مضحك . فالحرب سوف تؤذي الاقطار الاشتراكية بقدر ما تؤذي الآخرين »[١٨] .

واستمرت المناقشة والصينيون يتهمون السوفيت أنهم يريدون السلام بأي ثمن والسوفيت يزعمون أن الصينيين يريدون الحرب بأي ثمن ، أو على الاقل بأنهم يريدون « صنع » الثورات في الاقطار التي لم تكن مستعدة لها بعد ، وحيث كان يوجد خطر التصاعد النووي . ويبدو أن الولايات المتحدة قبلت التحليل السوفياتي للاحداث . اذ قال كنيدي سنة ١٩٦١ « هؤلاء الصينيون خشنون ـ وليس الامر انهم يكتفون بالقول عنا ما يقولونه عن الروس . انهم في المرحلة الستالينية يؤمنون بحرب الطبقات واستخدام القوة ـ ويبدون مستعدين للتضحية بثلاثمائة مليون اذا اقتضى الامر من أجل السيطرة على آسيا »[١٩] . وبناء على هذه المعتقدات لا يستغرب ان تستقبل امريكا بتحسب تفجير اول قنبلة ذرية صينية في تشرين الاول سنة ١٩٦٤ مع أن الحكومة الصينية اعلنت في اليوم التالي « أن الصين لن تكون أول من يستخدم الاسلحة النووية » .

وجاء تغيير الزعامة في الاتحاد السوفياتي في تشرين الاول سنة ١٩٦٤ بهدوء مؤقت في الحرب العقائدية . ولكن سرعان ما اتهم برجنيف وكوسيجين « بالتواطؤ » مع الولايات المتحدة في « اعادة » الرأسمالية الى الاتحاد السوفياتي واستغلال حرب فيتنام لمصالحهما الخاصة ، وزار كوسيجين بكين في شباط سنة ١٩٦٥ ليطالب « بعمل موحد » في فيتنام والذي كان معناه بالنسبة للصينيين، ممراً جوياً عبر الصين واستخدام مطارين في جنوب الصين يحرسهما السوفيت . « لدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن لديكم اسباباً خفية في عرض هذه المساعدة . وبصراحة فانا لا نثق بكم »[٢٠] . هذا ما أعلنه بيان حكومي صيني في تموز . كما أن ماو كان يخشى من عدوى « التحريفية » المحلية أن تنتقل

من روسيا الى الصين وبموجب هذه التحريفية أتى الى السلطة نخبة جديدة من ذوي الرواتب العالية والامتيازات الكبيرة وهم ينتمون الى بيروقراطية الحزب ويعيشون « حياة البورجوازيين الطفيلية المنحلة »[٢١] . وفي سنة ١٩٦٦ ومن أجل منع هذا العنصر وغيره من عناصر « الردة » ، بدأ ماو الثورة الثقافية التي كانت تستهدف حسب رأي السوفيت ، تطهير الصين الشعبية من الشيوعيين الذين كانوا يفضلون النوع السوفياتي من الشيوعية ويعارضون الانشقاق الصيني السوفياتي [٢٢] . وفيما بين سنة ١٩٦٦ وسنة ١٩٦٨ تركز انتباه الصين على الأزمة الداخلية ، مع أن الصحافة الصينية ظلت تتهم روسيا « بالتحالف » مع امريكا والهند واليابان « لاحتواء » الصين [٢٣] . وحاصر الحرس الاحمر السفارة السوفياتية في بكين في كانون الثاني سنة ١٩٦٧ وفي شباط سنة ١٩٦٧ كانت جريدة الشعب اليومية تشبه القادة السوفيات بالقياصرة القدامى وبهتلر وبعصابة كلوكلكس كلان .

وعاد الصينيون الى الانتباه لما يجري في المسرح الدولي رداً على غزو الروس تشيكوسلوفاكيا في آب سنة ١٩٦٨ . وفي نظر بكين قام الجيش السوفياتي بغزو بلد شيوعي آخر لمجرد أن موسكو لم تكن تحب ذلك اللون من الشيوعية الذي كان يمارس هناك . الصينيون يعرفون أن موسكو كانت تكره مبادىء ماو اكثر بكثير مما كانت تمقت « اشتراكية دوبتشك ذات الوجه الانساني » ، ولذلك كان ينظر الى « نظرية برجنيف » على أنها « منطق متطرف لقطّاع الطرق يتسلح به القياصرة الجدد لتبرير عدوانهم »[٢٤] . وقياساً على منطق لينين في انتقاده لاولئك الذين هم « اشتراكيون قولا ، امبرياليون عملا » ، فان الزعماء السوفيات كانوا دون شك متهمين بجريمة « الامبريالية الاشتراكية » .

وفي ٢ اذار سنة ١٩٦٩ تحولت الحرب الكلامية الى صدامات رئيسية فعلية على الحدود الصينية السوفياتية . ولمسألة الحدود الصينية السوفياتية تاريخ طويل ففي ٢٧ أيلول سنة ١٩٢٠ قالت اللجنة السوفياتية المؤقتة للشؤون الخارجية أن

روسيا تعلن « بطلان جميع المعاهدات التي ابرمتها حكومات روسيا السابقة مع الصين ، وتتبرأ من جميع عمليات الاستيلاء على الاراضي الصينية وجميع الامتيازات الروسية في الصين »[٢٥] . بيد أن هذا الوعد لم ينفذ قط . لقد تم الاستيلاء على مساحات واسعة في الشرق الاقصى السوفياتي كانت صينية من قبل أو تحتلها الصين أو تحت السيادة الصينية . وفي آذار سنة ١٩٦٣ أخذ الصينيون يعلنون أن هذه « معاهدات غير متكافئة » ويجب أن يعاد التفاوض على بعضها . وادعى وزير الخارجية تشين بي انه بالاضافة الى ١٥٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع من الارض التي ضمتها روسيا القيصرية ، فقد استولى الاتحاد السوفياتي ايضاً على مساحات اخرى من الارض « انتهاكا لهذه المعاهدات »[٢٦] . وفي تموز سنة ١٩٦٤ بحث ماو في حديث مع وفد زائر من الاشتراكيين اليابانيين ، قضية منغوليا وجزر الكوريل اليابانية التي تحتلها روسيا منذ سنة ١٩٤٥ والمناورات الاقليمية في اوروبا الشرقية في سنة ١٩٤٥ . وقد قال : « تبلغ مساحة الاتحاد السوفياتي ٢٢ مليون كيلومتر مربع ولا يتعدى سكانه مائتي مليون نسمة . ومنذ حوالي مائة سنة أصبحت المنطقة شرقي بحيرة بيكال ارضاً روسية . ومنذئذ اصبحت فلاديفستك وخباروفسك وكامشتكا ومناطق اخرى ارضاً روسية أيضاً . ولم نقدم حسابنا بعد من أجل هذه القائمة »[٢٧] . وفي ٢ ايلول سنة ١٩٦٤ تحدثت افتتاحية برافدا بتشاؤم عما حدث لدول كانت قد شنت حروباً من أجل المجال الحيوي (*) غير أن الاحداث لم تنفجر حتى سنة ١٩٦٩ .

وفي الثاني من آذار سنة ١٩٦٩ قتل واحد وثلاثون روسياً وعدد غير معروف من الصينيين بسبب جزيرة دامانسكي (اوتشينباو) المتنازع عليها وذلك في صدامات بين الجيش الاحمر (السوفياتي) وجيش التحرير الشعبي (الصيني) وحدث مزيد من القتال في ١٤ آذار . وفي شهر نيسان امتد العنف

(*) يعيش حوالي ثلاثين مليون صيني في منشوريا لوحدها بينما لا يوجد اكثر من ٢٠ مليون روسي في سيبيريا برمتها .

الى حدود سينكيانغ . وقال الروس أن الصينيين كانوا ينازعونهم المليون ونصف مليون كيلومتر مربع التي استولى عليها القياصرة . اما الصينيون فردوا أنهم كانوا يطالبون بـ ال ٢٠٠ الف كيلو متر مربع التي احتلها الروس زيادة على المليون ونصف المليون كيلومتر مربع . وفي حزيران سنة ١٩٦٩ اخذ الروس يفكرون بعقد حلف دفاعي اسيوي مع الهند وتايلند واندونيسا ، وهذا بعث جديد لمنطق دلاس في انشاء حلف جنوب شرق آسيا حسب رأي الصين . وفي حديث باللغة الصينية اذاعه « راديو السلام والتقدم » في شهر آب من موسكو جرى تذكير الصينيين بأن « الاتحاد السوفياتي يمتلك ترسانه مليئة بالصواريخ النووية ، فما الذي يوجد لدى ماوتسي تونغ واذنابه لمقابلتها؟ لا شيء»(٢٨)!! .

وفي ٢٨ آب اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني توجيهاً « بالاعداد للحرب » وأخذ افراد الشعب الصيني في انشاء ملاجىء نووية . وخفت حدة التوتر عندما بدأت مفاوضات الحدود في ايلول بعد زيارة كوسيجين لبيكين ولكنها عادت فاشتدت عندما انهارت المفاوضات في كانون الاول .

واذا كان الوفاق السوفياتي ـ الامريكي نتيجة ضرورية لعالم نووي ـ وتحريك الذيل النووي للنمر الماركسي اللينيني ـ فأنه اصبح اكثر لزوماً عندما اضطر الاتحاد السوفياتي لاعادة توجيه بعض قواته المسلحة من أجل مواجهة تهديد « الخطر الاصفر » من الشرق وفي كانون الاول سنة ١٩٦٩ كان هناك ٦٥٨ الف جندي سوفياتي يواجهون ٨١٤ الف جندي صيني على الحدود (٢٩) . وفي تموز سنة ١٩٧٠ حشد الروس ٦٧٥٠ دبابة ت / ٦٢ لتواجه ٢٠٠٠ دبابه ت / ٥٩ صينية على مناطق الحدود الوسطى والشرقية . يضاف الى ذلك انه كان في حوزة الروس ١٤٠ قاذفة بعيدة المدى جاهزة للعمل بينما لم يكن لدى الصينيين شيء من ذلك . وكان لدى الروس ايضاً ٥٥٠ قاذفة متوسطة المدى مقابل ١٥ قاذفة لدى الصين . ونصبت الصواريخ النووية التكتيكية السوفياتية في منغوليا على مقربة من المنشآت النووية الصينية في هايين ولانشو وباوتو بينما يمكن للروس بالطبع استخدام صواريخهم العابرة للقارات وجميع الغواصات

النووية في اسطولهم في المحيط الهادى ضد الصين اذا اقتضى الامر [٣٠] . وجاء في تقرير موثوق أنه « في حالة صراع نووي غير محدود فان في وسع السوفييت تدمير القوات الجوية والبحرية الصينية تدميراً شبه تام والحاق دمار واسع النطاق بمدنهم » وفي سنة ١٩٧٢ كان لدى الروس ١٠ عشرة الاف دبابة على الحدود الصينية يضاف اليها ١٢٠٠ طائرة مقاتلة (وهو ربع القوة الجوية السوفياتية) ومليون جندي حسب التقديرات الصينية .

وفي سنة ١٩٧٠ اطلقت الصين الى مدار الكرة الارضية قمراً صناعياً وزنه ٣٨٠ باوندا ويبث اشارات تقول « الشرق أحمر » ، ولا بد أن هذا الحدث قد دفع الروس الى مناقشة المزايا والمضار الناتجة عن « ضربة جراحية » ضد المنشآت النووية الصينية على الاقل وذلك قبل أن تستطيع الصين نشر صاروخ عابر للقارات . وبحلول سنة ١٩٧٣ كانت ترابط على الحدود الصينية خمس واربعون فرقة روسية . وجاء في تحليل موثوق في ذلك الوقت أن ٢٥٠ صاروخاً سوفياتياً كافية لتدمير القدرة النووية الصينية [٣١] . لذلك فان السؤال المطروح هو : لماذا لم يقم الاتحاد السوفياتي بغزو بالاسلحة التقليدية لاقليم سينكيانغ (لتدمير لوب نور ومناجم اليورانيوم الصينية) او بشن ضربة نووية كاجراء وقائي أو استباقي في اوائل السبعينات ؟ هناك عدد من الاسباب الممكنة . اذ كان على الروس تدمير حوالي سبعين صاروخاً صينياً متوسطة المدى كانت تقوم في مواقع « طرية » (اي فوق الارض بدلاً من حفظها في شون من الفولاذ والاسمنت المسلح) . ولكن كان على الروس قطع مسافة أو مدى طوله ٢٠٠٠ ميل . ولذلك اذا نجت بعض هذه الصواريخ من الهجوم السوفياتي فان بعض المدن السوفياتية الكبرى مثل فلاديفستك وخباروفسك واركتسك ، سوف تعاني من اعداد كبيرة من الاصابات . كذلك كان لدى الصينيين حوالي ١٥٠ تيو / ١٦ (TU/ 16) من القاذفات القصيرة والمتوسطة المدى وبعضها كانت قواعدها قرب المدن الصينية . وان تدميرها سيؤدي في اللغة النووية الى « اضرار جانبية كبيرة » تصيب السكان المدنيين الصينيين ، وسيكون من

الصعب على الدعاية الروسية تبرير قتل هؤلاء المدنيين للعالم الشيوعي نفسه ناهيك عن العالم الثالث والعالم الغربي . كذلك فانه اذا تم شن مثل هذه الضربة فانه لن يكون سهلاً على السوفيات احتلال الصين واقامة حكومة العوبة في ايديهم . والبديل سيكون حكومة معادية للاتحاد السوفياتي قد تنحاز مؤقتاً الى « تحالف » امريكي من نوع ما . وان هجوماً على الصين سيبدأ في الواقع سلسلة من الاحداث الدولية لن يكون سهلاً على الاتحاد السوفياتي السيطرة عليها . وقد أعلم الامريكيون (قبل زيارة نيكسون لبكين سنة ١٩٧٢ وبعدها) روسيا عن معارضتهم لاية مواجهة صينية سوفياتية . ولم تستخدم أية اسلحة نووية منذ آب سنة ١٩٤٥ وسيكون استخدام أية دولة لها ضد دولة اخرى عاملاً فعالاً في زعزعة استقرار العلاقات الدولية . كما أن اية حرب صينية سوفياتية سوف تؤدي الى الاخلال بالميزان النووي السوفياتي ـ الامريكي وايقاع ضغوط وتوترات لا تحتمل على الوفاق العالمي والاوروبي . وقصارى القول ، كان الانتظار والامل بمجيء زعامة صينية ألين عريكة وأسلس قيادا بعد ماو ، أمراً له مغرياته .

واستمرت العلاقات بين البلدين متوترة في اواسط السبعينات . واتهمت الصين السوفيات بمحاولة الحصول على قواعد عسكرية في الاقطار التي تقدم لها « معونات »[٣٢] وبنهب مواردها الطبيعية والتدخل في شؤونها الداخلية . وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٤ اتهمت روسيا بالمسؤولية عن « تقطيع أوصال » باكستان في الحرب الهندية الباكستانية سنة ١٩٧١ . ولا شك أن هذه كانت فترة متوترة . ففي خطابه عن السياسة الخارجية والموجه الى الكونغرس سنة ١٩٧٢ اعلن الرئيس نيكسون ما يلي : « في ازمة سنة ١٩٧١ كان الاتحاد السوفياتي راغباً في نقض اجراء الامم المتحدة (باستخدام الفيتو) وبالقيام بتحركات عسكرية لردع الصين من أجل مصلحة الهند . وبالنسبة للولايات المتحدة فان التنافس مع الاتحاد السوفياتي في تشجيع سباق للتسلح وتعطيل جهود الامم المتحدة لايقاف الحرب وتهديد الصين ، كانت من الامور غير

الواردة »[٣٣] . وفي سنة ١٩٧٤ اتهم برجينيف « بالكونفوشيه » وبأنه خائف من أن الحرية التي أظهرتها الصين خلال الثورة الثقافية وبعدها ، قد تصيب روسيا « بالعدوى »[٣٤] . وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٤ طرد خمسة من اعضاء السفارة السوفياتية بتهمة التجسس على الصين [٣٥] . وشنت الصحف الصينية هجوماً لاذعا على « ما يسمى بالمستشفيات العقلية » في روسيا حيث يرسل « المجانين الذين يعارضون الحكم المظلم للتحريفية السوفياتية »[٣٦] . بل ان اشارة لاعتدال ظاهري - وهي عرض صيني لابرام اتفاقية عدم اعتداء مع روسيا في تشرين الثاني سنة ١٩٧٤ - كان يحتوي على شرط مسبق لضرورة انسحاب القوات مسافة معينة من حدود المناطق المتنازع عليها ولم يكن لدى روسيا نية في الانسحاب من ارض تعتبرها أرضاً سوفياتية لا جدال عليها ابداً .

وعلى أية حال ، فقد استمرت الصين في انتقاد السلوك السوفياتي ومن أمثلة ذلك السلوك السوفياتي في الشرق الاوسط بعد حرب تشرين الاول سنة ١٩٧٣ (انظر الفصل ١٧) فقد اتهم الصينيون السوفييت [٣٧] بانهم يحاولون « التحكم بمصير الشعوب العربية » لانهم لم يزودوا مصر باسلحة كافية وزودوا اسرائيل بالقوة البشرية بالسماح لليهود بالهجرة بتواطوء واضح مع الصهيونية الاسرائيلية والامبريالية الامريكية[٣٨] . وحسب رأى ممثل الصين في الامم المتحدة فقد رتب السوفييت مسرحية ازمة حرب نووية « مع امريكا من اجل فرض سلام على الدول المتحاربة في مواقعها الاصلية » من اجل ضمان موقف او وضع يخدم الدولتين العملاقتين بأفضل الصور في تسابقهما على مناطق النفوذ واحتياطي النفط والمواقع الاستراتيجية في الشرق الاوسط »[٣٩] .

وفي الشرق الاقصى وجهت الى اليابان في كانون الثاني سنة ١٩٧٥ نصيحة من شو ان لاى لتكوين روابط اوثق مع امريكا . وتفضل الصين ارتباط اليابان بامريكا على أن يتم اغراؤ ها بنفط سيبيريا لتنضم الى تحالف دفاعي مع الاتحاد السوفياتي . ولذلك فقد ركزت الصين على تجارة مع اليابان قيمتها ١٣٠٠ مليون جنيه استرليني سنة ١٩٧٤ وذكرت اليابان بالاحتلال السوفياتي

المستمر لجزر كوريل اليابانية .

وفي الغرب تؤ يد الصين المجموعة الاقتصادية الاوروبية ككتلة قوى قادرة على التصدي للسوفيات وتحذر الامم الاوروبية من أن روسيا « في الوقت الذي تحاول ان تخلق فيه شعوراً زائفاً بالوفاق في اوروبا فانها (اي روسيا) تبني قوتها العسكرية لتمهد الطريق للتسلل والسيطرة في اوروبا الغربية »[٤٠] .

الفصل الخامس عشر

اوروبا الشرقية ومبدأ برجنيف

كان الموقف السوفياتي ازاء تفاوت الرغبة في تقرير المصير بين حلفاء السوفيات خلال الستينات موقفاً غامضاً . فمنذ سنة ١٩٦٠ نجحت القومية الالبانية في اقامة استقلال كامل عن موسكو . وتتبع رومانيا سياسة خارجية كثيراً ما تتضارب مع سياسة الاتحاد السوفياتي . وطورت كل من بولندا والمجر انظمة اقتصادية تختلف اختلافاً بينا عن انظمة الاتحاد السوفياتي . ومع ذلك فان محاولة تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ في الحصول على استقلال محدود قمعها الاتحاد السوفياتي بشدة . وشرع الاتحاد السوفياتي في انتهاج سياسة وفاق مع الغرب ولكن من احد مقاييس نجاح هذه السياسة عند الغرب المدى الذي يمكن الوصول اليه في زيادة الاتصالات مع كل دولة اوروبية شرقية بصورة مستقلة عن موسكو . وحاولت السياسة السوفياتية بين أواسط الستينات واواسط السبعينات أن تحصل على مزايا الوفاق مع ضمان استمرار السيطرة السوفياتية في اوروبا الشرقية . وقد قال وزير الخارجية السوفياتية في حزيران سنة ١٩٦٨ في خطاب موجه الى مجلس السوفيات الاعلى (البرلمان) « بالنسبة للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، وللجنة المركزية ، وللحكومة السوفياتية وللشعب السوفياتي بأسره لا يوجد في ميدان السياسة الخارجية ما هو أقدس من توطيد وحدة الاقطار الاشتراكية »[١] . ومن الوسائل الرئيسية في « توطيد وحدة الاقطار السوفياتية » ، حلف وارسو .

في ٩ ايار سنة ١٩٥٥ اجتمع قادة الاتحاد السوفياتي وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا وألبانيا والمانيا الديمقراطية في وارسو لتوقيع المعاهدة التي اقامت حلف وارسو . وقد عمل حلف وارسو على ربط

اقطار اوروبا الشرقية ربطاً أوثق بالاتحاد السوفياتي ، كما استخدمه الكرملين لممارسة نوع من السيطرة على اقطار اوروبا الشرقية اكثر براعة وخفاء مما كان عليه الامر في عهد ستالين . لقد افادت المعاهدة الدول التابعة للسوفييت لانها نظمت علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي واعطت هذه الدول قدراً من السيطرة على قواتها المسلحة لم يكن ستالين ليسمح به أبداً . وهناك ضباط سوفييت كبار يخدمون في قوات اوروبا الشرقية مثل روكوسوفسكي في بولندا وبانتشيفسكي في بلغاريا حل محلهما ضباط من أهل البلاد أنفسهم . وسحبت الامتيازات التي كان يتمتع بها الاشخاص السوفييت في اوروبا الشرقية . وخلال اواخر الخمسينات واوائل الستينات تم تقليص عدد القوات الاوروبية الشرقية واعيد تسليحها بأسلحة احدث كما زيدت درجة كفاءتها . وأخذت تلعب دوراً اكثر وضوحاً ومنطقية في الدفاع عن شرق اوروبا كما جرى اعدادها للمهمة التي كان الجيش الاحمر السوفياتي يقوم بها وهي ابقاء الاحزاب الشيوعية في بلادها في دست الحكم .

وكان حلف وارسو رمزاً للثقة المتزايدة التي اولاها الاتحاد السوفياتي لدول اوروبا الشرقية . بيد أن تلك الثقة كانت محدودة دائماً . اذ كان القائد العسكري لقوات حلف وارسو روسياً باستمرار ـ وكان القائد الاعلى لحلف شمال الاطلسي بهذه المناسبة امريكياً دائماً . ويبدو أن القيادة العليا لحلف وارسو جزء لا يتجزأ من وزارة الدفاع السوفياتية . ويستخدم الاتحاد السوفياتي حلف وارسو لتنسيق السياسة العسكرية والدفاعية في اوروبا الشرقية كما يستخدم وسيلة لنقل ما يطلبه الاتحاد السوفياتي من حلفائه سياسياً . الا أن ايجاد حلف وارسو في حد ذاته وما رافقه من التخلص من الستالينية ، أثار مصاعب للاتحاد السوفياتي في علاقاته مع اوروبا الشرقية . فما أن زالت قبضة ستالين الحديدية حتى ظهرت الروح القومية في شرق اوروبا باشكال مختلفة . ولا تقاس القومية في الاطار الاوروبي الشرقي الا باتخاذ سياسات ومواقف تخالف بل وتعادي الاتحاد السوفياتي والنفوذ السوفياتي الكاسح .

وكانــت يوغوســلافيا أول دولــة تؤكد على استقلالهــا عن الاتحــاد السوفياتي . ومع أن العلاقات بين البلدين قد اعيدت ، الا أن بلغراد استعادت سيادتها وهي دائماً تقف في منتصف الطريق بين الشرق والغرب . وكان القطر الذي حقق اكبر قدر من الانشقاق عن موسكو هو البانيا وهي بلد من اصغـر اقطار اوروبا واكثرها فقراً .

وبعد سنة ١٩٤٥ خططت يوغوسلافيا بتأييد من السوفييت لدمـج هذا القطر الصغير في الاتحاد اليوغوسلافي ولذلك عندمـا تم طرد يوغوسـلافيا من الكومنفورم سنة ١٩٤٨ اعلنت البانيا عن صداقتها وتأييدها الثابتـين للاتحـاد السوفياتي . وبذلك كسبت البانيا حامياً لها على قدر من الضخامة بحيث يردع يوغوسـلافيا ، لكنـه بعيد ايضـاً لدرجـة لا تسمـح له بأن يفعــل ما هددت يوغوسلافيا بفعله . وعندما تحسنت العلاقات الروسية اليوغوسلافية في اواخر الخمسينات واجهت البانيا مرة اخرى امكانية التهديد بضمها الى يوغوسلافيا . ومن حسن حظ الالبان أن الانشقاق بين الصين والاتحاد السوفياتي وفر لهم حماية جديدة تحل مكان حماية الاتحاد السوفياتي لهم . واجبرت الغواصات السوفياتية الاربع على مغادرة ميناء فالونا الالباني . وفي سنة ١٩٦٨ اعلنت البانيا رسمياً انسحابها من حلف وارسو وذلك بعد غزو تشيكوسلوفاكيا . علماً بأنها قد تخلت عن القيام بأي دور فعال في ذلك الحلف قبل انسحابها بسبع سنوات ، ولم تكن صداقة البانيا مع الصين نتيجة بحث أنور خوجا زعيم البانيا وقتئـذ عن نقـاء عقائـدي ، ولكنهـا جاءت بحثـاً عن دولـة عظمـى تحميهـا . وعلى أثـر غزو تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ شرعت البانيا في تحسين علاقاتها مع يوغوسـلافيا ورومانيا لان تلك الاقطـار الثلاثـة جميعهـا كانـت تخشى احتمال اتخاذ اجـراء عسكري ضدها . ولكن رغبة البانيا في تكوين صداقة مع دول اوروبا الشرقية تراجعت بتراجع خطر الغزو السوفياتي .

وحتى اواخر الستينات لم يكن لدى الاتحاد السوفياتي قدرة بحرية للقيام بغزو البانيا كما لا توجد حدود مشتركة بين البانيا واية دولة من دول حلف وارسو

ولو حاول الاتحاد السوفياتي اعادة سيطرته على البانيا لتصدع الوفاق السوفياتي اليوغوسلافي ـ كما أن عدواناً من هذا القبيل كان سيزيد في تعقيد علاقات السوفيات مع بقية اقطار العالم ولا سيما مع الصين . كذلك ، فطالما ارادت يوغوسلافيا ابقاء علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي على قدر من التحديد فان البانيا ستظل في مأمن ، ذلك لان استقلال يوغوسلافيا يتوقف على علاقاتها الطيبة مع الغرب ، تلك العلاقة التي ستدمر اذا ما حاولت بلغراد ابتلاع تيرانا .

ولم يكن بالامكان أن يحقق اي بلد تابع للسوفييت في اوروبا الشرقية استقلاله الكامل لان بولندا والمانيا الديمقراطية وبلغاريا تحتاج جميعها للحماية السوفياتية وذلك لتعرض حدود هذه الاقطار للخصومة مع اقطار اخرى . فقد ظل الغرب ولا سيما المانيا الاتحادية (الغربية) يضع حدود بولندا والمانيا الشرقية المصطنعة موضع تساؤ ل وذلك حتى اوائل السبعينات . كما أن هناك خلافاً بين بلغاريا ويوغوسلافيا حول مقدونيا . يضاف الى ذلك أن بلغاريا كانت البلد الوحيد في اوروبا الشرقية الذي استفاد مالياً من روابطه مع الاتحاد السوفياتي . وادخلت كل من المجر وبولندا اصلاحات جعلت حكومتها أقل تعسفاً من الاتحاد السوفياتي . لكنها تعلمتا أيضاً أن الاتحاد السوفياتي لن يسمح بالخروج عن جادة الولاء له . وكان البلدان الوحيدان اللذان حاولا الاستفادة من الظروف المتغيرة في الستينات لممارسة هويتهما القومية كما يفهمانها هما رومانيا وتشيكوسلوفاكيا .

وليست رومانيا في الخط الاول من النظام الدفاعي السوفياتي في اوروبا الشرقية لذلك فقد استطاعت استخدام هذه المصادفة الجغرافية السعيدة لمصلحتها . وفي سنة ١٩٥٨ ضمنت بوخارست خروج القوات السوفياتية من اراضيها ، الامر الذي اعطى في حد ذاته مجالاً للمناورة للزعماء الرومانيين . واعطى الانشقاق الصيني السوفياتي فرصة لرومانيا لتوكيد اولوياتها الاقتصادية في الكوميكون (مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة) . وبانقسام العالم الشيوعي الى معسكرين متعارضين حاول الاتحاد السوفياتي ضمان الولاء

العقائدي لاقطار اوروبا الشرقية وحددت الكوميكون الادوار التي على اقطار اوروبا الشرقية أن تؤديها في النظام الاقتصادي السوفياتي في الستينات وخصص لرومانيا دور امداد حلفائها ولا سيما الاتحاد السوفياتي بالمواد الخام كالنفط والملح والكيماويات والاخشاب والحبوب . وكانت هذه الخطة ستؤدي الى ايجاد اقتصاد غير متوازن في رومانيا والى أن تصبح معتمدة كلياً على الاتحاد السوفياتي في رفاهها الاقتصادي . عارض زعيم الحزب الشيوعي الروماني غيوغيوديج بنجاح خطة الكوميكون . ولذلك فقد تمكنت رومانيا من اقامة اقتصاد متوازن وعلى درجة كبيرة من الاكتفاء الذاتي وقائم على التجارة مع اوروبا الغربية والشرقية . وفي تشرين الاول سنة ١٩٦٣ افتتح مركز لبعثة تجارية المانية غربية في بوخارست واخذت رومانيا تستورد الالات من الغرب وفي نفس العام بدأت رومانيا في مشروع لتوليد الطاقة الكهربائية على الدانوب بالاشتراك مع يوغوسلافيا وهي ليست من أقطار الكوميكون .

وفي سنة ١٩٦٣ اخذت رومانيا تعلن عن تمسكها بمبدأ عدم التدخل في شؤون الدول الاخرى واعلنت في نيسان سنة ١٩٦٤ ان جميع الاحزاب الشيوعية متساوية . ولا بد أن هذه المواقف للحزب الشيوعي الروماني لم تكن موضع رضا الاتحاد السوفياتي لانها انكرت سيادته ضمناً ، لكنها كانت مواقف اعترف بها الاتحاد السوفياتي ولا يمكنه تجاهلها الا اذا غامر باغضاب جزء كبير من الرأي العام العالمي ولا سيما في العالم الثالث . وفي تشرين الثاني سنة ١٩٦٤ أعلنت رومانيا عن تخفيض مدة الخدمة العسكرية الاجبارية من سنتين الى ستة عشر شهراً . واوضح هذا القرار والموقف الرسمي الروماني الذي كان على طرفي نقيض مع الولاء السياسي والعسكري الذي تطلبته موسكو من حلفائها . ورفضت رومانيا الاشتراك في التمارين العسكرية الكبرى لحلف وارسو كما لم تسمح باقامة هذه التمارين على اراضيها . ويبدو أن الاتحاد السوفياتي مارس قدراً كبيراً من الضغط على رومانيا في اواسط الستينات بحيث انه ألمح احياناً الى احتمال اتخاذ اجراء عسكري ضد رومانيا . وفي ايار سنة ١٩٦٥ اشترك وزراء الدفاع

والقادة العسكريون لحلف وارسو في اجتماع غير عادي ، اذ دام تسعة أيام وعقد في اوكرانيا الغربية قرب الحدود الرومانية واستفادت الزعامة الرومانية ـ كان ولا يزال شاوشيسكو هو السكرتير الاول للحزب الشيوعي الروماني منذ سنة ١٩٦٥ ـ من الدعم اليوغوسلافي المتواصل للاستقلال الروماني لان أي غزو سوفياتي لرومانيا سيؤدي الى الحاق ضرر بالغ بعلاقات موسكو مع بلغراد .

وفي ايار سنة ١٩٦٦ وبعد اجتماع مع تيتو القى شاوشيسكو خطاباً دعا فيه الى تفكيك عرى التحالفات العسكرية وازالة القواعد العسكرية وسحب القوات الاجنبية من الاقطار الاخرى وادى هذا القول الى زيارة قام بها لبوخارست ليونيد برجنيف زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي ، بيد أن الضغط السوفياتي اخفق في احداث تغيير في السياسة الرومانية وفي حزيران سنة ١٩٦٦ عندما كان النزاع السوفياتي الصيني يقترب من ذروته ، قام شو ان لاي رئيس وزراء الصين بزيارة رومانيا واستقبل بحرارة ، مما احرج الروس . وفي ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٦٧ اقامت رومانيا علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية . ورد الاتحاد السوفياتي على ذلك بان دعا الى عقد مؤتمر للاحزاب الشيوعية الاوروبية في تشيكوسلوفاكيا في نيسان سنة ١٩٦٧ حيث تقرر أن لا تقيم اية دولة شيوعية علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية دون الحصول على موافقة مسبقة من جمهورية المانيا الديمقراطية . ولم يكن بوسع الاتحاد السوفياتي ابطال الاجراءات الرومانية لكنه عمل على أن لا يحذو احد حذو رومانيا ، لان ذلك قد يؤدي الى عزل جمهورية المانيا الديمقراطية وتدمير الوفاق القائم على الوضع الراهن الذي كان الاتحاد السوفياتي يسعى لتثبيته . ولم تشترك رومانيا في غزو تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ بل انها انضمت الى يوغوسلافيا والصين والبانيا في التنديد بهذا الغزو . ومنذ سنة ١٩٦٨ ابقت رومانيا على علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل واستقبلت الرئيسين نيكسون وفورد في زيارات رسمية واستمرت في توسيع نطاق تجارتها مع الغرب وظلت على علاقات طيبة مع الصين .

لقد كانت رومانيا قادرة على اقامة نوع من الاستقلال عن الاتحاد

السوفياتي نظراً لموقعها الجغرافي وبسبب الانشقاق الصيني السوفياتي ، ولكن أهم من هذا كله لانها من أكثر اقطار اوروبا الشرقية تمسكاً بالقواعد المرعية في الشؤ ون الداخلية كما أنها لم تهدد قط بالخروج من حلف وارسو . ولم يكن ثمة خطر يهدد النظام الدفاعي السوفياتي من الليبرالية او النزعة التحررية الداخلية في رومانيا أو من انطلاق هذه النزعة خارج الحدود الرومانية واصابة جيرانها بعدوى حرية الكلام ذلك المرض الخطير كما حصل في تشيكوسلوفاكيا .

وفي ٥ كانون الثاني سنة ١٩٦٨ اضطر انطونين نوفوتني ، وهو ستاليني من المدرسة القديمة ، الى الاستقالة من منصب السكرتير الاول للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي . وكان النمو الاقتصادي في يوغوسلافيا ضئيلاً والواقع انه كان هناك انحطاط في مستوى المعيشة . وكان باستطاعة الناس أن يتذكروا احوالاً افضل في الماضي ولذلك كانوا يرغبون في التغيير رغبة شديدة ، كما أن هذا الشعور كان يتردد صداه في كثير من صفوف الحزب . فاخرج نوفوتني من منصبه بتصويت من اللجنة المركزية التشيكوسلوفاكية للحزب وحل مكانه الكسندر دوبشك(DUBCEK) ورحبت موسكو باخراج نوفوتني وفي نهاية كانون الثاني قام دوبشك بزيارة الاتحاد السوفياتي حيث استقبل بحفاوة .

وبدأ « ربيع براغ » فاعلن عن قدر اوفى من حرية الكلام والصحافة ، ولكن دول حلف وارسو الاخرى اخذت تنظر بقلق لتشيكوسلوفاكيا لان المجتمع التشيكوسلوفاكي اخذ ينتابه حماس للنقاش الناقد ، وهو امر كان محظوراً في عهد نوفوتني . وفي ٢٣ آذار التقى الزعماء التشيكوسلوفاكيون بنظرائهم من حلفائهم وذلك في مدينة درسدن وذلك ليشرحوا لهؤلاء الحلفاء اجراءاتهم التحررية ، الا أن رومانيا لم تدع للاجتماع . وفي ذات الشهر حل الجنرال سفوبودا محل نوفوتني في رئاسة جمهورية تشيكوسلوفاكيا . وكان سفوبودا متعاطفاً مع افكار دوبشك ـ وفي شهر نيسان انتخب رئيس وزراء جديد وهو الدريش سيرنك . وكان هو ورئيس المجلس الوطني جوزف سمركوفسكي يؤ يدان دوبشك ولذلك عندما أعلن برنامج عمل الحزب

الشيوعي التشيكي ، كان يحْظى بتأييد الزعامة التشيكية . وكان عنوان البرنامج الجديد « الطريق التشيكوسلوفاكية الى الاشتراكية » . وقد ندد بالاخطاء والجرائم والكبت في عهد نوفوتني وهاجم الادارة المركزية للاقتصاد لانها ادت الى الركود . كما أن الحزب نفسه كان موضع انتقاد « بسبب تركيز السلطة واحتكارها في ايدي اجهزة الحزب » . واعلن البرنامج أن الحزب ليس « وصياً عاماً على المجتمع » . كما ضمن حقوق السفر الى الخارج وحرية الكلام وحرية الصحافة ووعد باصلاحات قضائية وبالعزم على تحديد سلطة الشرطة السرية . وأهم ما جاء في البرنامج كان تعليقاته على دور الحزب . « ان العمل حسب ما يمليه الضمير ليس فقط حقاً من حقوق اعضاء الحزب كافة وهيئاته بأسرها ، بل هو أيضاً من الواجبات . وليس مسموحاً تقييد الشيوعيين في هذه الحقوق وخلق جو من عدم الثقة والارتياب في اولئك الذين يعبرون عن آراء مخالفة ، ويضطهدون الاقلية بمختلف الذرائع كما حدث في الماضي »[٢] .

وبانكار المنزلة الاولى على الحزب الشيوعي ، عرض الزعماء التشيكيون انفسهم لنقد متزايد من الاتحاد السوفياتي . وفي اوائل ايار ذهب دوبشك ووزير خارجيته هاجيك الى موسكو ولكن لم ينجحا في تهدئة مخاوف مضيفيهما السوفيات رغم أن الزعماء السوفييت اوضحوا انهم لن يتدخلوا في الشؤون الداخلية لتشيكوسلوفاكيا . واصبح من اولويات الزعامة التشيكية أن تشرح اصلاحاتها لمنتقديها في شرق اوروبا وان تطمئنهم أن تشيكوسلوفاكيا ستظل عضواً وفياً للمجموعة الاشتراكية ولحلف وارسو . وفي ١٥ أيار أعلن سركوفسكي قائلاً : « يجب أن نتفهم مخاوف الاتحاد السوفياتي الذي لا يأخذ في حسبانه أمن تشيكوسلوفاكيا فحسب ، بل أمن المعسكر الاشتراكي كافة »[٣] .

واخذت موسكو في شن حملة دعاية معادية متزايدة ضد برنامج العمل في ٨ أيار عقد في موسكو اجتماع لدول حلف وارسو « المخلصة » مع استبعاد رومانيا وتشيكوسلوفاكيا والبانيا . وفي ١٥ أيار اغلقت الحدود البولندية ـ التشيكية وجرت مناورات عسكرية سوفياتية بولندية مشتركة في بولندا قرب

الحدود التشيكية وبحضور المارشال الروسي غريتشكو القائد العام لقوات حلف وارسو . وعند انتهاء المناورات ذهب غريتشكو الى براغ لاجراء محادثات مع وزير الدفاع التشيكي . وانضم اليه كوسيجين رئيس الوزراء السوفياتي الذي عقد محادثات مع الزعماء التشيكيين بين ١٧ و ٢٥ أيار ، وقد توجه كوسيجين الى براغ للتباحث حول تعزيز حلف وارسو ، الامر الذي كان مجرد محاولة لايجاد سيطرة سوفياتية أقوى على الجيش التشيكي . وفي ١٥ حزيران اعلنت الحكومة التشيكية عن تأسيس الجبهة الوطنية التشيكوسلوفاكية وهي ائتلاف من الحزب الشيوعي والاحزاب الاشتراكية الاخرى . وكان الهدف من الجبهة ايجاد ائتلاف أو تحالف بين المصالح الشيوعية وغير الشيوعية . ولكن بالنظر لتخفيضها منزلة الحزب الشيوعي التشيكي ، كان لا بد لها من أن تثير عداء الاتحاد السوفياتي ، مما دفع التشيكيين الى الاعلان بوضوح عن « دور » الصدارة للحزب الشيوعي في الجبهة الوطنية والتوكيد على اهمية التحالف السوفياتي . وفي ٢٧ حزيران اعلن الرئيس سفوبودا أن « الصداقة الوطيدة الثابتة والتحالف مع الاتحاد السوفياتي هو الضمانة لامننا واستقلالنا . وان اهمية هذا التحالف ومعه جميع التزامات تشيكوسلوفاكيا كعضو في حلف وارسو ، أهمية لا لبس فيها ولا غموض »(٤) .

وفي اواسط تموز تجمع منتقدو تشيكوسلوفاكيا من اوروبا الشرقية في وارسو وقد شعروا بكثير من القلق تجاه الاحداث في براغ - والتي هددت بأن تجد من يقتدون بها في بولندا وجمهورية المانيا الديمقراطية - فوجهوا رسالة الى التشيكيين ذات طابع تهديدي صريح جاء فيها :

« ان تطور الاحداث في بلادكم يثير فينا قلقاً عميقاً . . . ولا نستطيع الموافقة على وجود قوى معادية تدفع ببلادكم بعيداً عن طريق الاشتراكية لان هذا يعرض للخطر مصالح النظام الشيوعي بأكمله . لقد وضعت القوى المعادية للاشتراكية والقوى التحريفية يدها على الصحافة والاذاعة والتلفزيون . وهكذا نشأ وضع غير مقبول بالمرة لبلد اشتراكي . . . ونعتقد أن

دحر القوى المعادية للشيوعية دحراً حاسماً في تشيكوسلوفاكيا واجب لا يقتصر عليكم وحدكم ، بل هو واجبنا نحن ايضاً »[٥] .

واجتمعت الزعامة التشيكية مع المكتب السياسي السوفياتي والموقعين على « رسالة وارسو » وتعهد الجميع بالولاء لحلف وارسو . وفي اوائل آب بدا وكأن دوبشك قد لقي موافقة سوفياتية على « برنامج العمل » . غير أن جميع السياسات التشيكية الجديدة والاعتراضات السوفياتية عليها بقيت دون تغيير ، وسارت الاعدادات العسكرية السوفياتية قدماً وفسر التشيكيون المناورات العسكرية حول حدود بلادهم كجزء من حرب الاعصاب الموجهة ضدهم . ولكن بعد ٢٠ آب عندما تحركت قوات حلف وارسو بقيادة الروس بسهولة ويسر داخل الحدود التشيكية ، اتضح وجود اعدادات دقيقة للغزو .

ولم يقابل الغزو بمقاومة مسلحة ولكن بموجة كبيرة من العداء السلبي من الشعب التشيكوسلوفاكي . وكان وقوف الرأي العام والحكومة وراء دوبشك بحيث اضطر الروس الى اطلاق سراحه وسراح سيرنك وسمركوفسكي . وظلت القوات السوفياتية في تشيكوسلوفاكيا والغيت الاصلاحات وطرد دوبشك من منصبه في آذار سنة ١٩٦٩ في نهاية الامر . ونددت بالغزو كل من الصين ورومانيا ويوغوسلافيا والغرب ، ولكن الغرب لم يفعل شيئاً . لقد هددت تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ بقلب التوازن بين الشرق والغرب . ولذلك بينما تعاطف الغرب مع رغبات التشيكيين في مزيد من الحرية ، تفهم المخططون العسكريون الغربيون الدوافع الاستراتيجية السوفياتية التي ادت الى سحق الحريات التشيكية . لقد اوقف العمل السوفياتي العسكري في تشيكوسلوفاكيا عملية الوفاق لوقت قصير ولكن بحلول سنة ١٩٦٩ استأنف الطرفان مسيرتهما من حيث توقفا عنها في صيف سنة ١٩٦٨ . لقد كانت تشيكوسلوفاكيا جزءاً من الثمن الذي كان على العالم دفعه للوفاق .

وبرر الاتحاد السوفياتي غزو تشيكوسلوفاكيا باعلان ما دعاه الغرب

« مبدأ برجنيف » أو « مبدأ السيادة المحدودة » الذي شرحه السكرتير الاول السوفياتي بالتفصيل في تشرين الثاني سنة ١٩٦٨ عندما أعلن :

« عندما تحاول القوى الداخلية والخارجية المعادية للاشتراكية أن توجه تطور اي بلد اشتراكي في اتجاه النظام الرأسمالي ، وعندما ينشأ تهديد لقضية الاشتراكية في ذلك البلد ، وهو تهديد لجماعة الامم الاشتراكية بأسرها ، فان ذلك لن يصبح مشكلة لشعب ذلك البلد وحده ، ولكنها تصبح مشكلة عامة تخص كافة الاقطار الاشتراكية »[٦] .

ومنذ سنة ١٩٦٨ كان ثمة تغيير لا يستهان به في الامور الداخلية للاقطار الاوروبية الشرقية . فقد زادت كلها من دور القطاع الخاص وان كان ذلك على نطاق ضيق . وفي بولندا ادت الاضطرابات سنة ١٩٧٠ الى وضع جيريك مكان غومولكا وكان على جيريك الغاء بعض السياسات الاقتصادية لاسلافه . وقد ارغم على ذلك بسبب الاضراب في لودز والذي حدث في ربيع سنة ١٩٧١ نتيجة لرفع الاسعار بنسب عالية في السلع الاساسية . كما حسن جيريك العلاقات مع الكنيسة الكاثوليكية واعترف بالقوة السياسية للتنظيمات العمالية . وقد سمح الاتحاد السوفياتي بجميع هذه الاجراءات لانها رغم انحرافها عن الممارسة السوفياتية ، فانها لم تهدد سيطرة الشيوعية في بولندا . وقال احد الكتاب البريطانيين معلقاً على احداث سنة ١٩٦٨ :

« ان ما حاول دوبشك فعله هو الانسجام مع منطق التحررية أو « الليبرالية » ولكن اتضح ان لا سبيل الى تحررية الشيوعية . فالحزب الحاكم يحتكر السلطة أو لا يحتكرها هذا هو معنى النظرية الشمولية . واذا ما سمح بحرية القول والصحافة ، فلا معنى لهذه الحرية الا اذا كانت تشمل حرية المخالفة ، وحرية المخالفة تعني ضمناً الحق في القول أن على الحزب الحاكم أن يذهب ويفسح الطريق لغيره »[٧] .

واظهرت تشيكوسلوفاكيا بوضوح أن تحررية شرق اوروبا التي ارادها

الغرب أمر غير مسموح به الا في الاقطار التي لا تهدد السيطـرة الشيوعية في اوروبا الشرقية أو الميدان السوفياتي . ويبدو أن الاتحاد السوفياتـي يظـل من الذين يؤمنون بمنطق ايزنهاور المعروف « بنظرية احجار الدومينو » .

الفصل السادس عشر

الوفاق في أوروبا

كانت فترة أواخر الستينات وأوائل السبعينات من الفترات التي أخذت فيها خطوط المعارك الثابتة بين حلف الأطلسي وحلف وارسو في الاضمحلال . لقد طبعت السياسة الشرقية لحكومة المانيا الغربية العلاقات مع أقطار أوروبا الشرقية بالاعتراف باستمرار التقسيم الاقليمي لاوروبا بعد الحرب العالمية الثانية . ووقعت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اتفاقية الدول الأربع الكبرى حول برلين وبذلك قبلت مسؤ وليات بعضها البعض في تلك المدينة . وحدثت زيادة كبيرة في التجارة والتبادل الثقافي بين الاتحاد السوفياتي وحلفائه وبين الغرب ، وتوّجت المحادثات حول مؤتمر الأمن الاوروبي في مؤتمر هلسنكي في آب سنة ١٩٧٥ .

ورافقت النواحي السياسية والاقتصادية للوفاق مفاوضات حول أمور عسكرية . مثل محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية ومفاوضات التخفيضات المتبادلة والمتوازنة للقوات في أوروبا ، وكانت جميع هذه المفاوضات جزءاً من ذات الشيء إلى حد بعيد وهو الوفاق بين الشرق والغرب . غير أن مسألتي ألمانيا وبرلين كانتا من الأمور الاساسية لجميع المحادثات في أوروبا وبدون التقدم في أحدها لن تجري اتفاقيات على الأخريات .

وحتى أواخر الستينات كان مبدأ هالشتين يسيطر على سياسة ألمانيا الغربية تجاه أوروبا الشرقية ، وحسب هذا المبدأ لم تكن بون لتقيم علاقات دبلوماسية مع أية دولة تعترف بألمانيا الشرقية باستثناء الاتحاد السوفياتي وكان أول من أعلن هذا المبدأ ، الذي سمّي باسم وزير خارجية ألمانيا الغربية آنئذٍ ، هو المستشار أديناور سنة ١٩٥٥ . وقد نفّذ مرتين : مرة في سنة ١٩٥٧ عندما قطعت

الجمهورية الاتحادية علاقاتها الدبلوماسية مع يوغوسلافيا ، ومرّة أخرى سنة ١٩٦٣ عندما قطعت العلاقات بين ألمانيا الغربية وكوبا . وفي ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٦٧ اتضح أن مبدأ هالشتين لم يعد فعّالاً عندما أقامت بون علاقات دبلوماسية مع بوخارست وتمّ التخلي عنه نهائياً في كانون الثاني سنة ١٩٦٨ عندما أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الغربية ويوغوسلافيا . وكان التخلي عن مبدأ هالشتين نقطة تحوّل واضحة في سياسة ألمانيا الغربية الخارجية ، فمع أن فكرة إعادة توحيد ألمانيا كانت لا تزال تستهوي الناس في ألمانيا الغربية عاطفياً وانتخابياً ، إلا أنه أصبح واضحاً إزاء مواقف دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي أن احتمالات المستقبل لإعادة توحيد ألمانيا كانت ضئيلة للغاية في أواخر الستينات . كذلك فإنه بالرغم من استمرار حلفاء ألمانيا الغربية في دعم رغبة بون في إعادة الوحدة ، إلا أن موقفهم الذي لم يكن حماسياً في أي وقت ، أخذ يعاني من التغير . وفي ٧ تشرين الأول سنة ١٩٦٦ ألقى الرئيس الامريكي جونسون خطاباً جاء فيه أن إعادة توحيد ألمانيا وأوروبا يجب أن تكون نتيجة للوفاق بين الشرق والغرب وليس شرطاً مسبقاً لذلك الوفاق . وأوضح هذا بجلاء للحكومة الألمانية الغربية أن الولايات المتحدة كان لها مصالحها الخاصة في الوفاق وانها لا تنوي السماح لمشكلات ألمانيا الغربية بالتدخل في المفاوضات السوفياتية الامريكية الثنائية . وقد أثار خطاب جونسون في بون المخاوف الموجودة دائماً وان كانت نائمة في العادة ـ من أن الولايات المتحدة قد تقع تحت إغراء عقد صفقة مع الاتحاد السوفياتي من وراء ظهر ألمانيا الغربية وربما على حسابها . وكان لهذا الخوف ما يبرره إلى حد ما لأن أي تخفيف متبادل لحدّة التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد يتضمن مزيداً من الاعتراف ـ وان كان ضمنياً ـ بالوضع الراهن .

ومماثلة فإن فرنسا الشريكة الكبرى لألمانيا في الجماعة الإقتصادية الاوروبية كانت منهمكة في البحث عن تفاهم أوثق مع الاتحاد السوفياتي . إذن كان هناك إمكانية سنة ١٩٦٧ لأن تجد ألمانيا الغربية نفسها معزولة دبلوماسياً

نتيجة وفاق يحدث بين حليفيها الكبيرين إذا لم تحاول تحسين علاقاتها مع أوروبا الشرقية . وفي هذه العزلة المحتملة ستصبح إمكانيات تحسين العلاقات بين شطري ألمانيا أبعد مما كانت عليه في أي وقت مضى . وكان العامل الحاسم في السياسة الشرقية لألمانيا الغربية هو تغير الحكومة الألمانية الغربية في كانون سنة ١٩٦٦ . ففي ذلك الشهر تشكل الائتلاف الكبير بين الاتحاد الديمقراطي المسيحي أكبر أحزاب الحكومة منذ سنة ١٩٤٩ والاتحاد المسيحي الاشتراكي . وسمّي هذا الائتلاف بإسم الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني الغربي . وأصبح زعيم الحزب الديمقراطي الاشتراكي ويلي براندت وزيراً للخارجية في حكومة جديدة . وكان السبب الرئيسي في انضمام الحزب الديمقراطي الاشتراكي لهذا الائتلاف تصميم براندت على تطوير « سياسة شرقية » . ومع أن براندت لم يكن راغباً في الاعتراف بذلك آنئذٍ ، إلا أنه أدرك أن إعادة توحيد ألمانيا كانت الأرجح مستحيلة ضمن الظروف السائدة . وكانت سياسة براندت الخارجية قائمة على هذا الادراك .

وفي إجتماع مجلس حلف الأطلسي في ١٤ كانون الأول سنة ١٩٦٦ لخّص براندت « سياسته الشرقية » فقال انه ينوي العمل على تحسين تدريجي في العلاقات بين الشرق والغرب ابتداء ببولندا وتشيكوسلوفاكيا ومقابل تطبيع العلاقات كان براندت مستعداً لعرض بون قبولها لحدود نهر الاودر ـ النيسي بين ألمانيا الشرقية وبولندا واعتراف بون أن اتفاقية هتلر المعروفة باتفاقية ميونخ سنة ١٩٣٨ غير قائمة ولا مقبولة . غير أن براندت لم يكن ليقوم بتنازلات من جانب واحد لدول اوروبا الشرقية ، بل لا بد من أن تكون هذه التنازلات جزءاً من وفاق أوروبي أوسع بين الشرق والغرب ، الأمر الذي قد يوجد مناخاً يحتمل فيه حدوث تقارب بين ألمانيا الشرقية والغربية .

وإضافة إلى اعتراف رسمي بالحدود بين بولندا وتشيكوسلوفاكيا ، قال براندت أيضاً أن ألمانيا الاتحادية ستؤيد خطوات نحو تقليص حجم القوات المسلحة في أوروبا . وأهم من ذلك أنها ستؤيد أية خطوات تهدف إلى تقييد

انتشار الأسلحة النووية . وكانت بون تعرف أن أي وفاق مع أوروبا الشرقية لا بد وأن يحظى بموافقة موسكو لذلك فإن هذا العرض كان يستهدف تخفيف مشاعر القلق الروسي المستمرة من أن ألمانيا الغربية قد تحصل يوماً ما على قدرة نووية ربما تهدد باستخدامها لتحقيق إعادة النظر في حدود أواسط أوروبا .

وبدأت سياسة براندت « الشرقية » بداية طيبة ، لأنه تم إنشاء علاقات دبلوماسية بين ألمانيا الغربية ورومانيا في آخر كانون الثاني سنة ١٩٦٧ ولكن « الهجوم السلمي » لبون أقلق بعض حلفاء رومانيا . فاجتمع وزراء خارجية حلف وارسو في وارسو بعد أسابيع من اتفاق بون ـ بوخارست للاتفاق على موقف موحد إزاء الخطوات الألمانية الغربية الجديدة . وكانت ألمانيا الديمقراطية أكثر الأقطار اهتماماً بالآثار الممكنة لدبلوماسية بون ، إذ شعرت ألمانيا الديمقراطية باحتمال عزلتها . وهذا كان في الواقع إحدى نوايا براندت . كما أن الاتحاد السوفياتي كان قلقاً من إمكانية استطاعة ألمانيا الاتحادية دق اسفين داخل معسكره . لذلك فقد شاطرت موسكو ألمانيا الديمقراطية بعض مخاوفها . وفيما بين ٢٤ ـ ٢٦ نيسان عقد مؤتمر موسع للأحزاب الشيوعية الاوروبية في كارلو في فاري بتشيكوسلوفاكيا لبحث « مشكلات الأمن الاوروبي » .

واتفق مؤتمر كارلو في فاري على أن لا تقيم أية دولة من أوروبا الشرقية علاقات دبلوماسية مع الجمهورية الألمانية الاتحادية دون الحصول على موافقة مسبقة من ألمانيا الشرقية ، وطالبت بإقامة مؤتمر للأمن الاوروبي كما اتفق المشاركون في المؤتمر على ضرورة بذل مساعيهم جميعاً للحصول على اعتراف من الغرب بألمانيا الديمقراطية . وبعد المؤتمر ، وبدعم نشط من الاتحاد السوفياتي وقعت ألمانيا الشرقية على معاهدات « معونة متبادلة وصداقة » مع بولندا وتشيكوسلوفاكيا . وبذلك زادت من تماسك تلك الدول التي توقف عليها أمن المانيا الشرقية والاتحاد السوفياتي .

واستمر الاتحاد السوفياتي في إبداء إهتمامه الكبير بالوفاق خلال سنة ١٩٦٧ . وإضافة إلى المفاوضات مع الولايات المتحدة حول القضايا النووية

(أنظر الفصل / ١٨) فقد أبرم اتفاقاً تجارياً كبيراً مع إيطاليا . ووقّع عقد بين الاتحاد السوفياتي وشركة ايني الايطالية لبناء خط أنابيب بين أوكرانيا وتريستا لنقل الغاز الطبيعي السوفياتي لايطاليا لمدة ٢٥ عاماً مقابل تكاليف مقدارها ٤١٣ مليون دولار . كذلك فقد أوصى الاتحاد السوفياتي على صناعة سفن في عدد من أحواض السفن الاوروبية الغربية . غير أنه باستثناء ما ورد ذكره الآن ، فإن التقدم في « السياسة الشرقية » كان بطيئاً بقية عام ١٩٦٧ وأوائل سنة ١٩٦٨ ، لكنه لقي مزيداً من الدفع في اجتماع وزراء خارجية حلف الاطلسي في كانون الأول سنة ١٩٦٧ عندما اتبع حلف الاطلسي مبدأ « الرد المرن والخيارات التقليدية » .

وكان الرد المرن استراتيجية عسكرية الهدف منها رفع القدرة الدفاعية لحلف الاطلسي إلى الحد الأقصى في حالة هجوم سوفياتي محتمل على أوروبا الغربية . وتصورت هذه الاستراتيجية الجديدة إمكانية الرد على أي هجوم بمستوى ملائم من رد الفعل بالأسلحة التقليدية أو الأسلحة النووية التكتيكية ، أو حتى الأسلحة النووية الاستراتيجية ، لكن هذا أثار مشكلات خاصة لحكومة ألمانيا الغربية ، فإذا ظهر أن الدفاع التقليدي كان على وشك الاخفاق قبل استخدام الأسلحة النووية ، فإن ألمانيا الغربية قد تفقد جزءاً كبيراً من أراضيها خلال المراحل الاولى من هجوم سوفياتي محدود . وإذا أريد تفادي هذه الخسائر الاقليمية ، فإن على الغرب أن يستخدم السلاح النووي منذ البداية . وفي كلا الحالين إذا ما نشبت الحرب ، فإن ألمانيا الغربية قد تتعرض لاحتلال سوفياتي ودمار نووي أو للامرين معاً . لذلك فإن تبني استراتيجية الرد المرن كان يدفع الجمهورية الالمانية الاتحادية لتفعل ما في وسعها للحد من احتمال نشوب أية حرب تكون هي أول ضحاياها إذا ما بذلت مزيداً من المساعي لممارسة « السياسة الشرقية » .

وفي شباط سنة ١٩٦٨ افتتحت ألمانيا الغربية مركزاً لبعثة تجارية في تشيكوسلوفاكيا . وفي ذات الشهر بعثت بمذكرة إلى الاتحاد السوفياتي عبّرت

فيها بون عن رغبة في تحسين العلاقات بين « شطري ألمانيا » . وأدى غزو تشيكوسلوفاكيا في آب سنة ١٩٦٨ إلى إيقاف مؤقت « للسياسة الشرقية » ، لأن حكومة ألمانيا الغربية ندّدت بالاجراءات السوفياتية وظلّت العلاقات متوترة بين الشرق والغرب طيلة بقية العام . وفي أيلول سنة ١٩٦٨ م ، رفعت بون الحظر عن الحزب الشيوعي الألماني الذي كان ممنوعاً قانونياً منذ سنة ١٩٥٥ . وفي أثناء سنة ١٩٦٨ سمحت حكومة ألمانيا الشرقية لمزيد من المواطنين الألمان الشرقيين بزيارة ألمانيا الغربية ـ وكان عددهم يقارب ١,٥ مليوناً وكلهم تقريباً من المتقاعدين كبار السن ـ كما سمحت للألمان الغربيين بزيارة ألمانيا الديمقراطية بأعداد أكبر من السنوات الماضية . وفي كانون الثاني سنة ١٩٦٩ استأنفت موسكو وبون مفاوضاتهما الثنائية . وفي أيار اقترحت بولندا معاهدة مع ألمانيا الغربية تعترف بها البلدان بخط نهري الاودر ـ النيسي . وأجاب كيسنجر مستشار ألمانيا الغربية بأن عرض مفاوضات صريحة مفتوحة حول قضية الحدود . وظلت الأمور على ما هي عليه إلى حد بعيد حتى شهر تشرين الأول عندما خرج الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني بعد الانتخابات العامة الألمانية الغربية ، وهو الشريك الأكبر في ائتلاف الحزب (الليبرالي) وأصبح ويلي براندت مستشاراً .

وبدأ المستشار براندت حملة جديدة في السياسة الخارجية في خريف سنة ١٩٦٩ . فقد عرض توقيع معاهدات مع بولندا والاتحاد السوفياتي يُوَجَّهُ فيها اهتمام بالمصالح الاساسية لهذين البلدين ، وان يرفض الطرفان استخدام القوة كوسيلة لحل الخلافات وان يحترم كل منهما السلامة الاقليمية للآخر . وكان هذا عرضاً للاعتراف بخط الاودر ـ النيسي ـ، وان يقدما تأكيدات بعدم محاولة إحداث تغيير في البناء الاجتماعي أو علاقات التحالف لبعضهما . كما عرض على تشيكوسلوفاكيا اتفاقية تجارية وتعويضات لضحايا النازية . وقبلت هذه العروض وبدأت المفاوضات لكن براندت كان حريصاً على ضمان الدعم من حلفائه . وحاول الضغط على دول الاحتلال الغربية للتفاوض على اتفاقية

رباعية مع الاتحاد السوفياتي في برلين . واقترح المستشار الألماني الغربي في اجتماع قمة المجموعة الاقتصادية الاوروبية في كانون الأول سنة ١٩٦٩ أن يسمح لبريطانيا بالانضمام إلى السوق المشتركة . ولعل أهم عمل قامت به حكومة ألمانيا الغربية كان التوقيع في ٢٨ تشرين الثاني على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية . وإذا كانت الكتلة الشرقية بحاجة إلى مزيد من البراهين ، فقد جاء هذا برهاناً على جدّية بون في دبلوماسيتها وفي أن نواياها كانت سلمية . وبعد أن وقّعت بون معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وقدّمت بذلك برهاناً صادقاً على حسن نواياها ، لم تكن في عجلة من أمرها لاقرار المعاهدة . فقد أرادت حكومة ألمانيا الغربية الآن شيئاً في المقابل بحيث تستطيع بون أن تثبت للناخبين الألمان الغربيين أن التنازلات لم تكن كلها من طرف واحد . والواقع أن المجلس النيابي الألماني الغربي لم يصادق على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية حتى ٢٠ شباط سنة ١٩٧٤ .

وفي أوائل كانون الأول سنة ١٩٦٩ عقد مؤتمر قمة لحلف وارسو في موسكو لتقرير موقف مشترك نحو سياسة بون الشرقية . ويبدو أن هدف البرخت في هذا الاجتماع كان محاولة اقناع حلفائه أن على ألمانيا الغربية أن تعترف دبلوماسياً بألمانيا الديمقراطية قبل أن يكون هناك أي وفاق حقيقي . ولم يذهب براندت إلى حد تبادل السفراء مع ألمانيا الشرقية . وكان أقرب ما يمكن أن يصل اليه هو اقتراح صيغة تقول أن ألمانيا تتكون من « دولتين ضمن أمة واحدة » ولم يقنع البرخت بهذا ، وإن كان ذلك لم يغضب الدول الأخرى في أوروبا الشرقية . وفي مؤتمر صحفي في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٧٠ كرّر الهر البرخت طلباته لاعتراف كامل . ووصف المانيا الشرقية بأنها « الدولة الالمانية الاشتراكية الوطنية » بينما وصف المانيا الغربية بأنها « دولة رأسمالية من دول حلف الاطلسي ذات سيادة محدودة »[1] . ورغم استمرار هذا التنديد بالمانيا الغربية ، الا أن البرخت ابدى تنازلاً بأن اكد أن المانيا الديمقراطية كانت مستعدة لبدء المفاوضات مع بون . وقد وضع الالمان الشرقيون الحواجز على الطرق المؤدية

الى المانيا الغربية طيلة المدة الباقية من شهر كانون الثاني ، ولعلهم كانوا يقصدون بذلك ان يظهروا انهم لا يرغبون في التفاوض لانهم ضعفاء . غير أن رئيس وزراء المانيا الشرقية ولي شتوف وجه في ١١ شباط الدعوة الى ويلي براندت للاجتماع به . وقبل ذلك بيوم واحد فقط كان الاتحاد السوفياتي قد قبل عرض الغرب بالشروع في محادثات للدول الاربع حول برلين .

وعقد الاجتماع التاريخي بين رئيس الحكومتين الألمانيتين في أرفورت بألمانيا الشرقية في ١٩ آذار . ومما فاجأ الألمان الغربيين وأحرج مضيفيهم أن جماهير غفيرة من الألمان الشرقيين حيّت براندت بالهتاف والحماس وتخطّت حاجز الشرطة بالقوة من أجل تحيته وسارت المفاوضات في جو تحوطه المهابة والجدّية . ولم تتمخض عن شيء سوى الاتفاق على موعد لاجتماع تال في كاسل بألمانيا الغربية في ٢١ أيار . ولم تكمن أهمية الاجتماعات في ما جرى بحثه فيها ولكن بمجرد حدوثها . فقد دلّت على أن الألمان الشرقيين كانوا مستعدين للحديث وان كان هذا الاستعداد حسب الاعتقاد السائد في الغرب ناتجاً عن ضغط سوفياتي أكثر مما هو ناتج عن رغبة لدى الألمان الشرقيين . وكان براندت يعتقد أن العناصر المختلفة في السياسة ومعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية والمحادثات مع بولندا والاتحاد السوفياتي وألمانيا الديمقراطية بدأت تأثيراً تراكمياً أشبه بكرة الثلج . ويبدو أنه كان محقاً في اعتقاده « ان ما أظهره براندت من صبر وحسن نوايا في اجتماعاته مع شتوف لم يضع عبثاً لأنه أحدث أثراً حسناً في نفس كل من موسكو ووارسو »[٢] .

وفي ١٢ آب سنة ١٩٧٠ وقّع كل من ألمانيا الاتحادية والاتحاد السوفياتي معاهدة عدم اعتداء في موسكو . ويظهر أن بريجنيف كان مسروراً جداً من المعاهدة التي فتحت مسالك جديدة للتجارة مع الغرب وكذلك حلّت بعض مشكلات السياسة الخارجية للكرملين في أوروبا في وقت كانت مصاعب العلاقات السوفياتية الصينية في الشرق الأقصى شائكة جداً . وبالنسبة لبون كانت المعاهدة بمثابة إذن بموافقة السوفيات على السياسة الشرقية . وفي ٧ كانون

الأول قام المستشار براندت بزيارة وارسو لتوقيع معاهدة عدم اعتداء اعترفت فيها جمهورية ألمانيا الاتحادية رسمياً بحدود الاودر ـ النيسي . وفي غيتو وارسو ركع براندت أمام النصب التذكاري ليقدم احتراماته لضحايا ألمانيا الهتلرية . ولم يفت المشاهدين ملاحظة مغزى هذا العمل ببساطته وعفويته وعدم توقعه .

ولم تكسب ألمانيا الغربية شيئاً يذكر على المدى القريب من المعاهدة مع بولندا . أما بولندا فقد كسبت ، لأن اعتماد بولندا على الاتحاد السوفياتي تقلّص بسبب الاعتراف بحدودها . وبقبول هذا الوضع أظهر الاتحاد السوفياتي للعالم أنه أراد استمرار الوفاق في أوروبا ، ولكن بقيت عقبة كاداء واحدة . فالمحادثات مع تشيكوسلوفاكيا ومفاوضات الدول الأربع الكبرى حول برلين كانت تحقق تقدماً ولو بطيئاً ، لكن الزعامة الألمانية الشرقية كانت تبدي إعاقة ومماطلة .

ويبدو أنه مع أوائل سنة ١٩٧١ كانت الأقطار الاوروبية الشرقية الأخرى قد أخذ ينفذ صبرها من ألمانيا الشرقية . فقد أراد الاتحاد السوفياتي مؤتمراً للامن الاوروبي يضع اللمسات النهائية على الوفاق في أوروبا لكن الغرب لم يبد مزيداً من التساهل إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق حول برلين والتفاوض على معاهدة بين شطري ألمانيا . « وكان يمثل المعارضة في ألمانيا الديمقراطية البرخت زعيم الحزب وأحد المتشددين الذي كان يخشى من نتائج التقارب مع بون على ألمانيا الديمقراطية . وقد أبرز اجتماع ارفورت الحقيقة المقلقة التي مفادها أن ويلي براندت كان أكثر شعبية في ألمانيا الشرقية من أعضاء حكومة ألمانيا الشرقية . كذلك فإن الألمان الشرقيين لم يكونوا يحظون بشعبية في أوروبا الشرقية رغم إدعائهم بالصداقة تجاه حلفائهم . وقال عنهم دبلوماسي بولندي : « إنهم الألمان الذين لا نحب ، بينما الألمان الغربيون هم الألمان الذين لسنا مضطرين لمحبتهم »[٣] . وفي ٣ أيار سنة ١٩٧١ حلّ اريك هونيكر محلّ البرخت كسكرتير أول ، وكان هونيكر أكثر قابلية لاتباع رغبات موسكو حرفياً .

وفي ٣ أيلول سنة ١٩٧١ تمّ الوصول إلى اتفاق الدول الأربع الكبرى

حول برلين والذي اعترف فيه بالحقوق والمسؤ وليات الفردية والمشتركة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا دون أن يجرى أي تغيير في هذه الحقوق والمسؤ وليات . وتقرر بقاء الروابط بين برلين الغربية والجمهورية الاتحادية كما أعطى أهل برلين الغربية مزيداً من حرّية الوصول إلى برلين الشرقية وإلى ألمانيا الديمقراطية . ولم تسفر جميع مساعي ألمانيا الديمقراطية حول قضية برلين خلال الستة عشر عاماً الماضية عن نتيجة . وقد ضحّى الاتحاد السوفياتي بما اعتبره الألمان الشرقيون إحدى مصالحهم الأساسية وذلك من أجل المصالح الوطنية السوفياتية الخاصة . وعندما اضطرت ألمانيا الديمقراطية في آخر الأمر الى توقيع المعاهدة الأساسية مع ألمانيا الاتحادية في ٢١ كانون الأول سنة ١٩٧٢ ، فإن ذلك لم يعطها الاعتراف الدبلوماسي الكامل من بون والذي أعلن البرخت دائماً أنه شرط مسبق لاية معاهدة . وكانت المعاهدة الاساسية حلاً وسطاً . إذ سمحت بعلاقات حسن الجوار بين شطري ألمانيا وزادت من التجارة والاتصالات الشخصية والثقافية واحترام متبادل للحدود والتزامات التحالفات لدى كل من الطرفين . واستمرت في الاعتراف بحقوق الدول الأربع الكبرى ومسؤ ولياتها في ألمانيا وأدّت إلى تبادل البعثات الدائمة ولكن ليس السفارات . وبينما راود بون الأمل في أن تؤ دي المعاهدة إلى حفز الاتصال بين الدولتين ، فقد اعتبرتها ألمانيا الشرقية بمثابة قبول للوضع الراهن وهو جمهوريتان منفصلتان مستقلتان . ولم تكن المعاهدة الأساسية معاهدة صلح لألمانيا ونتائجها حتى اتفاقية هلسنكي سنة ١٩٧٥ .

وفتح نجاح المفاوضات الثنائية في أوروبا الوسطى في السبعينات الطريق لمحادثات حول قضايا مهمة لكل من حلف الأطلسي وحلف وارسو . وفي سنة ١٩٥٤ كان الاتحاد السوفياتي قد اقترح مؤ تمر أمن أوروبي . وكانت موسكو تأمل أن يحلّ نظام من الضمانات المتعددة الأطراف محل الكتلتين اللتين واجهتا بعضهما البعض عبر أوروبا مقسمة . وكرّر الاتحاد السوفياتي الفكرة مراراً في أواخر الستينات وكان يأمل دون شك أن تنفيذها سوف يزيل أو يقلّص وجود

الولايات المتحدة ونفوذها في أوروبا الغربية . ولقيت اقتراحات مؤتمر الأمن الاوروبي ترحيباً في بعض الأوساط في الغرب ولا سيما في فرنسا ، ولكن الدول الاوروبية الغربية كانت أكثر اهتماماً بالتفاوض على تخفيض للقوات الشرقية والغربية في أوروبا ، الأمر الذي يضمن أمن أوروبا الغربية أكثر بكثير من الاتفاقيات المكتوبة على الورق وتقليص القوات الامريكية .

وفي أوائل حزيران سنة ١٩٧١ وافق مجلس وزراء حلف الاطلسي الذي عقد في لشبونة على استمزاج الاتحاد السوفياتي من أجل اختبار رغبة حلف وارسو في الدخول إلى مفاوضات مع حلف شمال الاطلسي من أجل تقليص مستوى القوات العسكرية المتمركزة في قارة أوروبا . وتمّ الاتفاق أول مرة على مبدأ التخفيضات المتبادلة والمتوازنة في القوات وذلك بين وزراء حلف الاطلسي عندما اجتمعوا في ريكافيك في حزيران سنة ١٩٦٨. ولكن في سنة ١٩٧١ بدا الوقت ملائماً . وبدا نجاح المستشار الألماني الغربي ويلي براندت في سياسته الشرقية دليلاً على أن الاتحاد السوفياتي قد يتقبل أفكاراً تقوم على اتفاق رسمي لتحديد حجم القوات العسكرية في أوروبا . وسيكون لاتفاقية تخفيض متبادلة ومتوازنة للقوات منبثقة عن مفاوضات ناجحة مزايا لا يستهان بها لاعضاء حلف الاطلسي الاوروبيين . وفي سنة ١٩٧٠ كانت هناك حركة قوية في مجلس الشيوخ الامريكي لادخال تشريع من أجل إحداث تخفيض كبير في حجم القوات الامريكية في أوروبا ، ونجح الرئيس نيكسون في مقاومة هذه الحركة ولكنها أوضحت للاوروبيين وجود شطر كبير من الرأي العام في الكونغرس الامريكي يحبذ سحب القوات من أوروبا . كذلك فإنه كان على دول حلف الاطلسي الاوروبية أن تأخذ في حسبانها الحقيقة التي مفادها انه رغم هزيمة اقتراح مانسفيلد مرة فإنه ظلّ يحظى بالتأييد في بعض أوساط الكونغرس الامريكي وان هذا التأييد قد يزداد بحيث أن الرئيس سيضطر إلى تخفيض القوات الامريكية في اوروبا من جانب واحد . واذا ما خفضت مساهمات امريكا في القوات العسكرية من جانب واحد تخفيضاً كبيراً ، فان الاوروبيين

انفسهم سوف يضطرون لزيادة حجم قواتهم المسلحة الخاصة بهم من اجل التعويض عن الفرق . او قد يضطرون للاعتراف بأن قدرة قوات حلف الاطلسي التقليدية في اوروبا على ردع اي عدوان سوفياتي محتمل قد تناقصت .

وفي الماضي القريب كانت دول أوروبا الغربية الأعضاء في حلف الأطلسي غير راغبة حتى في التفكير بزيادة حجم قواتها المسلحة . إن خطوة كهذه ستكون مكلفة وغير شعبية لدى الناخبين في عدد من الدول الاوروبية بما في ذلك بريطانيا وهولندا وألمانيا الغربية والتي لا تشعر انها مهددة حقاً من قبل الاتحاد السوفياتي . ويدركون أن الموازنات الحكومية محدودة وان مزيداً من الجنود والأسلحة يعني مزيداً من الضرائب أو إنفاقات أقل على الأشياء المرغوبة إجتماعياً مثل المستشفيات والمدارس . وهذا التردد من جانب حلفاء ألمانيا الكبار في أوروبا لزيادة الاسهامات في الدفاع المشترك أغضب عدداً متزايداً من رجال الكونغرس الامريكي الذين لهم الحق في أن يشعروا أن الولايات المتحدة لا يتوقع منها أن تظل تتحمل نسبة زائدة في نفقات الدفاع لحلف الأطلسي . كذلك ، ومع انتهاء التورط الامريكي في حرب فيتنام ، ألغت الولايات المتحدة نظام التجنيد بحيث أن قواتها المسلحة المتيسرة للالتزامات العالمية قد تقلّصت . ولذلك فإن التخفيضات المتبادلة والمتوازنة للقوات في أوروبا وفّرت للاوروبيين حلاً ممكناً لمشكلتهم لأنها قد تؤدي الى وضع يرافق فيه تخفيض القوات الامريكية وغيرها من حلف الاطلسي تخفيضاً في قوات الاتحاد السوفياتي في أوروبا الوسطى .

بينما كان الغرب يتحدث عن الرغبة في التخفيضات المتبادلة والمتوازنة في القوات ، استأنف الاتحاد السوفياتي طرح فكرته لعقد مؤتمر أمن أوروبي . ولم يتفق الشرق والغرب على اقتراحات بعضهما البعض حتى زيارة المستشار براندت للقرم في أواسط أيلول سنة ١٩٧١ لاجراء محادثات مع بريجينيف . وتقرر هناك ما يلي :

أ ـ يجب أن تتوافق التخفيضات في القوات مع المصالح الأمنية الحيوية

للتحالف ، ويجب أن لا تسبب أية أوضاع عسكرية غير ملائمة لأي من الجانبين مع الأخذ في الحسبان الفروق الناشئة عن الاعتبارات الجغرافية والاعتبارات العسكرية الأخرى .

ب - يجب أن تتم التخفيضات على أساس متبادل وان تجرى على مراحل وبصورة متوازنة من حيث مجالها وتوقيتها .

جـ - يجب أن تحوي التخفيضات القوات المتمركزة وقوات البلاد المحلية (الوطنية) وأنظمة أسلحتها في المنطقة المعنية .

د - يجب إجراء تدقيق ومراقبة كافيين لضمان مراعاة الاتفاقيات حول التخفيضات المتبادلة والمتوازنة للقوات[٤] .

وفي صيف سنة ١٩٧٢ قبلت الدولتان العظميان المبدأ القائل أن مفاوضات التخفيضات المتبادلة والمتوازنة للقوات ومؤتمر الأمن الاوروبي وجهان لعملة واحدة ويجب أن تجرى المفاوضات بصورة متوازية تقريباً . وبدأت المحادثات التمهيدية حول الموضوعين بصورة فعّالة في كانون الثاني سنة ١٩٧٣ كما بدأت الجلسات الكاملة تعقد في مرحلة متأخرة من تلك السنة . وعقد مؤتمر الأمن الاوروبي في هلسنكي في ٣ تموز ومؤتمر التخفيضات المتبادلة المتوازنة للقوات في فينّا في ٣٠ تشرين الأول . وكانت محادثات الموضوع الثاني حول التخفيضات معقّدة جداً . ولم تكن تشمل القوات فقط بل كانت تشمل أيضاً أعداد الأسلحة وأنواعها . كذلك فإن أي نسبة مئوية من التخفيض كان يريدها الاتحاد السوفياتي ستؤدي إلى إعطاء حلف وارسو تفوقاً عسكرياً كبيراً على حلف الاطلسي أكبر مما أعطت في السابق . لقد رغب الطرفان في تخفيض قواتهما ولكنهما أرادا أيضاً تحسين وضعهما العسكري والأمني مقابل بعضهما البعض . ويريد الاتحاد السوفياتي الاحتفاظ بقبضته على أوروبا الشرقية لكن الغرب وربما بعض دول الكتلة الشرقية كانت ترغب في تخفيض القوات السوفياتية في أوروبا الشرقية إلى مستوى يصبح فيه تكرار الغزو على غرار غزو تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ أكثر صعوبة بكثير ان لم يكن مستحيلاً .

أما محادثات مؤتمر الأمن الاوروبي فكانت معقّدة بصورة مشابهة . وخلال المفاوضات التي امتدت عامين اتفق جميع المشتركين فيها أن تهدف المحادثات إلى مزيد من حرّية الحركة للناس والأفكار والمعلومات في أوروبا ، إلا أن هذه التعهدات بالنسبة للاتحاد السوفياتي لم يرد لها ذكر في الصحافة السوفياتية(٥) . وأراد الاتحاد السوفياتي من مؤتمر الأمن الاوروبي تخفيف حدة التوتر في غرب أوروبا (غير أن وسائل الاعلام السوفياتية استمرت في حثّ مواطنيها على استمرار اليقظة ضد الغرب) لاتاحة توفّر رأس المال والتكنولوجيا الغربيين للاتحاد السوفياتي والاعتراف بتفوّق المصالح السوفياتية في أوروبا الشرقية . وفي محادثات هلسنكي أكّد المندوبون ليس من دول حلف الاطلسي وحسب ، بل ومن الدول الاوروبية المحايدة على وجوب سماح الوفاق بمزيد من الحريات الفردية إذا أريد له أن يكون حقيقياً ، بيد أن الحرية الفردية مقيدة جداً في الاتحاد السوفياتي ، حيث وسائل الاعلام تحت سيطرة الدولة وتوجيهها . ولذلك فإن الشعب السوفياتي لا يسمع ولا يتعلّم إلا ما تريده له حكومته . وهناك قليلون جداً من الروس يسمح لهم بالسفر إلى الخارج بل وهم بحاجة إلى جوازات سفر داخل الاتحاد السوفياتي نفسه . لقد سمح بقدر من الهجرة لليهود والمنشقّين في السنوات الأخيرة لكن هذه شواذ . ومع أن الاتحاد السوفياتي وافق على المبادىء الانسانية لهيئة الأمم المتحدة إلا أنه دولة بوليسية ويتوقف استمرار الحزب الشيوعي في السلطة على حرمان المواطنين السوفيات من الحقوق التي طالب بها الاتحاد السوفياتي للآخرين .

ومع ذلك فقد نجحت المحادثات . وفي آب سنة ١٩٧٥ وقّع ثلاثة وثلاثون بلداً أوروبياً (باستثناء ألبانيا) ، كما وقّعت كندا والولايات المتحدة على اتفاقية هلسنكي التي اعترفت فيها بحدود أوروبا الشرقية كما اعترفت ضمناً بالسيطرة السوفياتية عليها . وتخلّت ألمانيا الغربية عن إدعائها بأنها الدولة الألمانية الشرعية الوحيدة . واتفق الشرق والغرب على حضور مراقبين من كلا الجانبين التمرينات العسكرية الكبرى التي يجريها الجانب الآخر ووعد الجميع

بزيادة الاتصال بين الشرق والغرب وضمان حقوق الانسان .

وكانت محادثات هلسنكي إعلاناً رائعاً للمبادىء . ولكن مجموعة أورلوف في الاتحاد السوفياتي وجماعة ميثاق ٧٧ في تشيكوسلوفاكيا وكثير من الجماعات الأخرى والأفراد كانوا سيوافقون دون شك السيد جو بير وزير الخارجية الفرنسي الذي قال في بداية محادثات مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبي في تموز سنة ١٩٧٣ « إن الطريق إلى السلام موجود من خلال تبادل الأفكار وحرية التنقل للافراد » . وتابع قوله انه إذا لم يتوصل مؤتمر الأمن الاوروبي لتحقيق الحرية لجميع الاوروبيين فإنه لن يعدو كونه « خديعة للجماهير ومناورة يقوم بها الخبثاء وخطأ يرتكبه الآخرون »[٦] .

الفصل السابع عشر

الحرب الباردة والعالم الثالث
الشرق الأوسط ـ دراسة حالة

بعد الحرب العالمية الثانية اختبر الاتحاد السوفياتي تصميم الغرب في شرق البحر المتوسط وايران وكوريا فأثار في عمله هذا مخاوف في الدول الغربية من أن الشيوعية الدولية والموجهة من موسكو تهدد نفوذها الاقليمي والاستعماري في كافة أرجاء العالم . وزادت الحرب الباردة في العالم الثالث من حيث مداها وشدّتها وذلك بنسبة تناقص النفوذ الغربي (الذي كان بريطانياً وفرنسياً في العادة) وتبني الولايات المتحدة لدور « شرطي العالم » و« حامية الحرية » ، وزيادة قدرة الاتحاد السوفياتي مادياً على التأثير في الشؤون الدولية البعيدة عن حدوده ، ونمو الروح القومية المحلية المعادية للاستعمار في الأقطار حديثة الاستقلال . وخرجت الأحزاب الشيوعية إلى حيّز الوجود في مستعمرات الدولة الاوروبية بين الحربين العالميين ولكنها لم تتلق أكثر من الدعم المعنوي من الاتحاد السوفياتي . ومنذ سنة ١٩٤٥ فإن هذه الأحزاب الشيوعية في العالم الثالث لقيت المساعدة والتشجيع لكن الاتجاه الرئيسي للمعونة السوفياتية لم لم يكن نحو الاحزاب الشيوعية المحلية ولكن نحو الحكومات بصرف النظر عن صفائها العقائدي . ولم يتحدد السخاء السوفياتي نحو الحكومات الوطنية بولائها للماركسية اللينينية ، ولكن بالدرجة التي كانت طموحاتها وسياساتها تدفعها لمعاداة الغرب .

وعندما انفصلت المستعمرات عن الدول الغربية الامبريالية ، حاولت تلك الدول الاحتفاظ بروابطها ونفوذها التجاري في المناطق التي سحبت منها وجودها العسكري . ولم تكن الولايات المتحدة ، رغم مبدأ ترومان وأنظمة

التحالفات التي أنشأتها بين سنة ١٩٤٥ وسنة ١٩٥٥ ، راغبة في وراثة الالتزامات العسكرية لبريطانيا وفرنسا وهولندا ، ولكنها اضطرت لذلك بسبب تزايد النفوذ الشيوعي والتهديدات « للسلم الامريكي » . وكانت الولايات المتحدة ، بدافع من تقاليدها التحررية ، تتعاطف في العادة مع الروح القومية الناشئة في المستعمرات القديمة لحلفائها . لكنها اكتشفت أن بعض الأقطار التي ساعدتها في الحصول على استقلالها أخذت تميل نحو الاتحاد السوفياتي أكثر من ميلها نحو الغرب . وقد قبل بعض هذه الأقطار المعونة من الشرق والغرب معاً مثل الهند والجزائر وأندونيسيا وتانزانيا . إذ رفضت هذه الأقطار الانحياز إلى أي من الجانبين في الحرب الباردة .

وقد أوجدت عملية تصفية الاستعمار عاملاً جديداً في الحرب الباردة في الخمسينات هو عدم الانحياز . ففي نيسان سنة ١٩٥٥ عقدت الأقطار الافريقية الآسيوية المستقلة مؤتمراً في باندونغ بأندونيسيا وذلك على أثر إبرام حلف بغداد وحلف جنوب شرقي آسيا . وهاجم المندوبون الهنود والصينيون انتشار الحرب الباردة في منطقتهم التي يعيشون فيها من العالم . أما بالنسبة لعدم الانحياز فقد انقسمت الآراء في المؤتمر . إذ تمسكت تركيا والباكستان والفيلبين بروابطها العسكرية والسياسية مع الغرب بينما ركّزت مصر والهند وأقطار أخرى على العلاقات السياسية بين الشرق والغرب . ولم يوجد مؤتمر باندونغ ظاهرة الحياد في الحرب الباردة ، بل اقتصر على اعطاء صيغة رسمية للوضع القائم . غير أن اعلان الحياد لم يساعد دول العالم الثالث في التخلص من تورطها في الحرب الباردة . فقد كانت جميع الاقطار الحديثة الاستقلال بحاجة الى معونة عسكرية وتجارية ومالية وكان عليها عادة أن تتقبل قدراً من السيطرة على مواقفها في السياسة الخارجية وذلك من قبل الدول التي تقدم المساعدات . وفي اواسط الخمسينات كان الامريكيون ينظرون لعدم الانحياز نظرة عدائية . وفي سنة ١٩٥٦ قال دلاس وزير خارجية الولايات المتحدة « باستثناء ظروف نادرة جداً ، فان الحياد فكرة لا اخلاقية وقصيرة النظر »[1] .

وخلال أيام ستالين كان الاتحاد السوفياتي من هذا الرأي أيضاً . وفي أيلول سنة ١٩٤٧ خاطب أندريه زادانوف مؤتمراً شيوعياً دولياً وقال في خطابه أن العالم مقسوم إلى معسكرين متعاديين ومتعارضين يقود أحداهما الرأسماليون الامريكيون ، وكان هذا المعسكر يعد العدّة لشنّ الحرب ، والمعسكر الآخر يقوده الاتحاد السوفياتي المحب للسلام والذي كان يستعد للدفاع عن الحرية . وفي ذلك الوقت كان الطرفان ضدّ الحياد استناداً إلى أسس عقائدية أو أخلاقية . ولكن كان عليهما تعديل موقفيهما عندما تزايد عدد الأقطار المستقلة والتي عبرت عن عدم اهتمامها بما رأت أنه لا علاقة لها به . وقد ورّطت نشاطات ومصالح الدولتين الأعظم والعضوية في الأمم المتحدة جميع دول العالم تقريباً في الحرب الباردة بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبصرف النظر عن رغباتها . فقد أصبحت شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا ميادين لتنافس القوتين الأعظم ولكن أكثر المناطق قابلية للانفجار في الحرب الباردة في العالم الثالث كانت الشرق الأوسط بعد فيتنام .

وقد تورّطت القوتان الأعظم في الشرق الأوسط منذ أن سلمت بريطانيا مسؤولياتها في فلسطين لهيئة الأمم وذلك في نيسان سنة ١٩٤٧ لأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تعاونتا في إعداد مشروع التقسيم الذي أدّى إلى أربعة حروب في الشرق الأوسط خلال خمسة وعشرين عاماً . ومع اضمحلال النفوذ البريطاني في الخمسينات ، حاولت كل من موسكو وواشنطن المطالبة بحقها في فراغ القوة الناتج عن ذلك وبذلك ادخلتا خلافاتهما في منطقة كانت مسرحاً تقليدياً لصراع القوى العظمى .

وكانت المشكلة الأساسية في الشرق الأوسط عدم قبول جيران دولة اسرائيل التي أعلنت في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ ، لهذه الدولة . وحاول الغرب المحافظة على الوضع الراهن بعد الحرب الأولى في الشرق الأوسط سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ وذلك بتحديد تزويد المتحاربين بالأسلحة والسعي لابعاد النفوذ السوفياتي من المنطقة . وفي ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٥١ أنشأت الولايات

المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وتركيا قيادة الشرق الأوسط ودعت الدول العربية للانضمام اليها . وفي ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥ قامت ايران وتركيا وبريطانيا وباكستان والعراق بتوقيع حلف بغداد . واعتبر كثير من العرب هذا التحالف نوعاً من « الاستعمار الجديد » كما رأوا في إدخال العراق فيه أمراً ضاراً بالوحدة العربية . كذلك فبمحاولة توحيد الدول العربية في حلف دفاعي ضد الاتحاد السوفياتي ، بدا وكأن الغرب تجاهل السبب الوحيد الذي يوحد العرب . إذ رأى العرب أن التهديد الرئيسي يكمن في إسرائيل وليس في الاتحاد السوفياتي . وكان حلف بغداد بمثابة دعوة للاتحاد السوفياتي للتدخل في المنطقة لأنه كان يهدد جناحه الجنوبي . ومنذ سنة ١٩٥٥ كان من مصلحة موسكو السعي لإزالة هذا التهديد بمحاولة تخريب الحلف أو تبني قضايا تلك الدول مثل مصر وسوريا التي كانت تعارض الحلف أكثر من غيرها . ولذلك كانت موسكو تعتمد عليها في دعم المصالح السوفياتية من خلال العمل على توطيد مصالحها هي .

وبعد هزيمة الدول العربية في أول حرب لها مع اسرائيل فرضت تلك الدول حصاراً عليها ، فقد منعت السفن الاسرائيلية من استخدام قناة السويس رغم تنديد الامم المتحدة بذلك . وفي أيلول سنة ١٩٥٥ أغلقت مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية ، وازدادت الغارات العربية في داخل اسرائيل كما ازدادت حوادث الانتقام الاسرائيلية . وخلال التوتر المتزايد في الشرق الأوسط قام الملك حسين ملك الاردن بطرد غلوب مستشاره العسكري البريطاني وعرض الروس أن يحلّوا محلّ النفوذ البريطاني والاعانة البريطانية للاردن .

ولم تكن حرب شرق أوسطية في مصلحة موسكو في أواسط الخمسينات واشتركت في قرار مجلس الأمن لارسال السكرتير العام للامم المتحدة داغ همرشولد للتوسط بين العرب واسرائيل . ورغم رغبة الاتحاد السوفياتي الظاهرة في نزع الفتيل من الشرق الأوسط ، إلا أن الدول الغربية كانت تعتقد أن النفوذ الشيوعي في الأقطار العربية كان آخذاً في التزايد . وفي أيلول سنة ١٩٥٥ وافقت

تشيكوسلوفاكيا على تزويد مصر بالأسلحة . وفي شهر أيار سنة **١٩٥٦** اعترفت مصر بالصين الشعبية وأعلنت بعد ذلك بوقت قصير أن باستطاعتها الحصول على أسلحة من بكين رغم حظر الامم المتحدة .

ورداً على ذلك ، سحبت الولايات المتحدة في **١٥** تموز سنة **١٩٥٦** وعدها بالمساعدة المالية لمشروع سد أسوان العالي ، وحذا حذوها البنك الدولي وبريطانيا وهما المصدران الرئيسيان الآخران للدعم . وكان سد أسوان ذا أهمية كبرى لمصر التي كانت بحاجة إلى مساحة أكبر كثيراً من الأراضي الخصبة لاعالة العدد المتزايد من سكانها . وقام الرئيس عبد الناصر الزعيم المصري بردّ ثأري فوري . ففي **٢٦** تموز سنة **١٩٥٦** أعلن تأميم الاستثمارات البريطانية والفرنسية في قناة السويس . ورغم عقد مفاوضات دولية حول قضية استخدام القناة ، إلا أن بريطانيا وفرنسا أخذتا تستعدان للتدخل العسكري . وفي صيف سنة **١٩٥٦** عرض الاتحاد السوفياتي قروضاً على مصر وبذلك أكّد شكوك الغرب حول نوايا موسكو الحقيقية . وفي **٥** تشرين الثاني سنة **١٩٥٦** وبينما كان الاتحاد السوفياتي متورطاً في المجر قامت القوات البريطانية الفرنسية بمهاجمة مصر بالتواطؤ مع اسرائيل (الواقع أن الهجوم الاسرائيلي بدأ في **٢٩** تشرين الأول وبعده بيومين الهجوم البريطاني ـ الفرنسي ـ المعرب ـ) .

وأرغم الضغط الامريكي والاحتجاج العالمي بريطانيا وفرنسا على إيقاف العمليات العسكرية خلال ساعات من عملية انزالها ولكن بعد أن هددهما رئيس الوزراء السوفياتي بولغانين بقوله : « ماذا سيكون موقف بريطانيا لو أن دولاً أقوى هاجمتها بكافة أنواع الأسلحة الحديثة ومنها الأسلحة الصاروخية ؟ من الممكن أن تتطور الحرب في مصر إلى حرب عالمية ثالثة . . . وقد عقدنا العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين وإعادة السلام الى ربوع الشرق »[٢] . ورغم لهجة الاتحاد السوفياتي ذات النزعة الحربية إلا أنه تعاون مع الولايات المتحدة في إنهاء الحرب . ولكن التهديدات بالانتقام صدرت . ولا بد أن الاتحاد السوفياتي كان يدرك أخطاء تنزيل قيمة العملة النووية إذا زاد عدد

الأيدي التي تتداولها عن اللزوم وإذا تكرر ذلك بصورة أكثر مما ينبغي .

وقد دمّر النفوذ الانجليزي الفرنسي في الشرق الأوسط بعد حادث السويس . ولكن الولايات المتحدة تحرّكت للحلول مكانه في ٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٧ عندما طرح الرئيس ايزنهاور مبدأ ايزنهاور على الكونغرس . وقد هاجم النوايا السوفياتية في الشرق الأوسط وطلب إلى سلطات الكونغرس « إعطاء المساعدات الاقتصادية والعسكرية إلى جميع الأقطار التي ترغب في الاستفادة منها في تلك المنطقة على أن يفهم أن هذه المساعدة قد تشمل أيضاً استخدام قوات أمريكية »[٣] .

واعترضت مصر وسوريا على التورّط الامريكي في الشرق الأوسط وزادتا قرباً من الاتحاد السوفياتي لمقاومته وأعطتا بذلك مزيداً من التبرير لواشنطن . وزاد الاتحاد السوفياتي من معونته لمصر وأرسل ضباطاً روسيين لتدريب القوات السورية. وأثار هذا مخاوف الغرب من أن تصبح سوريا شيوعية وبذلك تعرّض جناح حلف بغداد للخطر وتقوّض النظم الحاكمة الموالية للغرب في الأردن ولبنان والعراق . فزادت الولايات المتحدة من نسبة تسليم الأسلحة إلى الأقطار الثلاثة المهددة » ، وعبأت تركيا قواتها وقامت بمناورات على الحدود السورية . وفي ١٠ أيلول ندّدت موسكو بالاستفزاز الغربي لسوريا وهددت بالقيام بعمل عسكري ضد تركيا . وفي ١٩ أيلول قال دلاس أن تركيا « الآن تواجه خطراً عسكرياً متزايداً من نمو الأسلحة السوفياتية المطرد في سوريا »[٤] . وفي ٩ تشرين الأول حذّر خروشوف الولايات المتحدة من أنه « إذا انشبت الحرب فنحن قريبون من تركيا وأنتم لستم كذلك . وعندما تبدأ المدافع في الرماية فإن الصواريخ قد تبدأ تطير وعندئذٍ سيفوت الوقت للتفكير في عواقب ذلك »[٥] . فأجاب دلاس بلهجة مماثلة ولكن الأزمة تلاشت في نهاية تشرين الأول عندما جرى تطمين كل جانب حول نوايا الجانب الآخر بالنسبة لسوريا . وزادت الأزمة من مكانة الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط لأنه كان في وسعه الادعاء بأنه نجح في الدفاع عن سوريا وأخذت الدول الراغبة في تحرير

نفسها من الاعتماد على الغرب تسعى وراء صداقة الاتحاد السوفياتي .

وكاد الشرق الأوسط يصل درجة الغليان مرّة أخرى في تموز سنة ١٩٥٨ عندما حدثت ثورة ناجحة ضد النظام الموالي للغرب في العراق وتدخلت القوات البريطانية الامريكية على أثر ذلك لدعم حكومتي الاردن ولبنان وبذلك أدّت إلى تخوّف سوريا والاتحاد السوفياتي . وعند ذلك كان الجانبان مستعدين للتدخل في المنطقة غير أن دول الشرق الأوسط لم تردالانخراطفي أدوار الحرب الباردة . وفي ٢٩ آب صوتت الدول العربية واسرائيل بالاجماع في الأمم المتحدة من أجل إبعاد الحرب الباردة عن المنطقة وطلبتا إلى الأمم المتحدة ترتيب انسحاب القوات الأجنبية . وتراجع التدخل الدراماتيكي للقوى الكبرى في المنطقة بعد سنة ١٩٥٩ وبذلك أفسح المجال للنزاع العربي الاسرائيلي لكي يعود الظهور ثانية كمشكلة رئيسية .

وفي الستينات ازداد اعتماد الغرب على نفط الشرق الأوسط وبالتالي على السلام في المنطقة . وكان لامريكا مصالح ثقافية وتجارية وعسكرية كبيرة هناك : إذ توجد جامعات أمريكية في لبنان ومصر ، وكانت شركات النفط الامريكية تعمل في الخليج العربي وأرسلت أسلحة لايران والسعودية والاردن ولبنان واسرائيل . وكذلك كان الاسطول الامريكي موجوداً في شرقي البحر المتوسط والخليج العربي . ورغم كل ذلك فقط كانت ميول الكونغرس والشعب الامريكي منحازة لاسرائيل ومع ازدياد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ، ازدادت مصالح الاتحاد السوفياتي . وقدمت موسكو المعونات لمصر وسوريا والعراق . ولكنها واجهت مشكلة رئيسية سفادها أن عقائديتها لم تكن تنطبق على دول الشرق الأوسط المتخلّفة كما أن الحادها لم يكن موضع ترحيب . كما أن النظامين الملكيين المحافظَينْ في الاردن والسعودية كانا يخشيان تهديد عرشيهما نتيجة لتوسع النفوذ السوفياتي . وقبلت مصر المعونة من الاتحاد السوفياتي لأنها لم تستطع الحصول من الغرب على الأسلحة الهجومية التي كانت بحاجة اليها ، لكن الرئيس المصري عبد

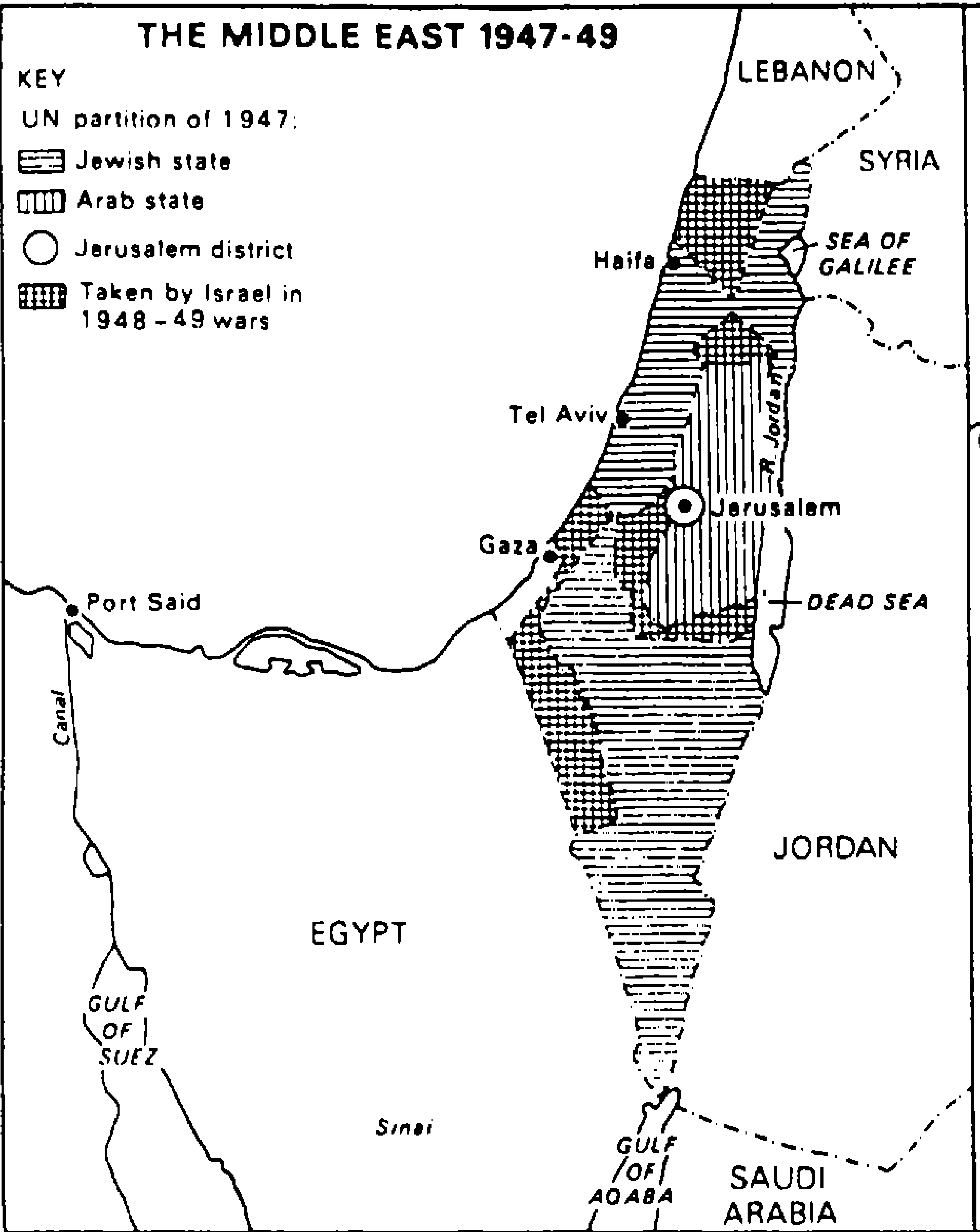
الناصر كان دائماً على حذر من الدوافع السوفياتية وكان الحزب الشيوعي المصري محظوراً .

ولم تنجح العلاقات مع الاتحاد السوفياتي في تحقيق التسوية التي أرادها العرب لمشكلة الشرق الأوسط . ولذلك فإن مصر وسوريا سنة ١٩٦٧ تحركتا لكسر طوق الجمود بتهديد اسرائيل بالحرب وأدّى النزاع الذي حصل بعد ذلك في حزيران سنة ١٩٦٧ إلى إقفال قناة السويس ، وزيادة مساحة الأرض التي تحت سيطرة اسرائيل وإلى إذلال العرب . كما أن حرب سنة ١٩٦٧ أثبتت عدم قدرة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على السيطرة على الدول التابعة لهما والتي هددت حروبها المحلية بسبب استغلال الأسلحة ونفوذ الدولتين الأعظم في المنطقة ، بتصعيد الموقف إلى حرب عالمية ثالثة . ومن الدلائل على الخطر الكامن في وضع الشرق الأوسط أن الدولتين الأعظم استخدمتا « الخط الساخن » لأول مرّة خلال حرب حزيران .

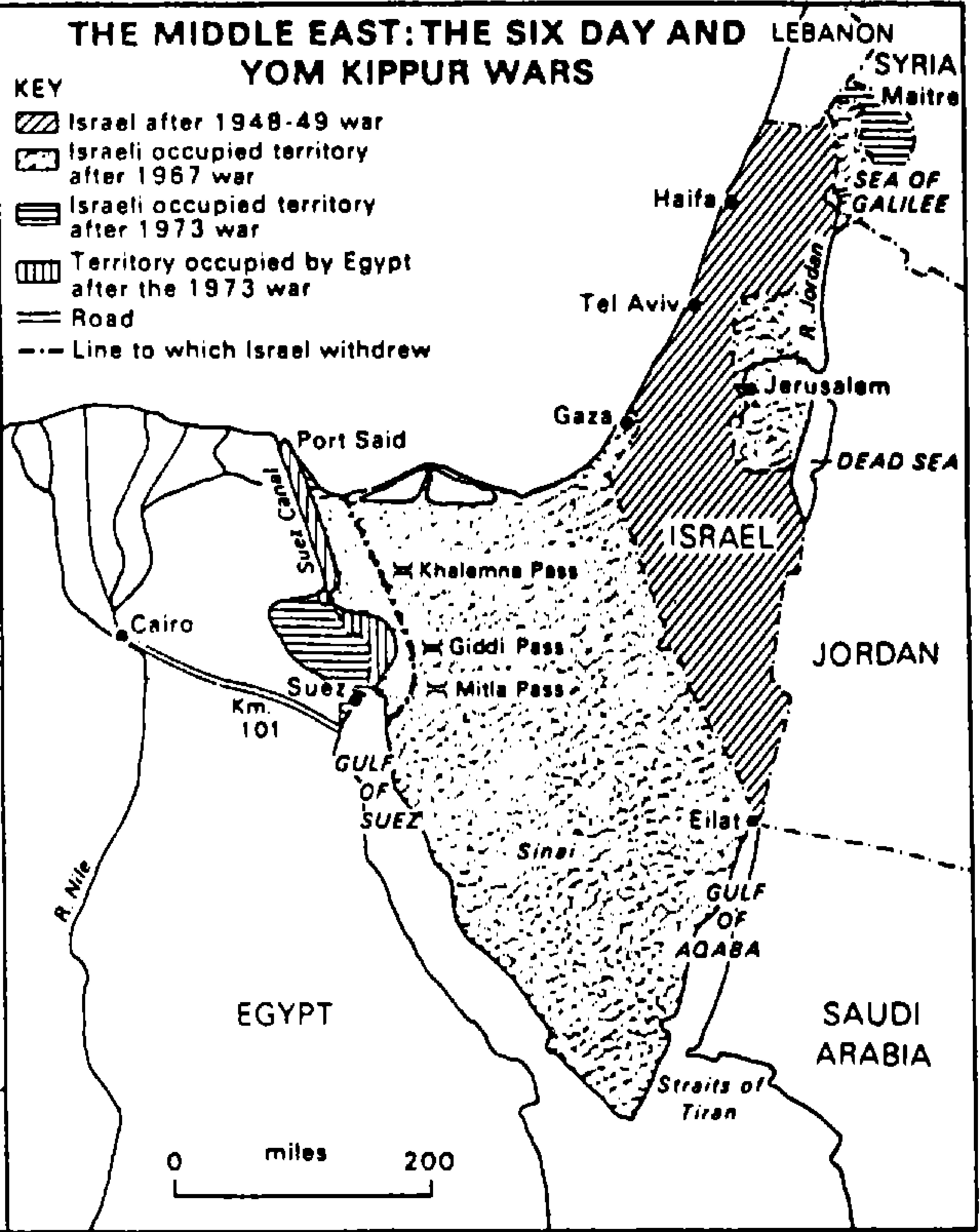
وفي تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ قبلت الأمم المتحدة قرار ٢٤٢ الذي قدمته بريطانيا والذي طالب بإنهاء حالة الحرب ، وانسحاب من المناطق المحتلة ، والاعتراف بالسلامة الاقليمية لكافة الدول وحرّية الملاحة في المياه الدولية وتسوية مشكلة اللاجئين وإيجاد مناطق منزوعة السلاح على الحدود وبعثة من الأمم المتحدة للتفاوض على تسوية . ولم يقبل أي من الجانبين القرار برمته . واستمرت حوادث الحدود وبدأ سباق تسلح . وبعد سنة ١٩٦٧ برزت الولايات المتحدة كمزود رئيسي لاسرائيل بالسلاح وضامن رئيسي لها ، لكن الحرب جاءت نكسة للاتحاد السوفياتي لأن الأسلحة التي زود بها العرب خذلت العرب . ولم تمنع صداقته من الحاق هزائم مذلّة بالعرب وخسارة لأراضيهم . ولم تضع موسكو وقتاً بعد أن أصبحت قيمتها كحليف موضع شك ، في تعويض الأسلحة التي فقدها المصريون والسوريون وشنّ حملة سياسية ودبلوماسية ضد إسرائيل .

واستمر القتال المتقطع على طول القناة سنة ١٩٦٩ وسنة ١٩٧٠ مما دفع

خارطة / ١٣



خارطة / ١٤



الاتحاد السوفياتي لارسال صواريخ سام وعدد يتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ ألف من الفنّيين إلى مصر . . . ومقابل ذلك أعطي السوفيات تسهيلات في قاعدة بحرية في الاسكندرية وحقّ إستخدام القواعد الجوّية التي يستطيعون منها مراقبة وجود حلف الأطلسي في البحر المتوسط . وأقلق الوجود السوفياتي المتزايد الولايات المتحدة وربما كان سبباً في قيام وليم روجرز وزير الخارجية الامريكية بمسعاه السلمي . ونتج وقف لإطلاق النار عن مشروع روجرز ولكن السلام لم يقترب . كذلك فإن هذا المشروع جاء منبثقاً عن اتفاق بين الدولتين العظميين وكان في مصلحتهما وليس في مصلحة العرب الذين كان قبول وقف إطلاق النار عندهم قبولاً بخسائرهم سنة ١٩٦٧ . وتحطّمت مبادرات روجرز على صخرة العداء المتبادل بين الدول التي كانت كلها « على حق » .

وكانت كل من الدولتين العظميين على استعداد لتصديع العلاقات مع اتباعها لتحقيق تسوية في أوائل السبعينات . وفي أيلول سنة ١٩٧٠ حاول الاتحاد السوفياتي الحدّ من التدخل السوري في الحرب الأهلية في الأردن وجرّبت الولايات المتحدة إرغام اسرائيل على تنازلات بإيقاف شحنات طائرات الفانتوم اليها . وتقبلت الولايات المتحدة القول بأن الوجود السوفياتي الكبير في مصر كان عامل استقرار مع ما في ذلك من تناقض وذلك لأنه قلّل من سيطرة مصر على قواتها المسلحة . ورغم جهود الدولتين الأعظم في التوصل إلى حلّ فإنهما لم تستطيعا فرض ما اتفقتا عليه على اتباعهما ، وفي ٦ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ حطم العرب طوق الجمود مرة أخرى بمهاجمة اسرائيل . وكان تدخل القوى الكبرى وتعاونها قد أخفق ولكن الإخفاق السوفياتي كان أكبر .

وفي ٢٨ آذار سنة ١٩٧١ وقّع الرئيس السادات خليفة عبد الناصر معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي على أمل الحصول على الأسلحة الهجومية التي أرادها . وكان ذلك الحد الفاصل في مصير النفوذ السوفياتي في مصر لأنه بعد فشل مناورة السادات أمر جميع المستشارين السوفيات تقريباً بمغادرة مصر . وتمّ رأب الصدع الناتج عن ذلك في العلاقات المصرية السوفياتية بعد ذلك

بشهرين ، لكن السادات استعاد السيطرة على قواته وعلى سياسته الخارجية . وبلغ تورّط موسكو في الشرق الأوسط حداً جعلها تقبل الاذلال على يد السادات بحيث أصبح عليها أن تزوّد مصر بالسلاح بالشروط التي أرادتها مصر .

وعندما اندلعت الحرب حاول الاتحاد السوفياتي دون جدوى الضغط على السادات لقبول وقف إطلاق النار . ولكن لم تكن الدولتان الأعظم قادرتين على فعل شيء في البداية لأن كليهما فوجئت . وقامت كل منهما بإيجاد جسر جوّي من امدادات الأسلحة لأنه رغم أن أياً منهما لم ترد الحرب إلا انها لم تستطع قبول الهزيمة .

وعندما اقترب العرب من الهزيمة بعد عبور القوات الاسرائيلية إلى الضفة الغربية لقناة السويس يوم ١٦ تشرين الأول ، بدأت التصرفات السوفياتية تعكس حاجة الروس الماسة لتحقيق وقف فوري لإطلاق النار كما بدأت تعكس قلق الروس على مصر وسوريا . وتوصّلت الدولتان الأعظم الى وقف لإطلاق النار من خلال الامم المتحدة ولكن بالنظر لتجاهل المتحاربين له فقد اقترحت موسكو إيفاد قوات مشتركة لغرض وقف إطلاق النار ، وعندما رفضت الولايات المتحدة ذلك ، بدا وكأن الروس يستعدون لارسال قوات لوحدهم ، وفي ٢٥ تشرين الأول أعلن الرئيس نيكسون حالة الانذار النووي بين القوات الامريكية في العالم . وكان التهديد كافياً لايجاد اتفاق في مجلس الأمن بأن لا تمثل أي من الدولتين العظميين في قوة حفظ السلام . وانتهت الأزمة ولكن أعمال نيكسون كانت إنذاراً للعالم بأن الحرب في الشرق الأوسط هددت السلام العالمي فعلاً .

وبعد الحرب اتجهت مصر لامريكا وليس نحو الاتحاد السوفياتي للمساعدة في الحصول على السلام . ونظّمت الولايات المتحدة انسحاب القوات الاسرائيلية من القناة والشروع في محادثات السلام في جنيف . ولم تتحسن العلاقات السوفياتية المصرية ولكن كلا الدولتين العظميين ظلّت متورّطة بصورة عميقة في الشرق الأوسط وبقيت الأزمة العسكرية مستمرّة .

وقد وسع سلاح النفط من تأثير صراع الشرق الأوسط على كثير من العالم (أنظر الفصل / ١٩) كما أن دخول اسرائيل العصر النووي واحتمال أن تدخل مصر أيضاً يمكن أن يؤدي إلى مزيد من توسيع تأثير نزاع الشرق الأوسط على العالم(٦) .

الفصل الثامن عشر

الوفاق العسكري

في تشرين الاول سنة ١٩٧٤ قال الامين العام لمؤتمر بوغواش(Pugwash) حول العلوم والشؤ ون العالمية « ان التطوير والتجارة المستمرين للاسلحة النووية قد زادت بنسبة ٣ : ١ من احتمالات استخدام سلاح نووي في الصراع قبل سنة ١٩٨٤ » . كما اوحى بأن فرص حدوث حرب نووية خلال السنوات الباقية من هذا القرن فرص أسوأ [١] . كما كان رئيس الوزراء السوفياتي الاسبق خروشوف متشائماً ايضاً في مذكراته اذ يقول « لكننا الان وصلنا الى نقطة يتحدث الناس عندها عن حرب عالمية ثالثة ولا يمكنك أن تتجاهل اقتراحاً كهذا بقولك : (كلا فان هذا مستحيل بسبب وجود اسلحة نووية) ان الحرب العالمية الثالثة ممكنة ، وثمة عديد من المجانين الذين يرغبون في بدء حرب نووية »[٢] .

وهذا الخوف من حرب كبرى موجود رغم العدد الكبير من الاتفاقيات العسكرية التي بدأت في نهاية الستينات وتشمل معاهدة الفضاء الخارجي سنة ١٩٦٧ (التي حظرت وضع اسلحة نووية في الفضاء الخارجي لمدار الارض) ، أو معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية لسنة ١٩٦٨ « والتي بموجبها اتفقت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفياتي وثلاث وثمانون دولة اخرى على عدم تبادل المعلومات أو الاجهزة النووية وذلك في سنة ١٩٦٨ وحدها » ، واتفاقية قاع البحار لسنة ١٩٧١ « وهي نتاج لمؤتمر جنيف لنزع السلاح والذي اشتركت فيه خمس وعشرون دولة ومنع وضع اسلحة نووية في قاع البحر على بعد يتجاوز الاثني عشر ميلاً وراء شواطىء البلد » ، وكذلك معاهدة الحرب البيولوجية لسنة ١٩٧٢ (والتي منعت تطوير وانتاج وتكديس

الاسلحة البيولوجية وما يتولد عنها من سموم) ، واتفاقية محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية (سالْت) لسنة ١٩٧٢ ، وخلال سنة ١٩٧٤ تمت صياغة النموذج الاولي لاتفاقية سالت الثانية ، كما حصل تقدم حول معاهدة الحرب الكيماوية عندما وافق مجلس الشيوخ الامريكي في كانون الاول على مبدأ حظر للاسلحة الكيماوية بما فيها استخدام الغاز المسيل للدموع وقاتلات الاعشاب وذلك اثناء الحرب .

ودخلت الولايات المتحدة عقد السبعينات وهي تواجه تغييرات كبرى في التوازن النووي [٣] ، انظر جدول / ١ .

جدول / ١ التوازن النووي ١٩٦٤ - ١٩٧٤

		١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤
الولايات المتحدة	صواريخ عابرة للقارات I. C. B. M.	٨٣٤	٩٠٤	١٠٥٤	١٠٥٤	١٠٥٤	١٠٥٤
	صواريخ تنطلق من الغواصات S. L. B. M	٤١٦	٥٩٢	٦٥٦	٦٥٦	٦٥٦	٦٥٦
	قاذفات قنابل بعيدة المدى	٦٣٠	٦٣٠	٥٤٥	٥٥٠	٤٥٥	٤٣٧
الاتحاد السوفياتي	صواريخ عابره للقارات I. C. B. M	٢٠٠	٣٠٠	٨٠٠	١٣٠٠	١٥٢٧	١٥٧٥
	صواريخ تنطلق من الغواصات S. L. B. M	١٢٠	١٢٥	١٣٠	٢٨٠	٥٦٠	٧٢٠
	قاذفات القنابل بعيدة المدى	١٩٠	٢٠٠	١٥٠	١٥٠	١٤٠	١٤٠

ملاحظة * : الصاروخ العابر للقارات I. C. B. M. مداه ٤٠٠٠ ميل أو اكثر ، والصاروخ المتوسط المدى I. R. B. M. مداه من ١٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ ميل ، والصاروخ ذو المدى الاوسط القريب M. R. B. M. مداه ٥٠٠ ميل ـ ١٥٠٠ ميل .

وفي سنة ١٩٧١ كان الرئيس نيكسون قد قرر ، بعد أن اخذ في حسبانه هذه الارقام ، صياغة مبدأ نظرية نووية تقوم على « الاكتفاء الاستراتيجي » لتحل محل مبدأ أو نظرية « الدمار المؤكد » التي سادت في الستينات . وباستخدام المبدأ الجديد ، اصبح يفترض في قوات الولايات المتحدة أن تكون قادرة على الرد الانتقامي على السوفيات حتى بعد ضربة سوفياتية مفاجئة شاملة ، وان يمكن هذا المبدأ رئيس الولايات المتحدة من الحصول على « مدى مرن من الخيارات الاستراتيجية » لمواجهة جميع انواع التهديدات بالحرب . ولذلك طورت الولايات المتحدة منظومة كاملة من الاسلحة وهي : الصواريخ المضادة للصواريخ ، ومركبات اطلاق الصواريخ من الفضاء ، وصواريخ تطلق من الطائرات ، وغواصات ترايدنت ، وقاذفات ب / ١ . ، وصواريخ كروز ، ووسائل لزيادة صلابة ملاجىء صواريخ منتمان / ٣ الموجودة تحت الارض . وفي شباط سنة ١٩٧٠ سأل نيكسون في وثيقة حول السياسة السؤ ال التالي « في حالة هجوم نووي هل يجب أن يترك لرئيس الجمهورية خيار واحد فقط وهو اصدار الامر بتدمير شامل للمدنيين الاعداء ازاء امر مؤكد وهو أن يتبع ذلك مجزرة شاملة بين الامريكيين؟ »[٤] . وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٤ أثير مرة اخرى مفهوم الدمار المتبادل المؤكد وهو معروف اختصاراً ب(MAD) اذ قال شلزنجر وزير الدفاع الامريكي وقتئذ انه يجب أن تحل محل سياسة « العين بالعين » سياسة اكثر تعقيداً تقوم على مبدأ « السن بالسن » اي تصويب صواريخ امريكية اكثر من ذي قبل على مواقع الصواريخ والاهداف العسكرية السوفياتية بدلاً من تصويبها على الاهداف المدنية « الطرية » ، لكن هذا التغيير الذي يبدو في الظاهر لطيفاً يعني أن دقة الصواريخ قد تحسنت وان بامكانها أن تسمح بمخاطرة اكثر نحو الحرب : وسيحتاج الامر الى مجرد عقلية معينة وازمة من نوع معين لتبرير ارسال اسطول من الصواريخ العابرة للقارات تضرب موسكو أو لينينغراد ، وأن اصدار الامر بضرب بطاريات صواريخ العدو أو قواعد قاذفات القنابل التي لديه سيكون عبئاً اخف على العقل وعلى الموقف .

حذلك اذا اصبحت الصواريخ من الدقة بحيث تستطيع اصابة ملاجىء صواريخ العدو ، فان الاغراء لشن ضربة وقائية ضد قوات العدو سيزداد في حالة حدوث ازمة كبيرة . وباستخدام لغة الاصطلاحات النووية نقول أن امكانية قدرة احدى القوتين الاعظم أو كلتيهما على تجريد الاخرى من سلاحها بضربة أولى ناجحة ، تصبح بالضرورة احد العناصر التي تؤدي الى اهتزاز عنيف لميزان الرعب .

وكان المفترض أن تبدأ المفاوضات من أجل تحديد الاسلحة سنة ١٩٦٨ ولكن احداث تشيكوسلوفاكيا اجلت البدء حتى تشرين الثاني سنة ١٩٦٩ . وفرضت الاتفاقية المؤقتة في ايار سنة ١٩٧٢ تجميداً مدته خمس سنوات على الصواريخ العابرة للقارات مع وجود ١٦١٨ صاروخاً سوفياتياً و ١٠٥٤ صاروخاً امريكياً ، وعلى الصواريخ التي تطلق من الغواصات مع وجود ٩٥٠ (منصوبة في ٦٢ غواصه) لدى السوفيات و ٧١٠ (منصوبة في ٤٤ غواصه) لدى الامريكيين، وعلى الصواريخ المضادة للصواريخ مع حد اعلى مقداره ١٠٠ صاروخ موجودة في موقعين لكل من الطرفين ، وفي ٣ ايار سنة ١٩٧٢ رحبت برافدا بالاتفاقيات بالعبارات التالية :

« تبين محادثات سالت (وهي معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية) بصورة مقنعة انه رغم الاختلاف بين الانظمة الاجتماعية لكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية ، ورغم التمايز في العقائديات ، والاختلاف المشهور بل والمتعاكس في تناول بعض المشكلات في السياسة العالمية ، تبين هذه المحادثات ان تحسناً في العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لمصلحة كل من الدولتين ولدعم السلام والامن الدولي امر ممكن . ويجب أن تدعم الاتفاقيات حول الاسلحة الحد من الاندفاع نحو التسلح الذي يخلق نوعاً من التهديد بالقتال الصاروخي النووي ، ويحول الكثير من الموارد عن اهدافها المنتجة الخلاقة ، وتقوم هذه الاتفاقيات على الاعتراف بالامن المتكافىء في الجانبين ولا يعطي ميزة عسكرية لاي منهما » .

غير أن نيكسون ، قال في معرض تفسيره للكونغرس لوجود ارقام سيوفياتية أعلى ، ان تجميد الصواريخ السوفياتية الثقيلة مثل س س / ٩ (والذي كان السوفيات يصنعونه بسرعة) سيكون في مصلحة الولايات المتحدة ، كذلك فان الاتفاقية تجاهلت قاذفات القنابل (التي كان الامريكيون متفوقين فيها) وتجاهلت الصواريخ الامريكية التكتيكية في اوروبا ، كما ضربت صفحاً عن القوات النووية البريطانية والفرنسية وذكر نيكسون الكونغرس ايضاً بأننا نتفوق في عدد الصواريخ بنسبة ٣ : ١[٥] وقال الرئيس « ان قراراً من هذا الحجم لا يمكن أن يتخذه الا بلدان فَضَّلا أن تقوم علاقاتهما على اساس من ضبط النفس والتعاون والثقة المطردة النمو »[٦] . لكنه مع ذلك ذكر الكونغرس أن « الوفاق ليس مماثلاً للسلام الدائم . . . وسيواجه العالم مخاطر طيلة المستقبل المنظور »[٧] . واكد أنه الى أن يصبح الوفاق اكثر دواماً ، فانه لا مجال لمزيد من التخفيضات العسكرية من جانب واحد في مجموع القوات التقليدية أو في توزيعها في الخطوط الامامية وفي حزيران سنة ١٩٧٣ كان لدى الولايات المتحدة سفن قتال اقل بمقدار الثلث من ذات السفن في حزيران سنة ١٩٦٤ وكانت قواتها الجوية اقل عدداً بسبعة وثلاثين سربا وقواتها البرية أقل ايضاً بمقادار الثلث في المدة ذاتها . أن القوات التقليدية عالية التكاليف ، وفي سنة ١٩٧٣ كلفت اكثر من القوات الاستراتيجية بثلاثة اضعاف ، لكن نيكسون اكد على الحاجة للابقاء على قُدْرة العمل في اية اماكن في العالم بالقوات غير النووية وختم كلامه قائلاً « انني مصمم على أن تبقى قواتنا العسكرية غير مسبوقة بأحد »[٨] .

بيد أن سنة ١٩٧٣ شهدت مزيداً من الوفاق العسكري مع اتفاق على انقاص سقف الصواريخ المضادة للصواريخ ، ومنع التجارب النووية تحت الارض اذا زادت قوتها عن ١٥٠ كيلو طن وذلك اعتباراً من سنة ١٩٧٦ ، مع اعلان مشترك من نيكسون وبرجنيف ان امريكا والاتحاد السوفياتي قد تعهدا « بالتصرف باسلوب يمنع تطور المواقف المؤدية الى تدهور خطير في العلاقات ،

بحيث يحول تصرفهما دون المجابهات العسكرية ويستبعد اندلاع حرب نووية بينهما وبين كل منهما واية اقطار اخرى » .

واستمر الوفاق في عهد الرئيس فورد الذي ورث مفاوضات سالت / ٢ من نيكسون « في المجال النووي ليس ثمة من بديل عقلاني للاتفاق على ضبط نفس متبادل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، الدولتين القادرتين على تدمير البشرية »[٩] وتم بعد ذلك التوصل الى اتفاق من حيث المبدأ على مفاوضات سالت / ٢ وذلك في تشرين الثاني سنة ١٩٧٤ في قمة عقدت بين فورد وبرجنيف في فلاديفستك والتي قال الدكتور كيسنجر وزير الخارجية الامريكية انها سوف تعني « وضع حد لسباق التسلح لمدة عشر سنوات »[١٠] وكان مقرراً ان تتم التفاصيل الفنية لسالت / ٢ في جنيف في ربيع سنة ١٩٧٦ ، وفي حالة توقيعها ، فان المفاوضات من اجل سالت / ٣ سوف تبدأ على الارجح (ذلك لان اتفاقية سالت / ٢ سوف تنتهي مدتها في سنة ١٩٨٢) . وفي التفسير الذي قدمه فورد للكونغرس في كانون الاول سنة ١٩٧٤ قال أن سالت / ٢ سوف تضع حداً اعلى أو سقفاً مقداره ٣٤٠٠ على مجموع عدد قاذفات الصواريخ بما فيها قاذفات القنابل لكل من الطرفين ، وضمن ذلك الحد فان ١٣٢٠ قاذفة ستزود بأجهزة اطلاق الصواريخ من الجو[١١] .

ويبقى ان نرى هل سيؤدي الوفاق العسكري على الاقل في مجال الاسلحة النووية الاستراتيجية الى سباق متجدد للتسلح يقوم على النوعية لا على الكمية . وفي سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ طلب الرئيس فورد موازنة دفاعية مقدارها ٩٦ بليوناً من الدولارات (بزيادة ١١ بليوناً عن موازنة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) . ولذلك فان الوفاق العسكري لم يقلص من نفقات التسلح عند الدولتين الاعظم .

الفصل التاسع عشر

الوفاق السياسي والعالم المتعدد الاقطاب

في ٤ شباط سنة ١٩٧٢ قالت جريدة الفيغارو الباريسية .

« يعتقد السيد نيكسون . . . أن الولايات المتحدة من الان فصاعداً سوف تتفاوض مع اعدائها ـ ومن هنا جاءت زيارته لبيكين وموسكو . وانها تتوقع من اصدقائها في اوروبا وآسيا أن يقفوا على اقدامهم . ولا مراء في أن المرحلة الحالية من العلاقات الدولية تشير الى نهاية فترة وبداية أخرى . ولم يعد تفوق الولايات المتحدة العسكري على الاتحاد السوفياتي قائماً » .

جدول / ٢ التوازن الاقتصادي العالمي[١]

(مجمل الناتج القومي ببلايين الدولارات الامريكية) .

السنة	الولايات المتحدة	اليابان	المانيا الغربية	فرنسا	المملكة المتحدة	الاتحاد السوفياتي
١٩٥٢	٣٥٠	١٦	٣٢	٢٩	٤٤	١٣٣
١٩٦٠	٥١١	٣٩	٧١	٦٠	٧٢	٢٠١
١٩٦٦	٧٤٨	١٠٢	١٢٣	١٠٨	١٠٧	٢٨٨
١٩٧٢	١٥١٢	٣١٧	٢٢٩	٢٢٤	١٢٨	٤٣٩

وجعل الرئيس نيكسون التغييرات في الميزان الاقتصادي العالمي (انظر جدول / ٢) أحد الاسباب في السياسة الخارجية الامريكية الجديدة وذلك في

تقريره عن السياسة الخارجية الذي قدمه للكونغرس في شباط سنة ١٩٧٢ : ـ

١ ـ استعادة القوة الاقتصادية والحيوية السياسية لاوروبا الغربية واليابان ونتيجةُ ذلك الحتميةُ : أن دوراهما ودورنا في العالم يجب أن تتكيف بحيث تعكس نشاطها المستردّ وثقتها بنفسها .

٢ ـ زيادة الاعتماد على النفس بين الدول التي ولدت نتيجة انحلال الامبراطوريات الاستعمارية وتنامي قدرتها وتصميمها على العناية بشؤ ون امنها ورفاهها .

٣ ـ الانهيار في وحدة الكتلة الشيوعية . . . وأولويات اكبر في بعض الاقطار الشيوعية على الاقل لتسعى وراء مصالحها القومية اكثر من خضوعها لمتطلبات الثورة العالمية .

٤ ـ انتهاء التفوق الامريكي غير المنازع في القوة الاستراتيجية وحلول توازن استراتيجي محله تكون فيه القوة النووية للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي متعادلتين .

٥ ـ نمو اعتقاد بين الشعب الامريكي مفاده أن الوقت قد حان لكي تتقاسم الامم الاخرى حصة اكبر من أعباء قيادة العالم ، وما ينتج عن ذلك من الاستمرار المؤ كد لتورطنا المطلوب على المدى الطويل قد تطلب دوراً امريكياً مسؤ ولاً لكنه اكثر ضبطاً للنفس .

وفي مقابلة مع مجلة تايم في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٧٢ تحدث الرئيس عن نمو عالم جديد متعدد الاقطاب فقال : « اعتقد أن العالم سيكون أكثر اماناً وافضل اذا توفر لدينا دول قوية وسليمة في الولايات المتحدة واوروبا والاتحاد السوفياتي والصين واليابان وكل منها توازن الاخرى ولا توقع بين الدولة والاخرى » .

وبالطبع ثمة شكوك حول ما يشكل عالماً ثنائي الاقطاب (يسوده الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) . وهل كان تمثيل الولايات المتحدة للغرب بين سنة ١٩٤٥ و سنة ١٩٥٦ معطلاً بسبب حاجتها الى موارد حلفائها وقواعدهم ؟

وحتى عندما جردت الصواريخ العابرة للقارات تلك القواعد من قيمتها ، فهل كان العالم ثنائي الاقطاب عندما كانت المجموعة الاقتصادية الاوروبية (ولا سيما فرنسا) تتحدى هيمنة الولايات المتحدة ؟ وهل كان العالم لا يزال ثنائي الاقطاب عندما رفضت الصين ـ ناهيك عن يوغوسلافيا والبانيا والى حد ما رومانيا ـ السيطرة السوفياتية بعد سنة ١٩٦٣ ؟ ولكن اذا قبل المرء القول بأن الدولتين الاعظم كانتا مسيطرتين على العالم بين سنة ١٩٤٥ و سنة ١٩٧٠ ، فهل ما زالتا تسيطران حتى الان ؟ أو هل كان كيسنجر اكثر دقة عندما تحدث عن « تعدد اقطاب سياسي وثنائية اقطاب عسكرية » بدلا من « توازن خماسي للقوة » ؟.

اذا كان تعريف الدولة العملاقة بأنها الدولة التي لا تفكر تفكيراً عالمياً وحسب ، بل أن لديها ايضاً القدرة على ممارسة النفوذ من خلال قوات هائلة في كافة القارات أو بقربها ، فما زال يوجد قوتان عملاقتان . وبموجب ذلك التعريف فان الصين دولة متوسطة ليس الا ، ومجمل ناتجها القومي يعادل مجمل ناتج ايطاليا القومي تقريباً ، ودورها خارج الشرق الاقصى مجرد دور رمزي (بصرف النظر عن عضويتها في مجلس الامن الدولي) . وبالطبع لم تعد الصين « رجل آسيا المريض » كما أن حجمها يجتذب العالم الخارجي باستمرار ، لا سيما لان نظام الحكم وعدد السكان فيها يبدوان وكأنهما يفقدان الاتحاد السوفياتي توازنه . ولكن رغم حدوث كثير من الهزات الدولية خلال عقد السبعينات . فان بروز الصين كدولة عظمى في السياسة العالمية سيبقى بروزاً محدوداً .

وأوروبا الغربية قوية من ناحية اقتصادية (انظر الجدول / ٣) ولها شيء من النفوذ في افريقيا والشرق الاوسط ، ولكن صلاتها بالشرق الاقصى شبه ـ معدومة . والمجموعة الاقتصادية الاوروبية اكبر كتلة اقتصادية في العالم ، ولذلك فان لاهميتها السياسية والاقتصادية امكانات هائلة جداً ، الا أن السيد كلود شيسون من اللجنة الاوروبية ذكر اوروبا الغربية ان اعتمادها على العالم

النامي لا يقتصر على النفط لوحده . ان اوروبا تعتمد على مستورداتها من الخارج في ٩٥٪ من احتياجاتها للطاقة ، و ٦٥٪ من حاجتها للنحاس ، و ٥٧٪ من ما تتطلبه من البوكسيت (خام الالومنيوم) ، و ٩٩٪ من ما تحتاجه اليه من الفوسفات ، وجميع ما تطلبه من الكوبالت تقريباً ، و ٨٦٪ من خام الصفيح الذي تحتاجه وجميع ما تحتاج اليه من منغنيز و ٩٥٪ من التنجستن و ٩٣٪ من البن و ١٠٠٪ من الكاكاو كذلك فان المجموعة الاقتصادية الاوروبية تستورد ٢٨٪ من ما تحتاجه من الطعام [٢] .

جدول / ٣ القوة الاقتصادية لاقطار الجماعة الاقتصادية الاوروبية سنة ١٩٧٣

	الجماعة الاقتصادية الاوروبية	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفياتي	اليابان
عدد السكان بالالاف	٢٥٦٦٢١	٢١٠٤٠٠	٢٤٧٤٥٩*	١٠٨٣٥٠
مجمل الناتج القومي بالبلايين من الجنيهات الاسترالينية	٣٧٤,١٧	٤٦٢,٧٥	٢٣٩,٦٧*	١٤٠,٦٢٥
الواردات (التجارة الخارجية فقط) سنة ١٩٧٣ ببلايين الجنيهات الاسترلينية (الجنيه الاسترليني في ٧٤/٨/٢٠ =٣,٣٢ دولارا) .	٩٣٨٣٧,٥	٢٩٧٩٣,٥	٦٩١٧,٢*	١٦٥١٤,٢
الصادرات (التجارة الخارجية فقط) بملايين الجنيهات الاسترلينية سنة ١٩٧٢ حسب سعر الاسترليني في ٧٤/٨/٢٠ .	٩٠٧١٢,٥	٣٠٧٤٠٢,٦	٦,٦٢١,٦*	١٥٩١٨,
معدل انتاج الحبوب بالاف الاطنان ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ .	٩٧٣٥٨	٢١٣٧٣٢	١٦٩٩٣٧	٩٧٩

انتاج الفولاذ سنة ١٩٧٢ بالاف الاطنان .	١٣٩١٠٩	١٢٣٧٧٠	١٢٦٠٠٠	٩٦٩٠٠
استهلاك الكهرباء حسب سنة G. W. H. ٠١٩٧٢	٨٤١٦٩٨	١٦٨٤٩٧٧	٧٢٤٦٦٥	٣٨٥٠٦٨

المصدر : مجلس التثقيف من اجل مواطنة عالمية : لوحات معلومات عن بريطانيا ودول الجماعة الاوروبية .

ملاحظة * : ارقام سنة ١٩٧٢ .

ان اجمالي الناتج القومي الاجمالي لليابان يعادل مرتين ونصف الناتج القومي للصين . واليابان ثالث اكبر دولة صناعية في العالم . لكنها تستورد ٨٠٪ من نفطها من الخليج العربي ، ويمكن لاسطول الشرق الاقصى السوفياتي عزلها ، وهي تسلك في السياسة سلوكاً يتسم بالملاينة والمداراة في العادة . ومن المسلم به أن لدى اليابان الات صناعية ورؤ وس اموال بينما توجد لدى الصين مواد خام ، الا أن أي تفكير في زيادة كبرى في التجارة الصينية اليابانية بعد زيارة تاناكا لبكين في تموز سنة ١٩٧٢ يتجاهل مشكلات الاستثمارات اليابانية في تايوان وجاذبية النفط والغاز الطبيعي السوفياتي في سيبيريا كما يتجاهل سعي الصين نحو الاكتفاء الذاتي . ومع ذلك فقد تكون الصين مستعدة لتزويد اليابان بمزيد من المواد الخام اذا بدا أن البديل لذلك سيكون زيادة اعتماد اليابان على الاتحاد السوفياتي . بيد أن من الواضح أن اليابان من بين جميع « الدول الكبرى » هي أقل البلدان اكتفاء ذاتياً من حيث المواد الخام واكثر البلدان اعتماداً على التجارة الخارجية .

ويمكن أن يجادل المرء بالقول ان عالم الرئيس نيكسون « الخماسي » هو في الواقع عالم « سداسي » . ولا يمكن اغفال قوة العالم الثالث اذا تذكرنا أن ٩٠ دولة تسير على مبدأ عدم الانحياز من ١٣٩ دولة كما كان مجموع اعضاء هيئة الامم المتحدة عام ١٩٧٥ .

وفي سنة ١٩٧٤ أصيبت الدول الغربية بصدمة بسبب تأييد الامم المتحدة لحروب التحرر الوطني ، وطردها المؤقت (وغير الدستوري) لجنوب افريقيا والترحيب الذي قابلت به ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . وفي آخر سنة ١٩٧٤ لخص المندوب الصيني الوضع الجديد بقوله : « لماذا تتحدثون أيها الغربيون عما يدعى « بطغيان الاكثرية » ؟ من العدالة أن تنتصر الاكثرية هنا . ولا يمكن اتهام السيد بوتفليقة الرئيس الجزائري للجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٧٤ بالتحيز عندما يجعل هذا الامر ممكناً . انه يمارس الديمقراطية ليس الا »[٣] . واذا كانت أعمال « المحايدين » في الامم المتحدة محرجة سياسياً للغرب (وبوجود الصين في مجلس الامن فان الاتحاد السوفياتي لا يخرج دائماً بسلام من اتهامه«بالاستعمارية»)،

فان أعمال جزء من العالم الثالث قد تكون ذات تأثير اقتصادي مدمر للعالم في ميدان الطاقة . وكانت الاوبيك أول من ترجم موجودات المواد الخام الى سلاح سياسي واقتصادي وأصبح بامكان الجماعات الانتاجية الاخرى أن تتبع السبيل ذاته . لكن الزيادات الضخمة في الاسعار (٤ أضعاف في حالة النفط بين سنة ١٩٧٣ و سنة ١٩٧٥) ادوات كليلة وقد تكون اسلحة ذات حدين . فهي لا تميز بين الزبائن الاغنياء والفقراء ، وباستطاعتها أن تعرض للخطر قدرة الزبون على الدفع . كما أن الدول العربية المنتجة للنفط (ولا سيما السعودية اكبر منتج للنفط) معرضه هي الاخرى للضغط العسكري من الغرب ، وفي النهاية تبقى الدولتان العظميان وهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة اقدر الدول على الاكتفاء الذاتي وبالتالي اكثرهما قدرة على مقاومة مقاطعة المواد الخام . والواقع أن امريكا اكثر بلد في العالم انتاجاً للمواد الغذائية والمواد الخام ، بينما لدى الاتحاد السوفياتي القدرة على أن يصبح كذلك .

ومن العالم المتعدد الاقطاب نعود ثانية الى ادراك الاهمية الهائلة للعلاقة بين امريكا والاتحاد السوفياتي او وفاق الدولتين الاعظم .

وقال برجنيف خلال زيارته للولايات المتحدة في حزيران سنة ١٩٧٤ :

« لست بالشخص الخطر »(٤) ولا توجد كلمة واحدة مرادفة للوفاق باللغة الروسية كما لا توجد كلمة مرادفة باللغة الانجليزية . ويستخدم الروس العبارة الوعرة وهي « تخفيف حدة التوتر الدولي » . لكن الوفاق اصبح الاساس المطلوب لكثير من الاهداف السياسية السوفياتية . وكان الوفاق طريقة لضمان السيطرة على الانفاق الدفاعي وبالتالي ربما كان طريقة لتحقيق بعض التخفيض . وفي ال ١٥ عاماً الماضية كان الارتفاع في النفقات الدفاعية السوفياتية المقدرة ، اقل سرعة من ارتفاع الناتج القومي الاجمالي ، بيد أن العبء الحقيقي للدفاع في الاتحاد السوفياتي اعظم من نظيره في الولايات المتحدة . والابحاث التي تدعمها الحكومة في مجال الالكترونيات والميادين المتقدمة الاخرى من البحث المرتبط بالاسلحة تحظى بفرصة أقل للتطبيق العملي الصناعي في الاقتصاد السوفياتي الاقل تطوراً (من الاقتصاد الامريكي) . والاتحاد السوفياتي ، شأنه في ذلك شأن الدول الغربية ، يرغب في تقليص القوة البشرية العسكرية بسبب ما يعانيه من نقص مستمر في الايدي العاملة . واذا ما استمر التوتر الصيني السوفياتي ، فقد لا يكون هذا ممكناً وفي تلك الحال يرغب السوفيات في أن يستطيعوا نقل القوات العسكرية من أوروبا الهادئة الى الشرق الاقصى السوفياتي . كما تنظر موسكو للوفاق على أنه حيوي اذا اريد اقناع الغرب باستثمار اموال لاجل طويل في الاتحاد السوفياتي ، في اكساب الشرعية للوضع الراهن في اوروبا الشرقية سياسياً وعقائدياً . كما يريدون أن يسبقوا الجهود الرامية الى التكامل الدفاعي في اوروبا الغربية والتي يفترضون أنها ستقع في النهاية تحت هيمنة المانيا الغربية أغنى بلد في المنطقة .

وبررت الزعامة السوفياتية لشعبها اهتمامها المتزايد بالوفاق كما بررته للاوروبيين الشرقيين بالادعاء أولاً أن توازن القوى قد انحاز نحو الاشتراكية فيما يقال وذلك نتيجة لانتهاء الحرب في فيتنام ، ونتيجة الاعتراف بالمانيا الشرقية وتدعيم مركز كوبا الدولي وبسبب نظام الاتفاقيات التي ابرمت بين الدول الاشتراكية والرأسمالية . وثانياً أن خطر الحرب النووية العالمية قد انحسر بفضل

الاتفاق السوفياتي الامريكي من أجل منعها . وثالثاً أن التوتر الدولي قد خفت حدته نتيجة للجولة الكاملة من اجتماعات القمة والزيارات الخارجية التي لم يقم بها السيد برجنيف لوحده بل والزعماء الاوروبيون الشرقيون الآخرون . واخيراً يقال أن فكرة التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة قد اصبحت فكرة معترفاً بها بصورة اجماعية .

ويعبر الروس كذلك عن ثقة متجددة حول الازمة الاقتصادية والاجتماعية في الغرب وبالطبع فكثيراً ما جرى التنبوء بانهيار النظام (وقد فسر خروشوف ذات مرة « التعايش » بقوله انه يحدث في الغرب احياناً أن يتزوج شاب صحيح الجسم امرأة غنية عجوزا ، وسيعيشان بسلام بينما تأخذ العجوز في الاضمحلال الى أن تموت) . وفي اواخر السبعينات نظر الى العالم الرأسمالي وكأنه يعاني من ازمة في الطاقة ومن تضخم غير معهود وبطالة مرتفعة وانتاج متناقص في بعض الاقطار مع أزمة عميقة في النظام النقدي الدولي . وفي هذا الوضع ترغب موسكو في الوفاق كطريقة لتحييد تأثير الورقة المعادية للسوفيات والتي تلعبها الحكومات الغربية دائماً في الازمات على حد شكوى الاتحاد السوفياتي . وهذه الحجة تفقد بعض قوتها لان التجارة السوفياتية زادت مع الغرب الى حد أخذ الاتحاد السوفياتي يتأثر فيه بالمشكلات الاقتصادية للغرب . كذلك فقد مكن الوفاق الاتحاد السوفياتي من تعويض نواقصه الصناعية والزراعية باستيراد التكنولوجيا المتقدمة والطعام من الغرب . (وفي سنة ١٩٧٢ ابتاع الاتحاد السوفياتي ـ وباسعار مدعومة ٢٠٪ من مجموع محصول الحبوب للولايات المتحدة في ذلك العام) .

ويرغب كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في استغلال مزيد من مواردهما من أجل الاحتياجات المحلية . ومنذ أيام خروشوف والزعامة السوفياتية تحت ضغط متزايد من أجل تلبية توقعات الشعب السوفياتي المتزايد للسلع الاستهلاكية ، ولم يبلغ الاقتصاد السوفياتي حداً من التقدم يجعله يوفر « المدافع والزبدة » بالمقدار المطلوب . ولا يقل وضوحاً عن ذلك للزعامة

الامريكية التي بدأت سنة ١٩٧٢ بـ ٥, ٧ مليوناً من العاطلين (وهي ٢, ٨٪ من القوة العاملة وأعلى نسبة منذ سنة ١٩٤١) ان ثمة مشكلات داخلية اقتصادية واجتماعية ملحة أصبح من الصعوبة بقدر متزايد أن تتجاهلها . وتؤدي الاموال التي تصرف على التسلح بمبالغ مطردة التزايد ، الى استنزاف حيوية الدولتين العظميين في الداخل . وفي ايلول سنة ١٩٧٣ عبر كيسنجر عن الحاجة الى الاقتصاد بقوله [٥] :

« وعندما سيرنا دفة السياسة الخارجية على مستوى عالمي في نهاية الحرب العالمية الثانية ، فان التناسب بين مواردنا وموارد بقية العالم كان كبيراً بحيث كان في وسعنا التغلب على كل مشكلة كما كان باستطاعتنا دائماً أن نعوض عن الافكار بالموارد . اما الان فنحن في وضع نضطر فيه الى تسيير شؤون السياسة الخارجية بطريقة اجبرت على اتباعها أمم اخرى كثيرة عبر تاريخها » .

وايا ما كان الحال ، فقد قال الرئيس نيكسون في أيار سنة ١٩٧٣ « لدى كل منا القدرة على تدمير البشرية بكاملها . هذا الامر والمصالح العالمية للطرفين قد أوجدت نظرة مشتركة ونوعاً من الاعتماد المتبادل من أجل البقاء »[٦] .

وتشمل المشاريع أو المغامرات التعاونية الثنائية اطلاق سفينتي سويوز وابولو معاً بنجاح سنة ١٩٧٥ ، والعمل المشترك ضد التلوث البيئي ، والابحاث المشتركة في السرطان وامراض القلب ، والاتفاقيات التجارية التي توقعت تبادلا في السلع يصل مجموع قيمته الى ما يزيد عن ١,٥ بليون دولار بين سنة ١٩٧٣ وسنة ١٩٧٦ ، واتفاقيات من أجل تسهيلات مشتركة للقروض ، ورسوماً مخفضة على الشحن البحري وحرية الوصول الى موانىء الطرف الآخر ، وايجاد مجمعات تجارية لكل من الجانبين في عاصمة الآخر .

وانبثقت جميع هذه الامور عن محادثات سنة ١٩٧٢ . ولدى الولايات المتحدة رأس المال والتكنولوجيا المتقدمة ، أما الاتحاد السوفياتي فلديه السوق الاستهلاكي والموارد الضخمة التي لم تمس بعد . وفي الامكان أن يصبح اقتصاداهما متكاملين لفائدة الطرفين . وفي سنة ١٩٧٣ قال الرئيس نيكسون أن

الوفاق قد يتجدد ذاتياً اذا « قامت جماعة متزايدة العدد من النـاس من مختلف المهن والمكاتب الحكومية في البلدين . . . بتطـوير نسيج من العلاقـات التـي تدعم وتكمل العلاقات القائمـة في المستـويات العليا للقيادة السياسية »[٧] . ولكن من الضروري الايضاح أن الحكومة السـوفياتية قد قيدت الاتصـالات الشخصية دائماً لان تعرضا من هذا القبيل للافكار الغربية قد يحمل في طياته احتمال اصابة الاشخاص السوفييت « بالعدوى » .

وطبقـاً لرأي الصينيين فالوفاق الامريكي السوفياتي هو خرافة الى حد كبير بالطبع « اذ أن الاتحاد السوفياتي يحاول جاهداً تحت يافطة (محادثـات الامـن الجماعي الاوروبي) أن يوطد هيمنته في اوروبا الشرقية ويمد منطقة نفوذه الى اوروبا الغربية ويخرج النفوذ الامـريكي من هنـاك »[٨] . والواقـع أن رئيس الوزراء شو ان لاى أعلن في معرض تقريره للمؤتمر الوطني للشعب الصيني في كانون الثاني سنة ١٩٧٥ « انه لا يوجد وفاق ، ناهيك عن سلام دائم في هذا العالم . . . . فالاتحـاد السوفياتـي والـولايات المتحـدة اكبـر دولتـين ظالمتـين ومستغلتين في العالم اليوم . . . ولا بد أن يؤدي تنافسهما الحاد الى حرب عالمية في يوم ما »[٩] .

والواقع أن شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٥ شهد نكسة في الوفاق عندما رفض الاتحاد السوفياتـي الاتفـاقية التجـارية المعقـودة في كانـون الاول سنـة ١٩٧٤ . وقد جاء في الفكرة الاساسية للاتفاقية اعطاء روسيا حق الحصول على قروض امريكية غير محدودة من خلال بنـك الاستـيراد والتصـدير الامـريكي ودخول الصادرات السوفياتية السوق الامريكي معفاة من التعرفة الجمركية . وبالمقابل تسدد روسيا جزءاً من قرض الاعارة والتأجير البالغ ١١ الف مليون دولار مع السماح للشركات الامريكية باقامة مكاتب في الاتحـاد السوفياتـي . وتراجع الروس عن قبولهم في البداية لهذه الصفقة لسببين ظاهرين وهما أولا : أن السناتور جاكسون (الذي كان يومـاً ما احـد المتنافسـين على التـرشيح في الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٧٦) قد نجح في الحصـول من الكونغـرس على

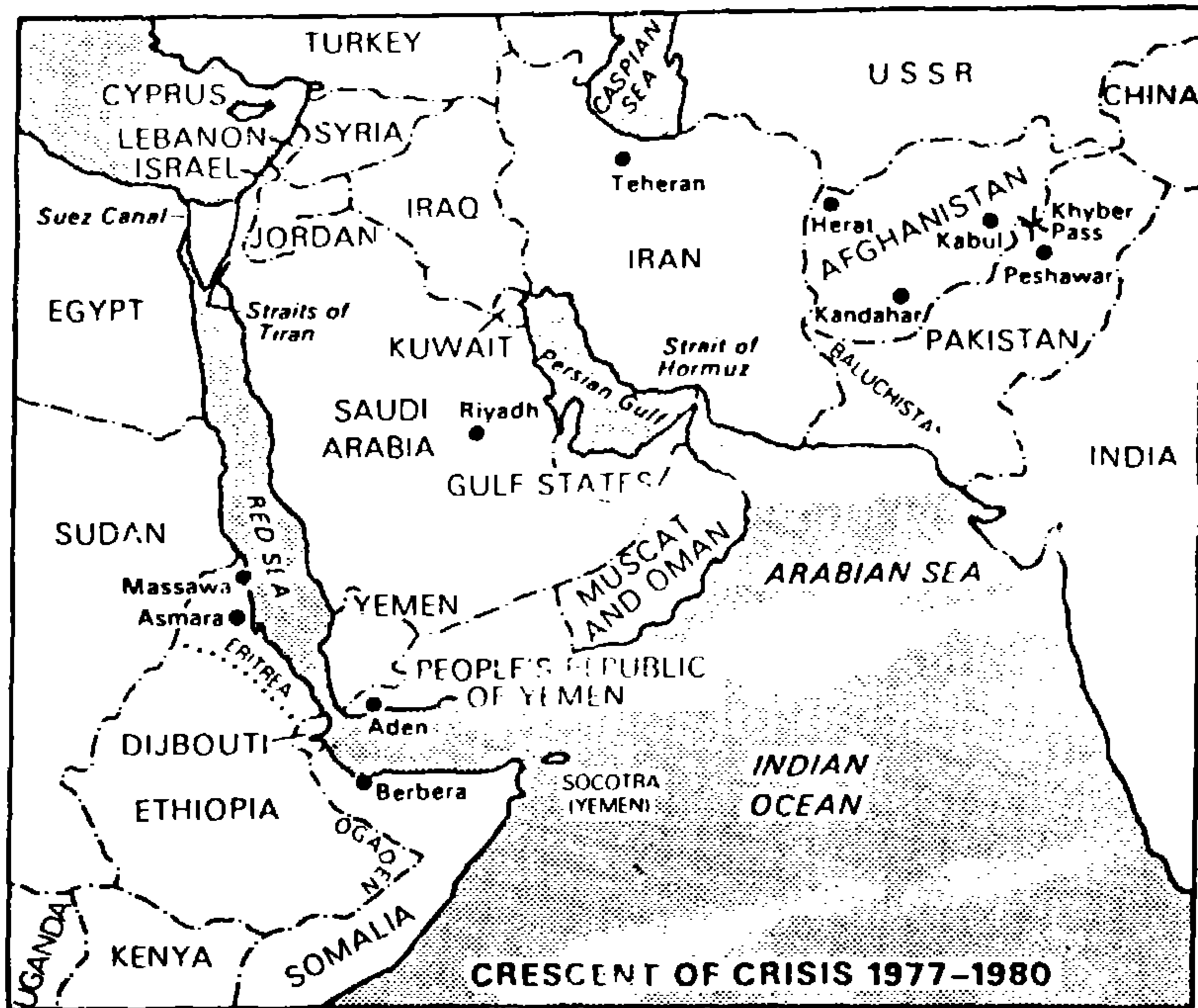
تعديل للائحة التجارية التي طالبت الاتحاد السوفياتي بتسهيل هجرة اليهود واعطائهم وعداً بأن يمنحوا عددا معيناً من اذونات الخروج كل عام . وهذا التعديل الذي كاد كيسنجر يقنع السوفيات بقبوله ، قد حظي بذيوع وانتشار مفرط ، بحيث أن السوفيات اذا قبلوه ، فانهم سيبدون وكأنهم استسلموا للضغط الامريكي حول مسألة تخص السياسة الداخلية السوفياتية . وثانياً : ان الكونغرس الامريكي قرر في كانون الاول سنة ١٩٧٤ ان يخصص بنك الاستيراد والتصدير الامريكي مبلغ ٣٠٠ مليون دولار كحد أعلى بمثابة قرض للاتحاد السوفياتي لمدة اربع سنوات . وهكذا كانت الصفقة أقل جاذبية : فقد اعتقد الروس أن القروض الفرنسية والالمانية واليابانية والبريطانية وفرت بدائل للقرض الامريكي . وعلى أية حال فان الزيادة العامة في اسعار المواد الخام سنة ١٩٧٤ كان معناها أن مكاسب السوفيات من الصادرات أصبحت اكثر وبالتالي أصبحوا أقل احتياجاً للقرض . وتحت تلك الظروف حان الوقت لتذكير الامريكيين أن الاساليب الخشنة واستخدام الابتزاز في التعامل مع روسيا ستؤدي الى نتائج عكسية (كان كيسنجر يعرف ذلك دائماً لكنه لم يستطع اقناع جاكسون كما هو واضح) . كما أن ادخال عنصر القلق الى الوفاق قد يقنع الامريكيين بالعودة الى اساليب الملاطفة . وفي هذه الناحية فان من اللافت للنظر أن نلاحظ أنه بينما بقيت الصحافة السوفياتية ساكتة بصورة واضحة ازاء وترغيت « وزعزعة » وكالة المخابرات المركزية الامريكية لنظام الليندي في تشيلي سنة ١٩٧٣ ، الا انها نددت بقول كيسنجر في كانون الاول سنة ١٩٧٤ أن من الممكن استخدام القوة من قبل امريكا ضد منتجي النفط في الشرق الاوسط اذا ما حاولوا « خنق » الغرب بفرض مقاطعة نفطية .

وقضى كيسنجر والامريكيون شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٥ يساورهم القلق من أنه اما أن السيد برجنيف السكرتير الاول للحزب الشيوعي كان غاضباً من اخفاق امريكا في تسليم بضائع بناء على الاتفاقية التجارية أو أن برجنيف أبن الثمانية والستين عاما كان مريضاً وفاقداً لسيطرته على الكرملين .

وعندما حل برجنيف محل خروشوف كان هناك تصلب مؤقت في المواقف السوفياتية . ولكن رغم أن الغربيين كثيراً ما افترضوا أن الوفاق السوفياتي كان من صنع برجنيف وان هذا الوفاق سوف يعاني على أيدي خلفائه ، الا أن الجدير بالملاحظة أن العكس هو الذي حصل بعد وفاة ماو .

ومن المؤكد انه تجمع في روسيا وامريكا ، في الشرق وفي الغرب ، جماعات ضغط هامة وملتزمة بالوفاق . وكلما توسعت شبكة الاتصالات بين الشرق والغرب وازداد حجم التجارة ، اصبح من المحتمل أن تكون النتائج الاقتصادية لاية نهاية للوفاق خطيرة جداً ولا سيما بالنسبة للكتلة الشرقية ، غير أن الحجة الامريكية القائلة أن ازدياد التجارة السوفياتية يقلل من احتمالات الحرب حجة موضع شك دائماً . ففي اوائل سنة ١٩١٤ كانت بريطانيا والمانيا اكبر المتعاملين معاً في التجارة . ورغم الفوائد المسلم بها للوفاق ، فأن الخصائص السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لم تتغير . وبقي الكثير من المتشددين في الكرملين وفي البنتاغون ممن كانت تخالجهم شكوك عميقة حول اتفاقيات التسلح بصورة خاصة والوفاق بصورة عامة .

خارطة / ١٥


TURKEY
USSR
CHINA
CYPRUS
LEBANON
SYRIA
ISRAEL
Teheran
IRAQ
Suez Canal
JORDAN
IRAN
AFGHANISTAN
Herat
Kabul
Khyber Pass
Peshawar
EGYPT
Straits of Tiran
Kandahar
KUWAIT
Strait of Hormuz
PAKISTAN
Persian Gulf
BALUCHISTAN
SAUDI ARABIA
Riyadh
INDIA
GULF STATES
SUDAN
RED SEA
MUSCAT AND OMAN
ARABIAN SEA
Massawa
Asmara
YEMEN
ERITREA
PEOPLE'S REPUBLIC OF YEMEN
Aden
DIJBOUTI
SOCOTRA (YEMEN)
INDIAN OCEAN
Berbera
ETHIOPIA
OGADEN
UGANDA
KENYA
SOMALIA
CRESCENT OF CRISIS 1977–1980

الفصل العشرون

ما بعد الوفاق
١٩٧٥ - ١٩٨٠ م

عندما ترك كل من جيرالدفورد ووزير خارجيته هنري كيسنجر منصبه في كانون الثاني سنة ١٩٧٧ كان الوفاق قد اخفق في تحقيق الامال التي نتجت عن وعد نيكسون « بعصر جديد من السلام » . الا أن الوفاق قد حقق تقدماً ملموساً على ما يبدو في مجال واحد على الاقل .

ففي آب سنة ١٩٧٥ وقعت ثلاث وثلاثون دوله اوروبية (باستثناء البانيا) ومعها الولايات المتحدة وكندا الصيغة الاخيرة من اتفاقية الامن والتعاون الاوروبي في هلسنكي ، وكانت المفاوضات من أجل هذه الاتفاقية قد بدأت قبل عامين من ذلك التاريخ . واعترفت المعاهدة بحدود اوروبا . كما تخلت المانيا الغربية عن ادعائها بانها الدولة الالمانية الشرعية الوحيدة . وحصلت اوروبا في النهاية على ما كان بمثابة معاهدة صلح خاصة بالحرب العالمية الثانية وحصلت موسكو على اعتراف رسمي بالوضع الراهن من الناحية الاقليمية . ومقابل ذلك وافقت جميع الدول الموقعة على اعطاء اشعار لجيرانها مدته واحد وعشرون يوماً قبل القيام بمناورات عسكرية قرب حدودهم . وحصل الغرب على قبول من الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية بالشروط التي تضمن مزيداً من حرية الحركة للاشخاص والافكار والصحافة . واشترطت فقرة من الصيغة الاخيرة لاتفاقية هلسنكي على أن الدول المشتركة سوف تحترم الحقوق الانسانية والحريات الاساسية بما في ذلك حرية الفكر والضمير والمعتقد للجميع دون تمييز يقوم على العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين » . وقد اقتربت اتفاقية هلسنكي اكثر من اي شيء آخر من تحديد فكرة الرأي الغربي وبعض

الحكومات عن الوفاق ، بيد أن تأثيره في اعطاء مزيد من الصيغة الليبرالية أو التحررية للنظام السوفياتي ولدت ميته .

وقد وضعت جماعات مراقبة منبثقة عن اتفاقية هلسنكي في الاتحاد السوفياتي وبولندا والمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا ، ولكن بحلول نهاية العقد فان الكبت الداخلي الذي كان شرطاً سوفيتياً مسبقاً للوفاق أسكت تقريباً كل اولئك الذين رفعوا اصوات الاحتجاج . وفي شتاء سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٧٨ لم يحقق مؤتمر بلغراد لمراجعة اتفاقية الامن والتعاون الاوروبي اي انجاز ، كما لم تتمخض المحادثات الموازية التي جرت في فينا حول تخفيض القوات المتوازن والمتبادل عن أي شيء ذي قيمة بل استمرت بصورة متقطعة بعد دخول عقد الثمانينات .

كما أن ادارة فورد عجزت عن ابرام اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية (معاهدة سالت الثانية) وفي سنة ١٩٦٧ كانت الولايات المتحدة أيام الرئيس جونسون قد توقفت عن التوسع في عدد صواريخها وركزت بدلا من ذلك على التحسين النوعي لاسلحتها النووية . (فقد تم على سبيل المثال في عهد نيكسون تطوير الصواريخ ذات الرؤوس الحربية المتعددة ، وقاذفات قنابل جديدة بعيدة المدى مثل ب / ١ وصواريخ كروز الرخيصة البالغة الدقة وهي الصورة الحديثة للصواريخ الالمانية ف / ١ التي ظهرت في الاربعينات) . ولكن بحلول سنة ١٩٧٦ كان الروس قد اجروا تجارب على صاروخ متعدد الرؤوس الحربية ، وانزلوا الى الميدان قاذفة قنابل جديدة وهي باكْفَيْرْ ووضعوا في الخدمة أول حاملة طائرات لهم وهي « كييف » . ومع أن التفوق السوفياتي الكمي في دبابات القتال في اواسط اوروبا والتفوق العددي والوزن التدميري في صواريخهم العابرة للقارات كان يقابله التفوق الامريكي في عدد الرؤوس الحربية ودقة وسائل حملها ، الا أن الولايات المتحدة اخذت تتساءل عن امكانية ادامة تفوقها التكنولوجي على الاسلحة السوفياتية وكيف يمكنها أن تواجه التوسع السوفياتي في الاسلحة البحرية .

واوضح امثلة هذا التوسع البحري كان الدعم السوفياتي لحركة التحرير الشيوعية الانغولية المسماه(.M. P. L. A) التي كان يتزعمها أوغستينو نيتـو . وبينما كانت وزارة الخارجية الامريكية ايام كيسنجر تمـول سرا حركة هولـدن روبرتو غـير الشيوعية(.F. N. L. A) أو الجبهـة الـوطنية لتحـرير انغـولا ، ونشطت وكالة المخابرات المركزية الامريكية في زائير ، كان السوفيات ينقلون بالسفن القوات الكوبية الى انغولا من أجل أن يضمنوا ظهـور حكم ماركسي عندما يغادر البرتغـاليون بلـداً ذا امـكانيات كبـيرة في ثروتـه النفـطية والماس والمعادن . وفي كانون الاول سنة ١٩٧٦ كان الكونغرس حذراً من الوقوع في شباك فيتنام اخرى فصوت مؤ يداً قطع كافة المساعدات المباشرة وغير المبـاشرة للجبهة الوطنية لتحرير انغولا . ووصل عدد الكوبيين الذين أخذوا يصلون في اواخر تشرين الاول سنة ١٩٧٥ الى انغولا عشرين الفاً في ربيع عام ١٩٧٦ م . وكانت واشنطن قد تعودت على مراقبة مكائد الشيوعين الكوبيين في نصف الكرة الغربي . ولكنهـا اخـذت على حـين غرة في هذه المرحلـة من سياسـة هافانـا الخارجية . وفي نفس الوقت الذي رفض فيه كاستـرو امـكانية حدوث وفـاق كوبي امريكي ، قرر مساعدة قوى التحرر في الوطـن الافريقـي ، وفي ذات الوقت كسب امتنان موسكو التي كان يعتمد الاقتصاد الكوبي على معوناتها . وقد شعرت واشنطـن بالقلـق بسبـب ما دعـاه كيسنجـر بسياسـة المغامـرات السوفياتية في انغولا يضاف اليها نفوذ المستشارين السوفيات في الصومال وفي دولة موزمبيق الماركسية الحديثة الاستقلال والتي كانت تابعة للبرتغال سابقاً . كذلك فقد شعرت الحكومة الامريكية أنها لا تزال مقيدة بسبب قلق شعبها من احتمال اي تورط مستقبلي في الحروب الاهلية في العالم الثالث ، وقد تأكد نجاح الاهداف السوفياتية في الهند الصينية باعادة توحيد فيتنام سنة ١٩٧٦ الذي تبعه معاهدة الدفاع بين موسكو وهانوي والتي وقعت في خريف سنة ١٩٧٨ وهي معاهدة سببت من الذعر في بكين بقدر ما سببت في واشنطن ان لم يكن اكثر .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٧ تسلم جيمي كارتر وهو من رجال الحزب

الديمقراطي رئاسة الولايات المتحدة . واصبح سايروس فانس وزيراً للخارجية وزبيغنيو بريجنسكي مستشاراً لشؤ ون الامن القومي . بذلك بدأ كارتر فصلاً جديداً في السياسة الخارجية ، وقد فوجيء في آذار بانه نجح في كسب عداء الروس بأن قدم لهم صيغة منقحة لاتفاقيات تمت في مدينة فيلاديفستوك لمشروع معاهدة سالت الثانية وتحتوي الصيغة المنقحة على تخفيض في عدد الصواريخ العابرة للقارات والصواريخ المتعددة الرؤ وس . كما افترضت هذه الصفقة تخفيض عدد الصواريخ السوفياتية من طراز س / ٢٠ التي يصل مداها كافة انحاء اوروبا . ولكن اقترحت ايضاً توقف اي قرار حول قاذفة باكفاير السوفياتية وصاروخ كروز الأمريكي . ولم يكن السوفيات مستعدين للاندفاع لتوقيع معاهدة سالت / ٢ معدلة ، كما كانوا ناقمين على موقف كارتر من قضايا حقوق الانسان في الاتحاد السوفياتي ولا سيما دعمه المكشوف لاندريه ساخاروف العالم الفيزيائي السوفياتي الحائز على جائزة نوبل واحد مؤ يدي اتفاقية هلسنكي .

وكان رئيس امريكا الجديد ، وهو المعمداني المتحمس ، يأمل في رفع المستوى الاخلاقي لاسلوب امريكا في التعامل مع الدول الاخرى ، بأن يؤ كد الحقيقة القائلة أن علاقات الولايات المتحدة الخارجية مع أية دولة ستقوم الى حد ما على أسلوب تناول تلك الدولة لقضية الحقوق الاساسية لمواطنيها كحرية الانتخابات وحرية الكلام والاجتماع والتحرك ووجود نظام تشريعي عادل منصف . وبالرغم من الدهشة الظاهرية لواشنطن من ردود الفعل المعادية من بعض حلفائها كالفلبين وصعوبة تنفيذ هذه المبادىء مع الحلفاء الاستراتيجيين الاساسيين كايران وكوريا الجنوبية الا أن رد الفعل السوفياتي كان من الواجب توقعه . فقد اعتبرت موسكو محاولة كارتر لربط العلاقات الدولية بمعاملة النظام السوفياتي لمواطنيه تدخلاً سافراً في الشؤ ون الداخلية السوفياتية .

وأخذ قلق موسكو يزداد من الطابع الغريب للقرارات الصادرة عن البيت الأبيض في أيام كارتر ، ففي أيار سنة ١٩٧٧ تمكّن كارتر من إقناع حلف

شمال الاطلسي بزيادة المصروفات الدفاعية بمقدار ٣ ٪ سنوياً . لكنه ألغى برنامج القاذفة ب / ١ في الشهر التالي .

ولم يشمل القرار أياً من الصفقتين اللتين كان يمكن أن يحاول كيسنجر أو نيكسون إبرامهما لو كانا في السلطة .

كذلك فقد أجّل كارتر في نيسان سنة ١٩٧٨ نشر سلاح جديد مصمم للجبهة الاوروبية وهو سلاح الاشعاع المكثّف أو قنبلة النيوترون . وكان هذا السلاح يقوم على إشعاع النيوترون القصير المدى والعالي ، وهو ذو حرارة وعصف منخفضين ، وقد صمّم للتعامل مع التشكيلات المدرّعة الكبيرة أو الأهداف العسكرية الأخرى في ميادين القتال الكثيرة السكان وذات المناطق المبنية مثل ألمانيا الغربية حيث من المرغوب تحديد الضرر الجانبي الذي قد يلحق بالأهداف المدنية . وما أن وافقت الحكومتان البريطانية والألمانية على نشر هذا السلاح حتى شنت موسكو حملة استنكار وشجب تقوم على الرأي القائل بأن سلاح الاشعاع المكثّف الجديد (قنبلة النيوترون) كان يقضي على الأشخاص ويترك الممتلكات دون أن يصيبها بأذى ، وبذلك كان السلاح الرأسمالي النهائي . وجاء قرار كارتر بعدم السير قدماً في نشر قنبلة النيوترون دون تشاور كافٍ مع حلفاء الولايات المتحدة ولا سيما ألمانيا الغربية التي أبدت امتعاضها من قرار كارتر من جانب واحد تأجيل نشر هذا السلاح رغم أن وزير الخارجية فانس هو الذي اقنعها بالموافقة عليه .

ولا بد من الافتراض أن تحركات كارتر كانت تستهدف تمهيد الطريق نحو اتفاقية سالت الثانية التي كان الروس لا يزالون يرغبون فيها . وذلك بسبب مخاوفهم من الصواريخ الامريكية التي من طراز كروز وبسبب الأبحاث التي كان يجريها البنتاغون الامريكي (مقر وزارة الدفاع) على جيل جديد من الصواريخ المتنقلة العابرة للقارات وهي سلسلة م اكس / MX ـ التي كان سيجري تركيبها على طرق حديدية تحت الأرض . ولكن بالنظر لاستمرار مفاوضات سالت فقد أصبحت أمريكا قلقة حول ما بدا وكأنه مرحلة جديدة من

التوسع في السياسة الخارجية السوفياتية .

وكان الكوبيون في أنغولا متورطين في عمليات ثورية في دولة زائير المجاورة سنة ١٩٧٨ . وفي ذات الوقت فإن ناميبيا إلى الجنوب من أنغولا ، كانت تحتلها جنوب افريقيا وكانت مشهداً لحروب ثورية يسارية بتدبير من سوابو(S.W.A.P.O.) (منظمة جنوب غرب افريقيا الشعبية) . وإلى الشمال أصبح السوفييت والكوبيون متورطين في أثيوبيا التي اتجهت نحو اليسار بعد سقوط الامبراطور هيلاسيلاسي سنة ١٩٧٤ . وفي سنة ١٩٧٨ قام الجنود الكوبيون بمساعدة الحكومة الاثيوبية في حربها مع الصومال المجاورة (التي كانت قد سلّحت الثوار الصوماليين الوطنيين في مقاطعة أوغادين التابعة لاثيوبيا) ثم شرع الكوبيون في مساعدة أديس أبابا ضد الثوار الارتيريين على ساحل البحر الأحمر .

وعلى الجانب الآخر من البحر الأحمر تقع جمهورية اليمن الشعبية الماركسية (وكانت تسمى سابقاً عدن البريطانية) . وكان حضور السفن الحربية الروسية (التي قصفت أحياناً المواقع الاريترية) في منطقة حساسة للتجارة البحرية باعثاً على قلق الغرب . (وكانت السفن الحربية توجد على الطريق التجاري في البحر الأحمر وقناة السويس وعلى مقربة من الطريق بين الخليج « الفارسي » والساحل الافريقي حيث تسير ناقلات النفط العملاقة المتجهة إلى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح . وفي سنة ١٩٨٠ كان الاسطول السوفياتي يتمتع بتسهيلات بحرية في « مصوع » التابعة لاثيوبيا ، وكذلك في عدن وعلى جزيرة سوقطره اليمنية . كذلك فإن اليمن الجنوبية الثورية أخذت في أواخر سنة ١٩٧٩ تهدد اليمن الشمالية غير الشيوعية والتي كانت السعودية تهتم بأمنها أبلغ الاهتمام . وهكذا فقد أصبحت أمريكا بانتهاء سنة ١٩٧٨ تشعر بحساسية خاصة للاخطار الاستراتيجية في القرن الافريقي . وعندما كان انتباه واشنطن مركزاً على هذه المنطقة حدث إنقلاب ماركسي في أفغانستان في نيسان سنة ١٩٧٨ وخلق قلقاً متزايداً في واشنطن .

وأخذت تنطلق رسائل من البيت الأبيض شعارها « إلى هنا فقط ولا أكثر » في سنة ١٩٧٨ تتعلق بسلامة الصومال الاقليمية مثلاً . وكان كارتر قد وعد خلال انتخابات سنة ١٩٧٦ بسحب الأربعين ألف جندي امريكي من كوريا الجنوبية . ولكن بحلول سنة ١٩٧٨ لم يعد يعتقد بحكمة هذه الخطوة ، وفي أوائل الستينات كان جون ف. كنيدي قد وصف موقف خروشوف على سبيل التندر والسخرية « ما هو لي ، هو لي ، أما ما هولك فقابل للتفاوض » . وقد تقبل كارتر تحليل كنيدي عندما رأى الروس متورطين بشدّة في أثيوبيا وأنغولا ووكلاءهم الألمان الشرقيين في اليمن الجنوبي ووكلاءهم الكوبيين في أحد عشر قطراً افريقياً .

وبعد حرب يوم الغفران نجحت أمريكا في تجميد السوفيات وإبعادهم عن المفاوضات المصرية الاسرائيلية . وفي قمة كامب ديفيد في أيلول سنة ١٩٧٨ ، إتفق السادات رئيس مصر وبيغن رئيس وزراء اسرائيل على معاهدة سلام أعادت معظم شبه جزيرة سيناء إلى مصر بحلول سنة ١٩٨٠ والبقية قبل إنتهاء سنة ١٩٨٢ . وفي شباط سنة ١٩٨٠ تبادل البلدان رسمياً السفراء وإن كانت هناك مشكلات لا تزال بحاجة إلى تسوية مثل قضية المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة والحكم الذاتي للفلسطينيين في غزّة والضفة الغربية المحتلتين .

وجاء نجاح جديد لكارتر عندما اعترفت الولايات المتحدة بجمهورية الصين الشعبية اعترافاً رسمياً وتبادلتا السفراء . وسار كل من الرئيس هواكوفنغ ودنغ كسياوبنغ (خليفتي ماوتسي تونغ الذي كان قد توفي في أيلول سنة ١٩٧٦) على نهج سياسة ماو في معاداة ما اعتبر سياسات هيمنة توسعية وامبريالية للسوفيات واتباعهم . وفي شباط سنة ١٩٧٩ قامت الصين بمهاجمة فيتنام حليفة موسكو ويعود ذلك إلى أن فيتنام أطاحت في كانون الأول سنة ١٩٧٨ ببول بوت وحكم الخمير الحمر في كمبوتشيا (كمبوديا) وهو نظام موال للصين ، كما يعود أيضاً إلى تدهور العلاقات نتيجة لنزاعات الحدود وموقف

هانوي من الموجودين في فيتنام من أصل صيني . وفي الفترة بين ١٩٧٥ ونهاية سنة ١٩٧٩ غادر فيتنام وكمبوتشيا ما يقارب ٩٠٠ ألف صيني . وقد استقبلت الصين ٢٥٠ ألفاً من الصينيين من فيتنام كما قبلت الولايات المتحدة ما يزيد عن ٢١٠ آلاف فيتنامي من « جماعات السفن والقوارب » (أو اللاجئين الذين فرّوا من الهند الصينية بحراً عن طريق بحر الصين الجنوبي)[1] . وثمة مجموعات أخرى من جماعات السفن والقوارب وصلوا الملايو وأندونيسيا وهونغ كونغ بل واستراليا وتمّ توطين البعض في أوروبا الغربية . وجاءت قصص الفظائع التي ارتكبها الخمير الحمر في كمبوتشيا مع تدخل فيتنام هناك ، وهرب عدد كبير من الفيتناميين إلى عرض البحر من جنوب شرق آسيا حيث خاطروا باحتمال هلاكهم إما غرقاً أو بيد القراصنة ، هذه القصص جاءت لتؤكد ـ ولو جزئياً على الأقل ـ الدعاية الامريكية ضد هانوي والخمير الحمر في الستينات وأوائل السبعينات .

بيد أن أي اغتباط شعرت به واشنطن من مشاهدتها للتفكك الشيوعي في الهند الصينية ، تعرّض للزوال بسبب تطور الأزمة في جنوب غرب آسيا في أفغانستان وايران .

وكان شاه إيران حليفاً مخلصاً للولايات المتحدة طيلة سبعة وثلاثين عاماً وحظي بتأييد رؤساء الجمهورية من فرنكلن روزفلت فصاعداً . وفي سنة ١٩٥٣ كانت وكالة المخابرات المركزية قد نظّمت انقلاباً لاعادته إلى السلطة بعد أن مكث ستة أيام في المنفى . وفي سنة ١٩٧٢ كان نيكسون قد أعلن أن الشاه سوف يحلّ محل بريطانيا كشرطي لمنطقة الخليج « الفارسي » وأخذ يزوّد إيران بالأسلحة المتطورة . ومع أن إيران لم تزوّد الولايات المتحدة الا بـ ٥ ٪ من حاجتها من النفط إلا أنها كانت تنتج ستة ملايين برميل من النفط يومياً سنة ١٩٧٨ واعتبرت بذلك حليفاً هاماً للغرب ضمن كتلة دول أوبيك (منظمة الدول المصدّرة للنفط) . ولكن في سنة ١٩٧٨ ازداد الحماس الاسلامي ضد سياسة الشاه الموالية للغرب وضد حكمه الدكتاتوري ووجدت واشنطن نفسها

عاجزة عن تقديم العون له وحتى لو كانت الولايات المتحدة مستعدة للمخاطرة بالدفاع عن دكتاتور ضعيف ضد التذمر الشعبي الواسع النطاق ، فإنه لم يكن في وسع وكالة المخابرات المركزية التي أضعفتها قيود الكونغرس بعد التحقيقات التي أجرتها لجان مجلس الشيوخ سنة ١٩٧٥ ، ولا في استطاعة القوات المسلحة الامريكية التي كانت عاجزة عن النشر السريع للقوات البرّية في المنطقة ، أن تتدخل بفعالية .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٩ فرّ الشاه إلى الخارج وسمح له في النهاية بدخول أحد مستشفيات نيويورك للمعالجة من السرطان . وقد استشاط كثير من الايرانيين غضباً من عمل كارتر الانساني إذ اعتبروه إهانة لثورتهم وخافوا أن يتبع ذلك منح حق اللجوء السياسي الكامل لحاكم اعتبروه طاغية ومجرم حرب بل اعتقدوا أو حاولوا الاعتقاد أن أمريكا قد تفكّر في إعادة الشاه وتنصيب ابنه على العرش إذا نجح جواسيس وكالة المخابرات المركزية والسفارة الأمريكية في مهمتهم المزعومة في قلب نظام الحكم الجديد . وفي تشرين الثاني سنة ١٩٧٩ استولى الطلاب الثوريون على السفارة الامريكية في طهران واحتجزوا ستين رهينة وذلك بمساعدة تاليه من حكومة رجل الدين آية الله الخميني . وقد أطلق سراح بعض الرهائن فيما بعد (وهم السود والنساء ـ بحكم أن السود يمثلون الأقليات المضطهدة في أمريكا) . إلا أن حوالي تسعة وأربعين أمريكياً كانوا لا يزالون محتجزين في نيسان سنة ١٩٨٠ عندما حصلت محاولة أمريكية فاشلة لانقاذهم . فطالب الايرانيون بطرد الشاه (الذي حصل على اللجوء السياسي في بنما أول الأمر ثم في مصر بعدئذٍ) . وإعادة ثروته الموجودة وراء البحار مع تحقيق تجريه هيئة الامم في أعمال التعذيب التي يقال أن السافاك أو رجال شرطة الشاه السرّية ، قد ارتكبوها خلال حكمه ، ومع أن حزب توده الشيوعي الايراني لم يكن المستفيد المباشر من عزل الشاه إلا أن ظهور إيران اسلامية متحمسة ، ومعادية للامريكيين وغير مستقرة أضعف موقف أمريكا في الشرق الأوسط ، كما أن العربية السعودية ازدادت مخاوفها ليس فقط مما ظهر لها على انه

سلسلة من الهزائم لحاميتها الغربية (الولايات المتحدة) ، بل وبسبب ازدياد التعصب الشيعي في العالم الاسلامي وزادت حدة التوتر من استيلاء المتطرّفين على الحرم المكّي لفترة من الوقت وذلك في تشرين الأول سنة ١٩٧٩ . وقد شعر بعض السعوديين أن إنتاجهم النفطي البالغ تسعة ملايين برميل يومياً ، وهو أعلى إنتاج في أوبيك ، كان يأتي بثروة أكثر مما ينبغي لتلك المملكة الصحراوية وأن خطوات التغير التي انطلقت قد تطيح باستقرار الحكم .

وكان هناك عامل آخر أثّر في التوازن بين القوّتين الأعظم . إذ أن تخلّي موسكو عن سلفادور الليندي في تشيلي والرئيس زياد برّي في الصومال لم يجعل التزام الاتحاد السوفياتي نحو أصدقائه موضع تساؤ ل . غير أن عام ١٩٧٩ شهد أمريكا وهي تدير ظهرها لاثنين من أخلص حلفائها . إذ أنها تخلت عن تايوان باعترافها بجمهورية الصين الشعبية وكذلك لم تقدم معونة للشاه بصرف النظر عن إمكان مساعدته أو إستحالة ذلك . ولوحظ أن الولايات المتحدة كانت تنحني أمام القوة القاهرة الشعبية من النوع الذي أطاح بسوموزا دكتاتور نيكاراغوا في تموز سنة ١٩٧٩ وكاد يطيح بالجنرال موبوتو في زائير كما كان بمثابة تهديد محتمل لعدد من حلفاء وأتباع أمريكا المستبدين في نصفي الكرة الشرقي والغربي .

وفي أيلول سنة ١٩٧٩ جاءت أزمة مصغّرة أخرى لتلحق الأذى بالوفاق عندما قدّمت واشنطن شكوى شديدة اللهجة من وجود ما وصفته بلواء من ثلاثة آلاف مقاتل سوفياتي . في كوبا (مقابل وجود الستة آلاف « خبير » تقريباً الذي كانت واشنطن مستعدة لقبول وجودهم) . إلا أنه سرعان ما اتضح أن مصلحة الاستخبارات الامريكية لم تعرف كم مضى على وجود القوة السوفياتية في كوبا ، الأمر الذي ألقى بالشكوك على فعاليتها في الاستطلاع وأساليبها في التحقق من الأمور بشكل عام . وبالطبع فقد كان التحقق عن طريق أقمار التجسس عنصراً أساسياً في أيّة اتفاقية سالت / ٢ جديدة . ومع أن العاصفة انتهت بسلام إلا أن ذلك تمّ دون تنازلات سوفياتية (رغم أن كارتر كان قد قال

بوضوح في المراحل الأولى من الأزمة انه لا بد للروس من إخراج اللـواء من كوبا) . واستغل نقّـاد اتفاقيات سالت /٢ العناد السوفياتي فحالوا دون إقرار تلك المعاهدة أثناء عملية التصديق عليها في مجلس الشيوخ .

وعينـت المعاهـدة حداً أعلى من (٢٢٥٠) قاذف صواريخ لكل من الدولتين العظميين (أي أقـل من الـ (٢٤٠٠) قاذف التـي اتفـق عليهـا في فلاديفستك) وكذلك حداً أعلى من (١٣٢٠) من جميع حاملات الصواريخ ذات الرؤ وس الحربية المتعددة . كما حددت بثلاثمائة عدد الصواريخ الثقيلة مثل صواريخ س س /١٨ السوفياتية . (ولـم يكن لدى الـولايات المتحـدة صواريخ بهذه الضخامة لأنها كانـت تفضـل التخصص في إنتـاج الصـواريخ الأصغر حجماً والأكثر دقّة) . ومن ناحية نظرية ، وضعت هذه الشروط حدّاً أقصى مقداره حوالي (٩٠٠٠) على الرؤ وس الحربية الموجودة في قواعد برّية والتي يستطيع الروس استخدامهـا في مواجهـة قوة الصـواريخ الامـريكية من طراز مينتمان . وأتاح هذا الأمر احتمال تعريض صواريخ مينتمان للخطر رغم أن نظرية الردع تقول أن أي هجوم سوفياتي سيثيـر رداً انتقامياً من الغوّاصات والقاذفات الاستراتيجية الامريكية ، وكذلك من قاذفات القنابل والصواريخ المتمركزة في أوروبا وعلى حاملات الطائرات . كما افترض أي هجوم سوفياتي أن أمريكا لن تطلق صواريخها الموجودة على الأرض في حالـة الإنـذار بقـدوم ضربـة نووية إليها . وعلى أي حال فإن الولايات المتحدة صمّمت على نشر صواريخ أم اكس (MX) المتنقلـة والأقـل تعرضـاً للاصابـة وذلك في عقـد الثمانينـات . كما أن برتوكولا ملحقاً بإتفاقية سالت /٢ (ونافذ المفعول حتى سنة ١٩٨٢) منع نشر صواريخ كروز التي تطلق من الأرض والبحر والتي يتجاوز مداهـا ثلاثمائـة وسبعين ميلاً . فأدّى هذا إلى إزعاج الاوروبيين الغربيين الذين شعروا أنهـم محرومون في هذه الحالة من أية مقاومة فعّـالة لصواريخ س س / ٢٠ . ومـن المفارقات أنه عند توقيع معاهدة سالت / ١ كان الأمريكيون والاوروبيون هم المهتمون بالحيلولة دون إدراج الأسلحة ذات المدى الاوروبي (وكذلك أسلحة

الردع البريطانية والفرنسية) في مفاوضات سالت . وبالطبع فإن معاهدة سالت / ٢٠ لم تمنع أياً من القوّتين الأعظم من زيادة الانفاق على تحسين نوعية أنظمة أسلحتها مثل دقة إصابة الصواريخ ـ أو على أنواع جديدة من الوقود أو الآلات أو سبائك المعادن .

بينما كان الشيوخ الامريكيون يبحثون التوازن الاستراتيجي الشامل في كانون الأول سنة ١٩٧٩ ، قرّر مجلس حلف شمال الاطلسي أن نشر الروس لحوالي خمسين قاذفة من طراز باك فير(Backfire) وأكثر من ١٥٠ صاروخ س س / ٢٠ كان أمراً بحاجة إلى الرد . ومن أجل رفع مستوى الأسلحة النووية الخاصة بمسرح العمليات والتابعة لحلف شمال الاطلسي ، صدرت توصية بوجوب وضع ما يقارب ٥٧٢ صاروخاً من طراز بيرشنغ /٢ وصواريخ كروز الموجودة في القواعد الأرضية في أوروبا قبل نهاية سنة ١٩٨٣ . وكان البرنامج برمته سيكلّف أمريكا خمسة مليارات دولار . أما الصواريخ فمع أن الامريكيين يقومون بتشغيلها ، إلا أنه كان مقرراً وضعها في ألمانيا الغربية وبريطانيا وإيطاليا وربما بلجيكا . وقد صمم الصاروخان ومداهما ١٠٠٠ ميل و ١٥٠٠ ميل على التوالي من أجل سدّ الثغرة بين الصواريخ القصيرة المدى مثل لانس ، والعابرة للقارات مثل منيتمان . وبعبارة أخرى كان عليها توفير رادع حقيقي لهجوم سوفياتي نووي أو تقليدي على أوروبا الغربية دون أن يضطر حلف شمال الاطلسي إلى زيادة المخاطر النووية بالتهديد بشنّ هجوم استراتيجي على الاتحاد السوفياتي من قلب الأرض الامريكية أو تنفيذ هذا التهديد . وتقول وجهة النظر السوفياتية بالطبع ، أنه بينما كانت صواريخ س س / ٢٠ السوفياتية قادرة على إصابة بريطانيا دون أن تبلغ الولايات المتحدة ، فإن صواريخ كروز التي تطلق من المملكة المتحدة قادرة على الوصول إلى الاتحاد السوفياتي .

وكانت حركة حلف شمال الاطلسي لافتة للنظر لأنها جاءت إضافة إلى التزام صدر سنة ١٩٧٧ برفع مصروفات الدفاع بنسبة ٣ ٪ سنوياً بصورة حقيقية (أي بالإضافة إلى التضخّم) . وإن قبول هذه المجموعة من الأقطار

المستقلة ضرورة اتخاذ قرار باهظ النفقات وغير متمتع بشعبية سياسية من أجل إعادة تجهيز قواتها ، قد أشار بوضوح إلى إدراكها المشترك للتهديد الحقيقي . ولم يكن ممكناً التفكير في هذا العمل قبل خمس سنوات من ذلك الحين . ولكن بحلول سنة ١٩٧٩ كان الاتحاد السوفياتي يجني ثمار أكثر من عقد من السنوات رفع فيها مصروفه الدفاعي بين ٣ ٪ و ٥ ٪ سنوياً وبصورة حقيقية . وكان الاتحاد السوفياتي يتمتع بالقدرة على ضربة نووية بعيدة المدى تكاد تفوق مثيلتها الامريكية ، وترسانة من الأسلحة النووية القصيرة المدى تهدّد بالسيطرة على أوروبا مع قوات تقليدية متفوّقة على قوات حلف شمال الاطلسي الاوروبية وآخذة في تسليحها تسليحاً أفضل من قوات الاطلسي .

وظهرت في الأفق « إمكانية فرصة » . وكانت هذه هي فترة السنوات الأربع أو نحوها في أواسط الثمانينات عندما قدّر أن التفوق العسكري السوفياتي كان في قمّته قبل نشر أنظمة الأسلحة الغربية مثل صاروخ أم أكس وغوّاصات ترايدنت بأعداد كافية لمواجهة هذا التهديد . وفي أوائل أيلول سنة ١٩٧٩ حذّر وزير الخارجية الامريكية السابق كيسنجر بقوله « إذا استمرت الاتجاهات الحالية ، فإن الثمانينات ستصبح فترة أزمة كبيرة لنا جميعاً . ولم يحدث قط في التاريخ أن حققت أمة تفوقاً في جميع أصناف الأسلحة البارزة دون أن تحاول استغلال ذلك في سياستها الخارجية »[٢] . وإن التفوّق الروسي في الأسلحة التقليدية في أوروبا ($٢\frac{٣}{٤}$: ١ في المدفعية و $٢\frac{١}{٢}$: ١ في الدبابات ، و $٢\frac{١}{٢}$: ١ في الطائرات التكتيكية) وتزايد تفوّق الروس في « المنطقة الرمادية » للاسلحة ذات المدى المتوسط ، والمتوسط القصير مع إحتمال إحراز تفوّق استراتيجي في المستقبل التريب ، قد غيّر جذرياً من توازن القوى كما كان العامل الرئيسي في رفض مجلس الشيوخ الامريكي لمعاهدة سالت / ٢ .

وجاء قرار حلف شمال الاطلسي رغم حملة دعاية سوفياتية ضخمة ضده بما في ذلك انسحاب تدريجي لعشرين ألف جندي سوفياتي ودباباتهم من ألمانيا الشرقية إلى غرب روسيا ، وهو إنسحاب حظي بدعاية واسعة . وخلال أسابيع

أعطي للغرب حافز جديد للعناية بدفاعاته . ففي الصباح الباكر من ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٧٩ انفجر الموقف في أفغانستان بحيث أصبح إحدى القضايا العالمية الهامّة ، وذلك لأول مرة منذ القرن التاسع عشر عندما حاولت قوات الامبراطورية البريطانية في الهند آنئذٍ التدخل في أفغانستان لملء فراغ كانت بريطانيا تعتبره إغراء أقوى من أن تستطيع روسيا القيصرية مقاومته . وشعر البريطانيون وقتها أن روسيا قد تضمّ أفغانستان بهدف تهديد امبراطورية الهند البريطانية والتحرّك نحو المياه الدافئة في البحر العربي . وحاول قياصرة روسيا واحداً بعد الآخر التغلب على معضلة الوصول إلى البحار الخالية من الجليد . وكان من الحلول التي طرحت على سبيل المثال ، ضمّ المناطق الصينية حول فلاديفستك في القرن التاسع عشر .

وكانت أفغانستان في طليعة الأقطار التي تلقّت معونات سوفياتية بعد الحرب العالمية الثانية . وظلّ نفوذ موسكو في كابل قويّاً طيلة الفترة الواقعة قبل انقلاب سنة ١٩٧٣ الذي تمّت فيه الاطاحة بالنظام الملكي وإقامة نظام يساري برئاسة محمد داود . بيد أن أفغانستان بقيت حيادية أو بعبارة أدق ، في وضع كوضع فنلنده بسبب قربها من الاتحاد السوفياتي . وفي نيسان سنة ١٩٧٨ قام نور محمد تراقي الماركسي بانقلاب ناجح وانحازت أفغانستان إلى المعسكر السوفياتي وتبع ذلك انتفاضة إسلامية قتل فيها حوالي ألف مستشار سوفياتي حسبما قيل . وفي أيلول سنة ١٩٧٩ أطيح بتراقي على يد ماركسي آخر هو حفيظ الله أمين . وبحلول كانون الأول سنة ١٩٧٩ . كانت الحكومة قد فقدت سيطرتها على ٨٠ ٪ من البلاد وقلّصت عمليات الفرار حجم الجيش البالغ ١٥٠ ألف جندي إلى النصف . ودخلت البلاد قوات مظلّية ومدرعة سوفياتية في ٢٥ كانون الأول بناء على طلب من حفيظ الله أمين كما قالت موسكو . إلا أن أمين مع أفراد أسرته وعدد من مؤيديه المقرّبين قتلوا في ليلة ٢٦ كانون الأول وحلّ محله بابراك كارمال الذي كان منفياً في أوروبا الشرقية منذ السنة السابقة وأحضر بالطائرة إلى كابول بعد الغزو السوفياتي بقليل . وفيما بعد ، أنحى

السوفيات باللائمة في فشل ثورة أفغانستان على نظام حكم أمين الارهابي (وهذا لا ينطبق مع روايتهم للاحداث وقولهم أنهم تدخلوا في أفغانستان بناء على طلبه) . وفي ذات الوقت وبحلول ربيع سنة ١٩٨٠ كان الأمر قد تطلّب وجود ٨٠ ألف جندي روسي من أجل الاحتفاظ بالمدن الرئيسية والطرق ودعم الجيش الأفغاني الذي استمر نظرياً في حمل أعباء القتال ضد الثوار . وفي كانون الثاني سنة ١٩٨٠ وصل مئات من الروس الذين يتكلمون اللغة الفارسية لتسلم أعباء الادارة المركزية في أفغانستان وفصل من الخدمة عدد من كبار الموظفين المدنيين الأفغان . وأبدى العالمان الغربي والاسلامي خشيتهما من إحتمال اختفاء أفغانستان وراء الستار الحديدي .

ولم تقبل الأمم المتحدة بتفسير موسكو للاحداث حيث تمّ التنديد بأعمالها بأكثرية (١٠٤) أصوات مقابل ١٨ صوتاً وامتناع ثلاثين دولة أو غيابها عن التصويت . وفي كانون الثاني سنة ١٩٨٠ اجتمعت خمس وثلاثون دولة إسلامية في إسلام أباد عاصمة باكستان ، وطالبت بمغادرة القوات السوفياتية البلاد الأفغانية . وعلى خلاف المجر (هنغاريا) سنة ١٩٥٦ ، وتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ اللتين كانتا جزءاً لا يتجزأ من الكتلة السوفياتية منذ أواخر الأربعينات كما كانتا عضوين في حلف وارسو ، فقد اعتبرت أفغانستان بلداً محايداً غير منحاز واعتبرت سلامته الاقليمية وسيادته الوطنية محلّ اهتمام عميق في العالم الثالث . ورغم إدعاءات الاتحاد السوفياتي بأنه كان يستجيب لنداء حكومة صديقة تحاول إقصاء المتمرّدين الذين تؤ يدهم وتسلّحهم أمريكا والصين وباكستان وبريطانيا ، فإنه لم يستطع طمس حقيقة انتهاكه لمبدأ عدم التدخل وهو مبدأ التزمت به موسكو بجدّية في ميثاق الأمم المتحدة وإعلان باندونغ واتفاقية هلسنكي . ولأول مرّة منذ سنة ١٩٤٥ اندفع الجيش الأحمر خارجاً من حدود الاتحاد السوفياتي إلى بلد محايد .

ودفع الاتحاد السوفياتي ثمناً غالياً لمغامرته في أفغانستان . ولكن برجنيف وزملاءه في المكتب السياسي لا بد وأن يكونوا قد عرفوا ذلك مقدّماً . ولعلّ

تطبيق الكرملين لنظرية برجنيف كان ناجماً عن تخوّفه من أن إسقاط حكومة ماركسية سيولّد انعكاساً سيئاً على قدرة موسكو حماية أصدقائها . وتقع أفغانستان كما هو معلوم ، مباشرة على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي وبين إيران الخميني وباكستان المسلمة التي توفّر الملجأ للهاربين من حكم أمين ممن اجتازوا ممر خيبر . وكان بعض هؤلاء اللاجئين من الثوار الذين يبحثون عن السلاح لدعم حركة الجهاد التي أعلنت ضدّ النظام الملحد في كابول . وفي نهاية سنة ١٩٧٩ كانت سيطرة الحكومة الأفغانية مقتصرة على المدن والطرق . ولكن لم تكن هناك حركة تحرير وطني ، كما أن دافع « المجاهدين » من القتال هو التقاليد والانتهازية بقدر ما هو الدين والعقيدة يضاف إلى ذلك أنه إذا كانت موسكو تخشى من أن تصيب الثورة والتعصب الاسلامي مسلمي الاتحاد السوفياتي بالعدوى ، فإن البلاد الواجب غزوها هي إيران وليس أفغانستان . كما أن موسكو أرسلت أقل من مائة ألف جندي لأفغانستان . وهذه القوات تكفي للقيام بدور الشرطة في المناطق الحساسة ولكنها لا تكفي لافتتاح بلد جبلي تندر فيه الطرق الرئيسية وتقطنه شعوب شرسة محبة للاستقلال . وإذا كان الخوف من المسلمين الروس البالغ عددهم خمسة وثلاثين مليوناً هو أحد اسباب تحرّك الروس ، فإن الغزو الذي بالغ في تقدير شعبية كارمال الماركسي المتشدد وقوته ، وأسرف في التقليل من كره الأفغان للاجانب ، والاستنكار العالمي وتصميم الرئيس الامريكي غير المتوقع ، ليست كلها بالطرق السليمة لابعاد أية مشكلات مستقبلية عن الاسلام السوفياتي .

وربما كانت موسكو على صواب في تقديرها لرد الفعل العالمي ، فقد ظنّت أن التحالف الغربي لن يكون قادراً على الاحتفاظ بوحدة جبهته لوقت طويل ، وأن الهجوم السلمي الروسي في صيف سنة ١٩٨٠ سوف يهدىء روع العالم ، أو أن ضغط الأعمال التجارية سوف يرغم واشنطن على تخفيف القيود المفروضة على التجارة أو تصدير الحبوب ، أو أن الاتحاد السوفياتي سيكون قادراً على الوفاء بمتطلباته التكنولوجية من أوروبا واليابان على أي حال ، أو أن

الروابط التجارية مع الغرب قد بلغت من المتانة مدى كافياً . وكان أمام برجنيف الكثير ليخسره في أفغانستان وفعلاً خسر الكثير ، إذ أوقف مجلس الشيوخ الامريكي المصادقة على اتفاقية سالت / ٢ ولعلها قد قضى عليها بسبب « الأزمة » الكوبية . كذلك فقد حصلت الصين على مركز الدولة الأكثر رعاية من ناحية تجارية من الجماعة الاقتصادية الاوروبية . وكان حلف الاطلسي يعيد تسليح نفسه . ولم يساعد الوفاق في حلّ مشكلات موسكو الاقتصادية ، بل عمل على إدخال التضخم إلى أوروبا الشرقية وأضعف من قبضة موسكو الاقتصادية على اتباعها . يضاف إلى ذلك أنه لم يمنع التقارب بين الصين والولايات المتحدة . ولعلّ لبّ المشكلة يكمن هنا . لقد كانت أفغانستان بمثابة إنذار للمواطنين السوفيات ولجيرانها وللغرب . على إنه يمكن النظر إليها أيضاً على انها جزء من سياسة شجّعت على غزو فيتنام لكمبوتشيا (كمبوديا) حليفة الصين . وأخيراً ، فبناء على تمسك السوفيات بالمقولة التي تعتبر الشيوعية « موجة المستقبل » لم يكن في وسع أيّة حكومة سوفياتية أن تسمح بالاطاحة بنظام يدعمه الشيوعيون دون القاء الشك على نظريات الحتمية التاريخية وعدم قابلية الثورة الشيوعية للتراجع .

والواضح أن ما واكب الوفاق من مضاعفات كان كثيراً وذلك من وجهة نظر كل من الدولتين العظميين ، إذ لم تجد موسكو نفسها موضع نقد صريح من يوغوسلافيا وحسب ، بل ان رومانيا أيضاً رفضت الإعلان عن تأييدها للخطوة السوفياتية ، كما أن بولندا كانت قلقة من اتجاه الأحداث . هذا إلى أن كارتر الذي تسلّم السلطة سنة ١٩٧٧ بعد أن قال انه أراد إجراء تخفيضات في الميزانية العسكرية ، سارع فوراً إلى زيادة موازنة سنة ١٩٨١ العسكرية زيادة حقيقية لا تقلّ عن ٥ ٪ . كما وعد في حملته الانتخابية سنة ١٩٧٦ انه لن يستخدم الغذاء وسيلة للضغط السياسي أبداً ، ولكنه سرعان ما فرض حظراً على شحنات القمح التي تجاوزت الثمانية ملايين طن سنوياً والتي اتفق في سنة ١٩٧٦ على بيعها للاتحاد السوفياتي . وكانت موسكو قد توقعت شراء حوالي ١٧ مليون طن زيادة

على ذلك الحد الأدنى . زد على ذلك أن كارتر أوصى الكونغرس بتأجيل قراره حول سالت / ٢ وفرض قيوداً على دخول الاتحاد السوفياتي مياه صيد الاسماك الامريكية ، وحدد مشتريات الاتحاد السوفياتي من السلع التكنولوجية المتقدمة (مثل الآلات الحاسبة ،والسيلكون أو لوحات الدوائر الكهربـائية المصغرة) . وفي شباط سنة ١٩٨٠ صدرت توصيات تنصح الامريكيين بعدم الاشتراك في الألعاب الاولمبية في موسكو سنة ١٩٨٠ . وحذا حلفاء الولايات المتحدة حذوها ولكن بصورة غير منسقة فقاطعـت استـراليا وكينيا والنـرويج وألمانيا الغـربية الألعاب الاولمبية بينما منعت كندا بيع القمح للسوفيات . أما العصبة العسكرية الحاكمة في الارجنتين والتـي كانـت حانقـة على مجـرد انتقـاد وزارة الخـارجية الامريكية لسجلها المتعلق بحقوق الانسان فإنهـا لم تفعـل ذلك . وفي ذات الوقت فإن مفاهيم الولايات المتحدة المتعلقة بأهمية باكستان تغيّـرت بين عشية وضحاها .

ولم يكن الرئيس ضياء ـ وهو حاكم مستبد وعسكري وصل إلى السلطة سنة ١٩٧٧ وأعدم سلطة رئيس الوزراء بوتو ـ محبوبـاً لدى واشنطـن . وكان يعتقد أن ضيا تباطأ في إرسال قوات انقاذ للسفارة الامريكية في إسلام أباد في تشرين الثاني سنة ١٩٧٩ عندما قتل أمريكيان على يد جمهور من المسلمين . وكان كارتر يخشى أن يكون ضيا على وشك التهديد بزيادة عدد الدول النووية بأن تحاول باكستان صنع قنبلة نووية . وأهـم من ذلك كله فإن رفضه إجـراء الانتخابات ونقمة جماعات الأقلّيات في البلاد عليه ولا سيما البلوش في الجنوب الغربي ، جعل حكومته غير مستقرة وغير متفقة مع إصرار كارتر على الحقوق الإنسانية . ومع ذلك فعندما شرع الثوار الأفغان في البحث عن الأسلحـة في بيشاور عرضت أمريكا مبدئياً أن تزوّد حكومة ضياء بالأسلحة الدفاعية . وقام بريجنسكي بزيارة ممر خيبر يرافقه دنغ كزياوبنغ ولورد كارنجتون البريطاني . وهكذا واجهت روسيا الحدود الباكستانية الأفغانية التـي لا يمـكن إغلاقهـا ، واحتمال تزايد قوّة الروابط العسكرية بين واشنطن وبيكين . أما كارتر الذي كان

يأمل أصلاً في نزع سلاح المحيط الهندي ، فقد قرر إنفاق عشرة مليارات دولار بحلول سنة ١٩٨٤ على تجهيز السفن والطائرات والامدادات اللازمة لقوة الانتشار السريع البالغ عددها مائة ألف جندي في منطقة البحر الأحمر والخليج « الفارسي » . وجرى البحث جدّياً في احتمالات انشاء قواعد امريكية جديدة في عمّان والصومال وكينيا . كما أوضح كارتر أن الخليج أحد المصالح الحيوية الامريكية التي يجب الدفاع عنها بالقوة المسلحة الامريكية إذا اقتضى الأمر .

وكان من حقائق الحياة المزعجة بالنسبة للغرب أن اعتماده على نفط الخليج كان يعني أن أمنه الاقتصادي كان مرتبطاً ارتباطاً حيوياً بمنطقة غير مستقرة وقريبة من الحدود السوفياتية . ولم تكن موسكو في نهاية الأمر هي التي دبّرت سقوط الشاه ، وخشي بعض المعلقين الغربيين أن أحداث افغانستان كانت إيذاناً ببدء زحف سوفياتي نحو الخليج مع أن أفغانستان كانت طريقاً طويلة نحو هدف كهذا . ومن المسلم به أنه لو سارت باكستان في درب أفغانستان ، لتمكّن الاتحاد السوفياتي من الوصول مباشرة إلى المحيط الهندي . غير أن الأزمة الأفغانية أقلقت الهند حتى وأن أعطى رجوع انديرا غاندي للسلطة سنة ١٩٨٠ صديقاً للكرملين في شبه القارة الهندية . وكانت باكستان حليفة للصين بحكم الأمر الواقع منذ أوائل السبعينات . وفي سنة ١٩٨٠ أعادت أمريكا إلى الحياة تحالفاً مع باكستان بدأ سنة ١٩٥٩ ثم سمح له بالاختفاء .

وكان الاوروبيون الغربيون يعتمدون أيضاً على شرايين الحياة الاقتصادية الممتدة إلى الخليج رغم أن ردّة فعلهم للغزو كانت تفتقر إلى التماسك عندما بدأ هذا الغزو . ولم يسارع في الانضمام إلى أمريكا سوى حكومة مارغريت تاتشر في بريطانيا وذلك بالنسبة لموقف أمريكا في فرض القيود التجارية والمالية ومقاطعة الألعاب الاولمبية . وكان المستشار الألماني الغربي هلموت شمدت ورئيس جمهورية فرنسا فاليري جسكار ديستان أكثر تباطؤاً في التجاوب مع مطالبة واشنطن بالتضامن الغربي . وبالطبع فإن حلف الاطلسي مهتم بصورة محدّدة بالدفاع عن منطقة شمال الاطلسي والحلفاء الغربيين .

وكثيراً ما كان الحلفاء الغربيون في الماضي مستعدين للسماح لامريكا لوحدها بالدفاع عن مصالح الغرب في العالم كله ، وعلى سبيل المثال في الهند الصينية وفي الأزمات المصرية الاسرائيلية . وهذا لا يعني أن الديمقراطيات الغربية لم تلعب دوراً وراء حدود أوروبا ، فقد ركّز البريطانيون على حلّ مشكلة روديسيا سنة ١٩٨٠ والتي هدّدت بالتطور بحيث تتخذ بعداً شرقياً غربياً وتستدعي التورّط الكوبي . وتدخل الفرنسيون والبلجيكيون في زائير سنة ١٩٧٨ لدعم حكومة موبوتو ضد الثوار . كما ساعدت فرنسا حكومتي تشاد وموريتانيا . وفي كانون الثاني سنة ١٩٧٩ ساعدت تونس في الاضطرابات التي يدعمها نظام القذافي الراديكالي في ليبيا . كما ركّز الألمان الغربيون على أوروبا مثلاً بتقديم مساعدة اقتصادية لتركيا حليفتهم في منطقة شمال الاطلسي وكذلك في قيادة الجماعة الاقتصادية الاوروبية نحو روابط اقتصادية أكثر أثارت بعض المتاعب أمام أوروبا الغربية . إذ كانت أزمة قريبة لدرجة مزعجة من منطقة ذات أهمية استراتيجية بالنسبة لاقتصاد عديد من الدول الاوروبية وان كانت أزمة في جنوب غرب آسيا وليس في أوروبا الوسطى . وطرحت مشكلة أفغانستان بصورة في غاية القوة مسألة تفكك الوفاق ، وهل يمكن لوفاق أوروبي أو يجب عليه أن يبقى صامداً بعد مغامرات سوفياتية في مناطق أخرى في العالم .

ولم تقبل الحكومات في غرب أوروبا قبولاً كاملاً نظرية نيكسون وكيسنجر القائمة على « الترابط » . (وكان هذا يعني أن الاتفاقيات على تحديدات الأسلحة والتجارة ، والاستثمارات والعلاقات الثقافية كانت ترتبط ارتباطاً غير محدود بالسلوك السوفياتي في العالم ، وان الاتفاقيات هذه لا يمكن أن تدوم في جو أفسدته التغييرات البارزة المتتابعة في الوضع العالمي الراهن والناجمة عن أعمال الاتحاد السوفياتي أو حلفائه . والواقع فإن مناطق معينة مثل أمريكا اللاتينية والشرق الأدنى والأوسط كانت ولا تزال تعتبر مناطق ذات حساسية خاصة) . وعلى العموم لم يعتبر الاوروبيون الغربيون فيتنام احدى

المصالح الغربية الحيوية . كما حاولوا دائماً أن يفرّقوا بوضوح بين المصالح الغربية والمصالح الامريكية البحتة . ولم يكن ردّ الفعل غير المتناسق لحلف الاطلسي إزاء أفغانستان مجرّد تعليق أوروبي على مفاهيم النوعية الرديئة للقيادة الامريكية حول هذه القضية وقضايا أخرى ، ولكنه كان دليلاً أيضاً على الاختلافات الأخرى في المواقف والاتجاهات بين أمريكا وحلفائها . وقد استفادت أمريكا من الوفاق في إيجاد مناخ دولي أكثر ملاءمة ، وفي مزيد من التجارة وبعض الصفقات المتبادلة حول تحديد الأسلحة ، ولكن بعض هذه الأمور فقط حقّق فوائد ملموسة ، بينما كانت إنجازات الوفاق في أوروبا الغربية واضحة . وينطبق هذا بصفة خاصة على ألمانيا الغربية حيث ساعدت العلاقات التي استؤنفت مع أوروبا الشرقية ، والقدرة على التفاوض لاعادة توطين الكثيرين من الألمان من ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) وبولندا والاتحاد السوفياتي في ألمانيا الغربية ، ساعد هذا كله على إعادة احترام الذات والثقة بالنفس إلى الألمان الغربيين من الناحية السياسية . ولّما كان الاوروبيون في خط المواجهة الأوّل ، فلم يكونوا راغبين في تعريض الوفاق لمخاطر قد لا تقوم له بعدها قائمة . ويجب أن نذكر أيضاً أن معظم التجارة لدول الكتلة الشرقية وكذلك ترتيباتها المالية مع الغرب لم تكن مع الولايات المتحدة بل مع أوروبا . وفي سنة ١٩٧٩ صدرت دول المجموعة الاوروبية إلى الاتحاد السوفياتي وحده بضائع قيمتها ١٢ مليار دولار مقابل ٣,٤ مليار[٣] قيمة البضائع التي صدرتها الولايات المتحدة . كما أن العديد من أقطار أوروبا الشرقية كانت مقيدة بقروض غربية . فعلى سبيل المثال كانت بولندا مدينة بمبلغ ١٧,٥ مليار دولار بالعملة الصعبة . ومن الواضح أن بعض أزدهار اوروبا الغربية على الأقل كان نتيجة لمبيعاتها لمستهلكي الكتلة الشرقية ، بينما كان يستورد جزء من حاجة ألمانيا من الطاقة منذ سنة ١٩٧٣ وفرنسا منذ نيسان سنة ١٩٨٠ على شكل مشتريات من الغاز الطبيعي السوفياتي الآتي من الاحتياطي الضخم في سيبريا .

وتمّ الاعتراض على رأي الرئيس كارتر حول قضية « اللواء المقاتل » في

مشكلة كوبا وتحدّى رأي الرئيس الامريكي أولئك الاوروبيون الذين قالوا انه إذا كان سقوط أفغانستان بين ذراعي الدبّ الروسي يمثّل تهديداً حقيقياً للسلام العالمي ، فإن ذلك التهديد جاء في الأصل من مجيء محمد تراقي للسلطة في نيسان سنة ١٩٧٨ ، وإنه بناء على ذلك فإن دخول القوات الروسية يوم عيد الميلاد سنة ١٩٧٩ لأفغانستان لم يكن سوى إضفاء طابع رسمي على شيء كان قد حدث أصلاً في الماضي .

ومن ناحية أخرى فإن قلق الفرنسيين والألمان الغربيين كان قد تفاقم في شباط سنة ١٩٨٠ عندما نفي المنشقّ السوفياتي أندرية سخاروف إلى مدينة غوركي المغلقة لاعتراضه الصريح على غزو أفغانستان وتأييده المقاطعة الدولية للالعاب الاولمبية . وبعد ذلك بوقت قصير ، أصدر الرئيس الفرنسي ديستان والمستشار الألماني الغربي شميدت بياناً قوياً جاء فيه بالنسبة لأفغانستان « إن الوفاق لن يظل قائماً بعد صدمة أخرى من هذا النوع » . غير أن الاوروبيين كانوا لا يزالون ميّالين للبحث عن سبب لاقناع القوات السوفياتية بمغادرة افغانستان بدلاً من معاقبة الاتحاد السوفياتي على أعماله كما فعل كارتر . كذلك فقد عرضت حلول ممكنة مثل تحييد أفغانستان كسبيل لايجاد مخرج يحفظ ماء الوجه للسوفيات . ورأى الألمان والفرنسيون أيضاً ضرورة تعليق بعض الاجراءات التأديبية مثل منع القروض الاوروبية للاتحاد السوفياتي في المستقبل لئلا يحرم الغرب من جميع الوسائل باستثناء قعقعة السلاح كوسيلة للتأثير في التصرفات السوفياتية السياسية في المستقبل . وبالطبع يتزايد سماع الحجج الأخرى المعادية للوفاق في سنة ١٩٨٠ مثل القول بأن تزويد الروس بالحبوب والتكنولوجيا المتقدمة والقروض وبالتالي تحديد المبالغ التي كانوا مضطرين لانفاقها على الزراعة والصناعة ، وتمكينهم بذلك من تخصيص مزيد من الأموال للمصروفات الدفاعية ـ، كان يمثل استرضاء وتشجيعاً لدولة ذات نزعة توسعية . غير أن الاوروبيين قدروا الدرجة التي كان الروس مستعدين للوصول إليها في تعديل سلوكهم في أوروبا على الأقل ، وذلك بعدم إثارة

المتاعب في برلين الغربية ، أو خلال الثورة البرتغالية سنة ١٩٧٤ ، أو في تركيا التي كانت تمزقها الاضطرابات الداخلية ويهتزّ اقتصادها مهدداً بالانهيار . واستمرت المشكلة الرئيسية في أوروبا تتمثل في الابقاء على التوازن بين الوفاق في أوروبا وقوة حلف شمال الاطلسي ـ بين المدى الذي يمكن أن يصل اليه تعديل سلوك الاتحاد السوفياتي الناتج عن مكاسبه السياسية من العلاقات الجيدة مع الغرب ، والمدى الذي تظلّ فيه القوة العسكرية الغربية هي العامل الحاسم في الحدّ من أطماع السوفيات .

وكانت القضية الاساسية عندما هلّ عام سنة ١٩٨٠ هي : هل الغرب أقوى أو أضعف من حيث علاقاته بالكتلة السوفياتية وذلك بعد عقد من الوفاق ؟ لقد حقّق المعسكر السوفياتي توسعاً خلال ذلك العقد . ولكن لم يؤدّ توسعه بالضرورة إلى توسع حقيقي كامل للقوة السوفياتية . وأصبحت أنغولا سنة ١٩٧٦ ماركسية ، ولكن ذلك تطلب وجود عشرين ألف كوبي تقريباً بين مستشارين وفنّيين وجنود لدعم حكومة أنغولا ضد حركة حرب العصابات القومية غير الشيوعية والمسماه يونيتا (الاتحاد الوطني من أجل استقلال أنغولا الكامل) والتي يقودها جوناس سافيمبي وكانت نشطة في جنوب البلاد . أما موزمبيق فكانت قد أصبحت ماركسية في العام السابق ، وكان اقتصادها بحاجة ماسة للمساعدة الاقتصادية السوفياتية وذلك بعد أن أضعفته حرب التحرير التي خاضتها والتورّط في الحرب الروديسية وخروج البيض منها . كما احتاج الاقتصاد الكوبي سنة ١٩٨٠ إلى معونة أكثر مما احتاج قبل عقد من ذلك التاريخ . وبدا كأن توحيد فيتنام أضاف مزيداً من القوة إلى الكتلة السوفياتية ولكن بحلول نهاية العقد ، ثبت أن أحد المخاوف الغربية حول تلك المنطقة كان دون مبرر : فلم يتسلم الاسطول السوفياتي القاعدة الامريكية السابقة الضخمة في خليج كام ران في فيتنام ، الأمر الذي لو حصل لاحدث أثراً ثورياً في الجغرافيا السياسية (الجيوبولتيكا) لجنوب شرق آسيا . كما أن الحروب في تلك المنطقة بين فيتنام وكمبوديا وفيتنام والصين أضعفت اقتصاد جميع الهند

الصينية واستثارت مزيداً من الاتجاه نحو الوحدة بين الأقطار الأسيوية المجاورة في سنغافورة وماليزيا وتايلند والفلبين وأنـدونيسيا ، إذ شكلـت هذه الأقطـار رابطة أمم جنوب شرق آسيا وذلك على أثر انهيار حلف جنوب شرق آسيا سنة ١٩٧٧ . وكان أصل هذه الرابطة أنها منبر لمناقشة سياسة التجـارة والمعونـات واللاجئين . . . الخ لكنها كانت تتجـاوب مع الأحـداث باتخاذهـا المزيد من الصبغة العسكرية بما في ذلك العمل العسكري الموحّد سنـة ١٩٧٩ من قبـل تايلند وماليزيا ضد بقايا الحزب الشيوعي الماليزي الذي وإن كان قد استنفذ قوّته إلى حد بعيد خلال أواخر الخمسينات ، إلا انه كان لا يزال نشطـاً على طول الحدود المشتركة .

أما أثيوبيا التي واجهها رجال العصابات الارتريون المهرة والمصممـون على القتال ، وأفغانستان بثوارها المسلمين ، فقد كانتا مصدرين للمشـكلات المستقبلية المحتملة أمام السوفيات . وعانى السوفيات من بعض الاخفاق خلال السبعينـات مثـل إنهيار النظـام الماركسي في تشيلي سنـة ١٩٧٣ ، وطـرد « المستشارين » السوفيات من مصر سنة ١٩٧٢ ، ومن الصومال سنة ١٩٧٧ . وكان الكرملين يواجه أيضاً مصادر للانزعاج قريبة منه مثل استمرار رومانيا في إظهار استقلاليتها في السياسة الخارجية ، ويتأثر بولندا ولو مؤقتاً على الأقـل بالحماس الديني والروح القومية المتجددة التي أثـارت انتخـاب يوحنـا بولس الثاني البولندي المولد للكرسي البابوي سنة ١٩٧٨ وزيارتـه التـي تلـت ذلك لبولندا سنة ١٩٧٩ .

كما أن النظام الزراعي السوفياتي الذي كان يتطلب في سنة ١٩٨٠ عاملاً واحداً لاطعام عشرة أشخاص (بالمقارنة مع عامل واحد لاطعام ٧٥ شخصاً في الولايات المتحدة) ظلّ احدى نقاط الضعف لدى السوفيات . وأخيراً ، مع أن السوفيات سنة ١٩٧٠ كانوا يواجهون مشكلة مع الصين ، إلا أنه لم يكن وارداً في ذلك الوقت أن تقوم علاقـات عسـكرية وثيقـة للصـين مع غرب أوروبـا والولايات المتحدة أو بيع معدات عسكرية لبيكين .

ومن نواحي عديدة فإن نواحي الضعف والخسائر التي مني بها التحالف الغربي بعد سنة ١٩٧٠ كان إنعكاسات لمكاسب وانتصارات حققتها الكتلة السوفياتية . لقد ذهبت كل من الامبراطوريتين البرتغالية والاسبانية واختفى الاستقرار النسبي في كلّ منهما ، وتمّت الاطاحة بالشاه في إيران وظهر عدد من الأنظمة الراديكالية في أمريكا الوسطى ومنطقة البحر الكاريبي ، وما زالت السياسة الامريكية في العالم ترتكز في حالات كثيرة على قواعد ضيّقة أو أفراد ولكن الغرب حقّق نجاحات أيضاً ، إذ اتضح أن الشيوعية الاوروبية لم تعد عنصراً ضخماً من عناصر عدم الاستقرار في علاقات الشرق بالغرب كما كانت تهدد أن تصبح كذلك سنة ١٩٧٥ وسنة ١٩٧٦ .

وتخلّصت البرتغال واسبانيا واليونان من أنظمة يمينية ولكنها تجنّبت الوقوع في أحضان الشيوعية وأصبحت ديمقراطيات تقوم على الأكثرية . ووقعت معاهدة صلح مصرية إسرائيلية أدّت إلى جعل مصر منبوذة في العالم الاسلامي ولكنها قلّصت عند الامريكيين من مخاطر وقوع حرب عربية اسرائيلية رابعة .

بيد أن العقد شهد نواحي من الضعف الذي جرّه المعسكر الغربي على نفسه ، فقد عانت الولايات المتحدة من أزمة زعامة أو قيادة نتيجة لفضيحة ووترغيت التي أدّت إلى استقالة الرئيس نيكسون في آب سنة ١٩٧٤ . وبالمقابل فإن قدراً من القوّة في الاتحاد السوفياتي كان يعود إلى استمرار القيادة منذ سقوط خروشوف سنة ١٩٦٤ . وتمخّضت أصداء ووترغيت وفشل أمريكا في فيتنام عن أشياء منها ظهور كونغرس أمريكي أصعب قياداً من السابق وشعب أقلّ رغبة في أن يكون شرطي العالم ، ولكن كان ثمة احتمال في أن قضية الرهائن الامريكيين قد تعيد للرئاسة الامريكية هيبة أو سلطة فقدتها منذ سنة ١٩٧٣ . وعندما شرعت أمريكا سنة ١٩٨٠ في احتلال المكان الذي كانت تشغله بريطانيا في الخليج « الفارسي » حتى أواخر الستينات ، بدا وكأن وقتاً طويلاً مضى على حديث نيكسون عن التراجع عن التزامات مفرطة الاتساع . زد على ذلك أنه عندما توثّقت العلاقات بين أوروبا الغربية وأمريكا والصين واليابان ، أصبح

مفهوم نيكسون القائم على عالم خماسي الاقطاب ، يبدو شاذاً بصورة متزايدة عن سياسة أمريكا الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية .

وجاءت نقطة ضعف أخرى لأقوى دولة غربية نتيجة لتزايد حاجتها لاستيراد المواد الخام ذات الأهمية الاستراتيجية . إذ كان تعرّض أمريكا للخطر في نقص المواد الاستراتيجية يتجلّى في أوضح صورة في النفط فقط . ولكن هناك مواد حيوية أخرى يأتي بعضها من مناطق غير مستقرة ، وكلها يجب نقلها بحراً رغم وجود القوة البحرية السوفياتية .

فعلى سبيل المثال يوجد في زائير ٦٥ ٪ من احتياطي العالم غير الشيوعي من مادة الكوبالت المستخدمة في صناعة المحركات النفاثة ، وزائير بلد غني أيضاً بالنحاس الجيد النوعية وخامات اليورانيوم . وكانت جنوب افريقيا أحد الأقطار الرئيسية التي تزوّد العالم بالمنغنيز (وهو مادة أساسية في إنتاج الفولاذ) إضافة إلى كونها مصدراً هاماً للذهب والماس في الأقطار غير الشيوعية . كما أن أمريكا تفتقر إلى الكروميوم بصورة شبه كاملة ، وكانت تستورده من القطر الذي أصبح يدعى في آذار سنة ١٩٨٠ زمبابوي التي يحكمها روبرت موغابي بعد انتخابات أدار دفّتها البريطانيون .

وفي سنة ١٩٧٠ كان ثمن برميل النفط ١,٨ دولاراً ولم تكن الولايات المتحدة تستورد الكثير منه . ولكن بحلول سنة ١٩٨٠ أصبح ثمن البرميل يتجاوز ٣٤ دولاراً وصارت أميركا تستهلك قدراً كبيراً من فائض الصادرات النفطية العالمية . وفي سنة ١٩٧٨ أصبحت أمريكا بحاجة إلى استيراد ٤٧ ٪ من نفطها بكلفة إضافية قدرها ٣٩,٢ مليار دولار . وبالمقابل فإن اليابان تستورد ٩٢ ٪ من نفطها بكلفة قدرها ٢٤ مليار دولار ، بينما استوردت كل من ألمانيا الغربية وفرنسا ٩٧ ٪ من حاجتها من النفط بتكلفة قدرها ١٣,٢ مليار دولار و ١٠,٧ مليار دولار على التوالي . وقدّرت تكاليف النفط الامريكي المستورد في السنة المنتهية في كانون الأول سنة ١٩٧٩ . بما يزيد عن ٦٥ مليار دولار . وكان الاعتماد على النفط من مبررات المخاوف الامريكية خلال أزمتي إيران

وأفغانستان . وفي سنة ١٩٧٨ صدرت العربية السعودية وإيران والعراق والامارات العربية المتحدة والكويت من النفط ما قيمته ٣٥ ، و ٢١ ، و ١١ ، و ٩ ، و ٨ من مليارات الدولارات على التوالي . وبالطبع كانت نيجيريا مثلاً ، أحد المصادر الرئيسية للنفط الامريكي وصدّرت سنة ١٩٧٨ ما قيمته ٩,٥ مليار دولار ، وقد ذهب ٣٥ ٪ من ذلك النفط إلى سوق الولايات المتحدة[٤] . أما كون المملكة المتحدة والمكسيك وفنزويلا وربما البرازيل قادرة على زيادة صادراتها النفطية خلال الثمانينات ، فقد وسّع من موارد هذا العنصر الحيوي للاقتصاد الغربي ـ رغم أن المصادر الامريكية اللاتينية الثلاثة سوق تؤدي حتماً إلى تغييرات في العلاقات الخارجية للولايات المتحدة وتزيد من ضرورة يقظتها في جنوب القارة . وكان من حسن حظ واشنطن أن الثورات التي حصلت جنوب نهر ريوغراند في السبعينات شملت الأقطار غير المنتجة للنفط مثل الإطاحة بدكتاتور نيكاراغوا انستازيو سوموزا على يد رجال العصابات الساندستيين اليساريين .

وفي سنة ١٩٧٠ كان الدولار لا يزال يعتبر « العملة الامبراطورية » أو المتميزة . لكن تخفيضات قيمته سنة ١٩٧١ وسنة ١٩٧٣ وانحداره المستمر خلال العقد ولا سيما أمام المارك والينّ أضعفت من الثقة بالغرب اقتصادياً إن لم تضعف من قوة الغرب عسكرياً . ومع هذا فقد بقي اقتصاد أمريكا سنة ١٩٨٠ أقوى اقتصاد في العالم . وكانت موازنتها للسنة المالية سنة ١٩٨١ (٥٣١) مليار دولار من مجمل ناتج قومي مقداره ٢,٦ تريليون دولار (مليون مليون أو ألف مليار) . وهو ناتج قومي إجمالي أكبر من مجموع دول العالم بأسره باستثناء دول ثلاث وهي ألمانيا الغربية (٦٥٠ مليار) واليابان (٩٠٠ مليار) ، والاتحاد السوفياتي (١٢٦٠ مليار)[٥] من الدولارات . ورغم أمراض أمريكا الاقتصادية ، علماً بأن سكانها ٧ ٪ من سكان العالم كله ، فإنها لا زالت تحظى بـ ٣٠ ٪ من مجمل الناتج القومي العالمي . أما موازنة السنة المالية سنة ١٩٨١ التي تبدأ في تشرين الأول سنة ١٩٨٠ والتي أعلنت بعد غزو أفغانستان ، فقد

ارتفعت إلى ٦١٥,٨ مليار دولار وشملت ١٤٢,٦ مليار دولار للمخصصات الدفاعية بزيادة قدرها ١٥,٣ مليار دولار عن الموازنة العسكرية للسنة السابقة .

ولم يؤد عقد من الوفاق إلى تخفيض المصروفات العسكرية . ولكن الغرب لم يعط للدفاع أولوية عالية كما أعطاه الروس . وبينما انفقت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حوالي نفس المبالغ على الشؤون العسكرية في العقد الواقع بين سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٧ ، فقد أنفق الروس أموالاً أكثر في نهاية هذه الفترة واستمروا في توسيع الثغرة . وفي سنة ١٩٧٨ خصّص الاتحاد السوفياتي ١٤٨ مليار دولار أو ١١ ـ ١٤ ٪ من مجمل ناتجه القومي للشؤون العسكرية بينما أنفقت الولايات المتحدة ١٠٥ مليارات دولار أو ٥ ٪ من مجمل ناتجها القومي على الأمور العسكرية . غير أن الروس لم يقبلوا بهذه الحجج واستخدموا مجموعات مختلفة من الأرقام للدفاع عن وجهة نظرهم . فبينما أنفقت دول حلف وارسو ١٦٠,٤ مليار دولار (١٦١,٤ مليار دولار إذا أدخلت كوبا في الحساب) ، فقد أنفق حلف الاطلسي ١٧٩,٩ مليار دولار . وإذا أضفنا إلى ٨,٥ مليار التي أنفقتها اليابان والـ ٤٠ ملياراً التي أنفقتها الصين ، فإن أقرب الأعداء المحتملين للاتحاد السوفياتي أنفقوا على الشؤون العسكرية أكثر مما أنفق الاتحاد السوفياتي بـ ٦٧ مليار دولار . ويتجاهل هذا الرقم جميع الأقطار التي يمكن لامريكا الاعتماد عليها إذا طال أمد الحرب(٦) .

ومع ذلك فإن توازن القوى العسكرية بين الشرق والغرب قد تغيّر خلال السبعينات رغم أن هذا التغيير لم يصل إلى الحد الذي ادعته الأصوات المحذّرة في الأقطار الغربية .

وبحلول سنة ١٩٨٠ كان للروس أسطول « للمياه الزرقاء » أو أعالي البحار قادر على نقل الراية السوفياتية إلى جميع أركان المعمورة ، لكن هذا الاسطول لم يكن ذلك الوحش الشرير الذي تصوره بعض المعلقين الغربيين ، إذ كانت السفن السوفياتية أصغر حجماً من السفن الغربية لأن الهدف الاساسي

للاسطول السوفياتي كان الدفاع الساحلي. وأكثر من ذلك فقد كان أمامه مهمة نووية استراتيجية بغواصاته حاملة الصواريخ ، كما أنه طور دوراً جديداً يقوم به ، وهو حرمان الأعداء من البحار وذلك خلال الستينات والسبعينات . بيد أن الاسطول الأحمر بقي دون أعدائه من حيث العدد والتسليح . وفي سنة ١٩٧٨ كتب أحد الثقاة يقول « منذ سنة ١٩٥٨ تفوّق الامريكيون في بناء السفن الحربية (٣,٣ مليون طن) على السوفيات (٢,٦ مليون طن) . وفي فترة الوفاق منذ سنة ١٩٦٩ زاد الامريكيون في بنائهم للسفن عن السوفيات بـ ١٢٪ من حيث عدد السفن وكذلك بـ ٧١٪ من حيث حمولتها بالاطنان »(٧) .

جدول ٢٠ / ١ القوى النسبية للاساطيل الشرقية والغربية

	سفن السطح الكبيرة	الغواصات الهجومية وغواصات الدورية	غواصات الصواريخ النووية
الاتحاد السوفياتي	٢٧٥	٢٤٨	٩٠
مجموع قوات حلف وارسو	٢٨٠	٢٥٦	٩٠
الولايات المتحدة	١٨٠	٨٠	٤١
مجموع قوة حلف الاطلسي ما عدا فرنسا	٣٨٩	١٩٢	٤٥
مجموع قوة حلف الاطلسي مضافاً اليها فرنسا	٤٣٧	٢١٥	٤٩

المرجع : الميزان العسكري ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ مصدر سابق .

ويظهر جدول ٢٠/١ المدى الذي ظهر فيه الاتحاد السوفياتي متخلفاً عن قوة حلف شمال الاطلسي بكاملها في السفن السطحية . يضاف إلى ذلك أن القوة

البحرية السوفياتية كانت مؤلّفة من أربعة أساطيل مختلفة لها أدوار مختلفة ، ولا تتمكن من دعم بعضها البعض بصورة مباشرة . وإذا ما اعتبرنا أن عمر السفينة العادية عشرون سنة تقريباً فإن العدد الكبير من السفن السوفياتية التي أنزلت إلى البحر في أواخر الخمسينات كانت جميعها بحاجة إلى تغيير واحلال سفن جديدة مكانها في نفس الوقت وذلك حوالي سنة ١٩٨٠ . بينما كانت أمريكا قد مرّت بفترة « تقادم عهد السفن بالجملة » في أواسط الستينات ثم أصبحت لديها سفنها الجديدة الخاصة بها .

أما عدد القوات العسكرية التقليدية فقد بقي على حاله إلى حد بعيد في نهاية عقد السبعينات . وقال الجنرال فون كيلمانسغ القائد الأعلى السابق لقوات الحلفاء في أواسط أوروبا سنة ١٩٧٣ انه إذا اندفع الروس غرباً ، فإن في وسعهم إذا ساعدهم الحظ الوصول إلى نهر الراين خلال أربعة أيام حتى ولو استخدم حلف الاطلسي الأسلحة النووية استخداماً انتقائياً . وبقي هذا القول صحيحاً ، ولكن الذي تغير كان الهدف السوفياتي الذي يسعى الروس للوصول اليه . وفي الماضي جادل حلف الاطلسي قائلاً أن تفوّق الجيش الأحمر في أوروبا محدود بسبب احتياجه إلى المرافق والتسهيلات المتطوّرة في الإدارة والاسناد . ولكن بحلول سنة ١٩٨٠ كان أمام الغرب دراسة ثلاث حالات للقدرات العسكرية السوفياتية التي أوقعت دروسها الرعب في قلوب الحلفاء الغربيين . ففي سنة ١٩٧٥ ، سنة ١٩٧٦ نقل الروس بطريق الجو حوالي ٢٠ ألف جندي كوبي إلى أنغولا وبذلك حولوا الميزان لصالح أنصار حركة تحرير أنغولا الشعبية (M.P.L.A.). وفي خريف سنة ١٩٧٧ قام الروس بعمليات على درجة هائلة من الضخامة والكفاءة وذلك باستخدام جسر جوي وبحري في وقت واحد لنقل الأسلحة والمعدات الى أثيوبيا لدعم نظام درغيو المعادي للصومال التي كانت حليفة موسكو سابقاً . وأهم من ذلك كله ، كانت الطريقة التي عبأ بها السوفيات قواتهم الاحتياطية وإيصالها إلى فرق كاملة العدد متمركزة في آسيا الوسطى ثم نقلهم لقوات عددها من ٨٠ ـ ١٠٠ ألف رجل بسهولة ويسر إلى

أفغانستان دون تعرية دفاعاتهم في أماكن أخرى على ما يبدو .

وإذا كانت ثمّـة من فرصة سوف تتاح للروس في العقد الجديد ، فإنهم قد أصبحوا الآن أفضل اعداداً من أجل اغتنامها . غير أن الغرب على الأرجح أكثر تحفزاً لايقافهم عما كان عليه في أي وقت مضى منذ أزمة الصواريخ في كوبا سنة ١٩٦٢ . ولا زالت كل من موسكو وواشنطن تحملان نفس المفهـوم عن الآثار المؤدية إلى الانتحار المتبادل والناجمة عن مواجهة بين الشرق والغـرب . ويخشى كل منهما الأخطار الكامنة في العداوة المتزايدة التي سببتهـا الأحـداث وحالات سوء الفهم في أواخر السبعينات . وهنا تكمن المفارقة والتناقض لأن هذا النوع من الخوف هو الذي أدّى إلى الوفاق الأول .

ملحق
مناقشة تاريخية :
كيف بدأت الحرب الباردة

يستحق الجدل القائم حول اسباب الحرب الباردة اجراء دراسة له بجداره ، ومع ان المناقشة لا تدخل ضمن مجال هذا الكتاب الا اننا نأمل أن توضح الاقتباسات القصيرة التالية للقارىء حدة المناقشة ومجالها كما نقدم بعض الاقتراحات لدراسة مراجع اخرى لدعم المصادر المذكورة في الملاحظات ومراجع الكتب للفصول ١ - ٤ .

« لماذا بدأت الحرب الباردة ؟ لانه لاول مرة كان تحدي الاشتراكية الاستبدادية للرأسمالية الديمقراطية مدعوماً بقدر كاف من القوة يجعل منها تهديداً سياسياً وعسكرياً دائماً » .

ستوتون ليند (Stoughton Lynd) مقتبس من كتاب نورمان جرايبنر (Norman A. Graebner) المسمى « الحرب الباردة » The Cold war (D. C. Heeth Co. Lexington, Mass, 1963) Page VIII « لقد اصبحت مصالح روسيا كدولة امبراطورية مرادفة بالنسبة لستالين سنة ١٩٤٥ للقضية الشيوعية نفسها » .

ج . ف هدسن : خمسون سنة من الشيوعية G. F. Hudson, «Fifty Years of Commumism» (Penguin 1971) P. 156 .

« ان محاولة امريكا القيام بدور الجار الطيب فشلت لنفس السبب الذي فشلت من اجله سياسة نيفل تشمبرلين في ان يصبح جارا طيباً لهتلر وموسوليني فالدكتاتوريات لا يمكن استرضاؤ ها ابداً » .

مـن كتـاب ديزمونـد دونيللي « النـزاع من اجـل العالـم » Desmond Donelly, Struggle for the World (Collins 1965) Page 158. «بعد انقضاء احد عشر يوماً فقط على وجود هاري ترومان في قمة السلطة اتخذ قراره بسـن قانون لحليف ساهم اكثر مما ساهمنا من حيث الدماء والمعاناة من اجل القضية المشتركة - وحول بولندا وهي منطقة جرى غزو الاتحاد السوفياتي منهـا ثلاث مرات منذ سنة ١٩١٤ ووضع اساس الحرب الباردة في ٣ نيسان سنة ١٩٤٥ يقوم على التقريع الشديد الذي كاله لمولوتوف معلناً أن رغباتنا يجب أن تطاع في المناطق ذات الاهمية القصوى بالنسبة لروسيا » من كتاب د . ف . فلمنج الحرب البـاردة واصولهـا D. F. Fleming, The Cold War and its origins 1917- 1960 (Allen and Unwin 1961) Vol. I. PP 268- 269.

« عندما هدد العداء الغربي بالقيام بأي عمل دون الحرب الفعلية ضد الاتحاد السوفياتي تزايد تخلي الروس عن الانتخابات الحره (في شرق اوروبا) واتجهوا نحو التعاون لتوطيد نطاق دفاعي لهم في اوروبا الشرقية » .

د . س . كلمينس « يالطا »

D. S. Clemens «Yalta» (D. V. P. 1970) Page 270

« بعد أن قبلت اوروبا الغربية مشروع مارشال اقتنع ستالين أن الغرب كتلة منظمة تقودها وتدعمها القوة الكبيرة للولايات المتحدة ، ومكرسة نفسها لتدمير العالم الشيوعي وكان على السياسـة السـوفياتية أن تتطـور في اوروبـا الشرقية ككتلة متماسكة ومستقلة اقتصادياً وسياسياً عن الغرب . وفسرت الدول الغربية الكبرى ذلك بأن موسكو كانت تخطط لهجوم عام قد يشمل حتى العمل العسكري » .

ايان جراى « السنوات الخمسون الاولى » .

Ian Grey The First Fifty Years (Hodder and Stoughton, 1967) P. 417

السنة	الشهر	البيان
١٩٤٣	٢٥ نيسان	اكتشاف مذبحة كاتين وودز Katyn Woods
	٢٢ ايار	حل الكومنترن
	٢٨ تشرين الثاني / ٢ كانون الاول	مؤتمر الكبار الثلاثة في طهران
١٩٤٤	٢٣ تموز	الاتحاد السوفياتي يقيم لجنة لوبلين
	٩ تشرين الاول	تشرتشل في موسكو ـ صفقة البلقان
	٣ كانون الاول	القتال بين الشيوعين اليونان وقوات المملكة المتحدة . بدء الحرب الاهلية اليونانية
١٩٤٥	٤ شباط	يالطا
	١٢ نيسان	وفاة روزفلت
	٨ ايار	استسلام المانيا
	٢٦ حزيران	توقيع ميثاق الامم المتحدة
	١٦ تموز	اول تجربة للقنبلة الذرية الامريكية
	١٧ تموز ـ ١٢ آب	مؤتمر بوتسدام
	٦ آب	ضرب هيروشيا بالقنبلة الذرية (٩ آب ـ ضرب نجازاكي) .
	١٥ آب	استسلام اليابان
	٢٦ ايلول	فرنسا تعود الى فيتنام
	١٨ تشرين الثاني	الجيش الاحمر يحتل اذربيجان الايرانية
١٩٤٦	٥ آذار	خطاب تشرتشل في فولتون Fulton
	١٦ حزيران	الولايات المتحدة تطرح مشروع باروخ Baruch Plan
	١٦ ايلول	خطاب بيرنز في شتوتغارت
	٢٣ تشرين الثاني	الفرنسيون يقصفون ميناء هايفونغ وبدء الحرب في الهند الصينية .

السنة	الشهر	البيان
١٩٤٧	١ كانون الثاني	المملكة المتحدة والولايات المتحدة تقيمان المنطقة الثنائية Bizonia في المانيا
	١٢ آذار	اعلان مبدأ ترومان .
	٥ تشرين الاول	تأسيس الكومنغورم
١٩٤٨	٢٠ آذار	اخر اجتماع لمجلس رقابة الحلفاء
	٣١ آذار	بدء الحصار الجزئي لبرلين
	١٧ آيار	اعلان دولة اسرائيل
	٢٤ حزيران	حصار برلين
	٢٥ حزيران	بدء الجسر الجوي لبرلين
	٢٨ حزيران	طرد يوغسلافيا من الكومنغورم
١٩٤٩	٢٥ كانون الثاني	تأسيس الكوميكون (مجلس التعاون الاقتصادي المشترك) .
	٤ نيسان	توقيع معاهدة شمال الاطلسي في واشنطن
	١٤ تموز	الاتحاد السوفياتي يفجر قنبلته الذرية الاولى .
	٢١ ايلول	مولد جمهورية المانيا الاتحادية (الغربية)
	١ تشرين الاول	اعلان مولد جمهورية الصين الشعبية
	٧ تشرين الاول	اعلان قيام جمهورية المانيا الديمقراطية (الشرقية)
١٩٥٠	٣١ كانون الثاني	ترومان يقرر صناعة القنبلة الهيدروجينية
	٢٥ حزيران	بدء الحرب الكورية
	٢ تشرين الاول	قوات الامم المتحدة تعبر خط عرض ٣٨ في كوريا .
	٧ تشرين الاول	جيش التحرير الشعبي الصيني يغزو التبت .
	١٥ تشرين الاول	تدخل جمهورية الصين الشعبية في كوريا .
	١٩ كانون الاول	تعيين ايزنهاور قائداً أعلى لقوات الحلفاء في اوروبا .

السنة	الشهر	البيان
١٩٥١	١١ نيسان	اعفاء الجنرال ماك آرثر من منصبه
	٩ تموز	الدول الغربية الثلاث تنهي حالة الحرب مع المانيا
	١٠ تموز	بدء محادثات الهدنة الكورية
	٨ ايلول	معاهدة الصلح الغربية مع اليابان
١٩٥٢	١ شباط	انضمام اليونان وتركيا لحلف شمال الاطلسي .
	١ تشرين الثاني	تفجير اول قنبلة هيدروجينية امريكية .
	٤ تشرين الثاني	انتخاب ايزنهاور رئيساً للولايات المتحدة .
١٩٥٣	٥ آذار	وفاة ستالين
	١٦ حزيران	انتفاضة برلين الشرقية
	٢٧ تموز	الهدنة في كوريا
	٢٠ آب	اول تجربة سوفياتية للقنبلة الهيدروجينية
	١٢ ايلول	خروشوف يصبح السكرتير الاول للحزب الشيوعي السوفياتي .
١٩٥٤	٢٥ شباط	استيلاء عبد الناصر على السلطة في القاهرة
	٢٣ نيسان	افتتاح مؤتمر جنيف الخاص بكوريا والهند الصينية
	١٣ ايار	سقوط ديان بيان فو .
	حزيران ـ تموز	الازمة في غواتيمالا
	٥ ايلول	بدء قصف الصين الشعبية لجزيرتي كيموي وماتسو
	٨ ايلول	توقيع اتفاق مانيلا(ومعاهدة جنوب شرقي اسيا) .
١٩٥٥	٢٤ شباط	الاتفاق على ميثاق بغداد
	١٧ ـ ٢٤ نيسان	مؤتمر باندونغ
	٩ ايار	دخول جمهورية المانيا الاتحادية (الغربية) لحلف الاطلسي .

السنة	الشهر	البيان
١٩٥٥	١٤ ايار	توقيع ميثاق وارسو
	١٥ ايار	توقيع معاهدة الدولة النمساوية ـ تحييد النمسا
	٢٦ ايار ـ ٢ حزيران	خروشوف في بلغراد
	٩ ايلول	اقامة علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الغربية .
	٢٧ ايلول	صفقة الاسلحة التشيكية مع مصر .
١٩٥٦	١٤ ـ ٢٥ شباط	المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي خروشوف يندد بستالين .
	٢٨ حزيران	انتفاضة بوزنان .
	١٩ تموز	الولايات المتحدة تسحب عرضها بتمويل سد اسوان
	٢٦ تموز	تأميم قناة السويس
	٢٣ تشرين الاول	بدء الانتفاضة المجرية
	٢٩ تشرين الاول	اسرائيل تهاجم مصر ، الانذار البريطاني الفرنسي لمصر واسرائيل .
	٤ تشرين الثاني	الاتحاد السوفياتي يتدخل في بودابست
	٥ تشرين الثاني	بريطانيا وفرنسا تنزلان قواتهما في مصر
١٩٥٧	٥ كانون الثاني	اعلان مبدأ ايزنهاور
	٢٧ شباط	خطاب « الزهرات المائه » الاول لماو .
	١٠ ـ ١٧ نيسان	الازمة في الاردن
	٢٦ آب	اطلاق اول صاروخ سوفياتي عابر للقارات
	ايلول	الازمة السورية التركية
	٤ تشرين الاول	اطلاق اول قمر صناعي (روسي) من طراز سبوتنيك(Sputnik) .
١٩٥٨	شباط	الولايات المتحدة تطلق اول قمر صناعي من طراز اكسبلورر(Explorer)

السنة	الشهر	البيان
	آذار	خروشوف يصبح رئيس الوزراء والسكرتير الاول في الاتحاد السوفياتي .
	٣ ايار	القفزه الصينية الكبرى الى الامام تبدأ (Great Leap Forward)
	١٤ تموز	تدخل الولايات المتحدة في لبنان والمملكة المتحدة في الاردن .
	٢٢ آب	جمهورية الصين الشعبية تقصف كيموي .
	٢٧ تشرين الثاني	المذكرة السوفياتية حول وضع برلين المستقبلي
١٩٥٩	١ كانون الثاني	انتصار فيدل كاسترو في كوبا .
		مولد المجموعة الاقتصادية الاوروبية.E. E. C
	٢٤ ايار	وفاة دلاس
	١٥ حزيران	موسكو تنهي سراً الاتفاق الذري مع بيكين .
	١٥ ايلول	خروشوف يزور الولايات المتحدة .
١٩٦٠	١٣ شباط	اول تجربة ذرية فرنسية في الصحراء .
	٥ ايار	اسقاط طائرة يو / ٢
	١٦ ايار	فشل مؤتمر قمة باريس .
	تموز	مجلس الامن الدولي يقرر ارسال قوات الامم المتحدة الى الكونغو
	٢٠ تموز	الولايات المتحدة تطلق اول صاروخ بولاريس بنجاح .
	آب	استدعاء الفنيين السوفييت من الصين .
	٧ تشرين الثاني	انتخاب كنيدي رئيساً .
١٩٦١	١٧ نيسان	الانزال في خليج الخنازير
	١٦ ايار	بدء مؤتمر جنيف حول لاووس .
	٣ حزيران	خروشوف يقابل كنيدي في فينا
	١٣ ـ ١٩ آب	بناء جدار برلين

السنة	الشهر	البيان
	٢٣ تشرين الاول	حوادث عند نقطة تشارلي للتفتيش في برلين ، ازدياد التوتر .
	١٠ كانون الاول	البانيا تقطع العلاقات مع الاتحاد السوفياتي .
	كانون الاول	كنيدي يزيد عدد المستشارين الامريكيين في فيتنام الى (١٥٠٠٠)
١٩٦٢	٤ ايار	الولايات المتحدة تطرح « نظرية الرد المرن »
	٢ ايلول	الاتحاد السوفياتي يعلن زيادة المعونة العسكرية والاقتصادية لكوبا .
	١٨ تشرين الاول	طائرات يو / ٢ تنبيء عن وجود صواريخ سوفياتية في كوبا
	٢٠ تشرين الاول	الهجوم الصيني في الهملايا .
	٢٢ تشرين الاول	الولايات المتحدة تفرض « حَجْراً » على كوبا .
	٢٨ تشرين الاول	خروشوف يعلن سحب الصواريخ من كوبا .
	٢٠ تشرين الثاني	الاتحاد السوفياتي يسحب القاذفات من كوبا ورفع الحجر عنها .
	٢١ كانون الاول	اتفاق نساو(Nassau) بين لندن وواشنطن حول الاسلحة النووية .
١٩٦٣	١٤ حزيران	جمهورية الصين الشعبية تتهم الاتحاد السوفياتي « النقاط الخمس والعشرون »
	٢٠ حزيران	اتفاق « الخط الساخن » بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .
	١٤ تموز	الاتحاد السوفياتي يرد على الاتهامات الصينية
	١٥ تموز	بدء المحادثات بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفياتي حول وقف التجارب النووية .

البيان	الشهر	السنة
الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفياتي توقع معاهدة حظر جزئي للتجارب النووية	٥ آب	
رومانيا والمانيا الغربية تتفقان على اقامة بعثة تجارية في بوخارست	١٧ تشرين الاول	
اغتيال كنيدي ، جونسون يصبح رئيساً .	٢٢ تشرين الثاني	
فرنسا تعترف بالصين الشيوعية .	٢٧ كانون الثاني	١٩٦٤
المانيا الاتحادية تفتح بعثة تجارية في بودابست	١٥ تموز	
طرد خروشوف ، برجنيف وكوسيجين يحلان محله	١٥ تشرين الأول	
جمهورية الصين الشعبية تفجر قنبلتها النووية الاولى .	١٦ تشرين الاول	
المانيا الاتحادية تفتح بعثة تجارية في بلغاريا .	١٩ تشرين الاول	
الولايات المتحدة تبدأ الغارات على فيتنام الشمالية .	٧ شباط	١٩٦٥
تدخل واسع النطاق للولايات المتحدة في دومنيكا	٢٤ نيسان	
الحرب الهندية الباكستانية في كشمير	٢٥ آب	
فرنسا تعلن انسحابها من حلف الاطلسي .	١٧ آذار	١٩٦٦
بدء الثورة الثقافية في الصين الشعبية	١٨ نيسان	
توقيع معاهدة نزع سلاح الفضاء	٢٧ كانون الثاني	١٩٦٧
المانيا الغربية ورومانيا تقيان علاقات دبلوماسية	٣٠ كانون الثاني	
حرب الايام الستة	٥ ـ ٩ حزيران	
جمهورية الصين الشعبية تجرب قنبلتها الهيدروجينية الاولى .	١٧ حزيران	
اجتماع جونسون وكوسيجين في غلاسبورو بولاية نيوجيرسي .	٢٣ حزيران	
اول قنبلة هيدروجينية فرنسية في موروروا اتول في المحيط الهادى .	٢٤ آب	

السنة	الشهر	البيان
	١٨ ايلول	الولايات المتحدة تقرر اقامة نظام « رقيق » للصواريخ المضاده للصواريخ بتكاليف بليون دولار .
١٩٦٨	كانون الثاني	بداية « ربيع براغ »(Prague Spring)
	٢ تموز	توقيع معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية
	٢١ آب	الاتحاد السوفياتي يغزو تشيكوسلوفاكيا
	١ تشرين الثاني	الولايات المتحدة توقف قصف فيتنام الشمالية .
	٥ تشرين الثاني	انتخاب ريتشارد م . نيكسون رئيسا .
١٩٦٩	١ ـ ٢ شباط	تيتووشاوشيسكو ينددان بـ« مبدأ برجنيف »
	٢ آذار	اصطدامات حدودية بين الصين وروسيا على نهر آمور ـ اوسوري .
	تموز	مبدأ نيكسون الذي أعلن من جزيرة غوام (Guam)
	٢ ـ ٣ آب	نيكسون يزور رومانيا
	٢٨ ايلول	براندت يصبح مستشاراً لالمانيا الغربية
	٢٨ تشرين الثاني	المانيا الغربية توقع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية .
١٩٧٠	١٩ آذار	المستشار براندت يقابل ستوف رئيس وزراء المانيا الديمقراطية في ارفورت .
	١٦ نيسان	بدأ محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية (سالت)(S. A. L. T.)
	٢١ ايار	الاجتماع الثاني لبراندت وستوف في كاسل .
	٢٧ ايار	حلف الاطلسي يقترح عقد محادثات تخفيضات القوات المتبادلة مع حلف وارسو .
	٢١ آب	توقيع معاهدة عدم اعتداء بين المانيا الغربية والاتحاد السوفياتي .

السنة	الشهر	البيان
	٧ كانون الاول	براندت في وارسو وتوقيعه على معاهدة بين المانيا الغربية وبولندا .
١٩٧١	نيسان	فريق لكرة تنس الطاولة يدعى الى الصين .
	٣ ايار	هونيكر يحل محل اولبرخت كسكرتير اول للحزب الشيوعي الالماني الشرقي .
	تموز	الدكتور كيسنجر يزور الصين .
	٣ ايلول	اتفاقية الدول الاربع حول برلين .
	١٦ ـ ١٨ ايلول	براندت يقابل برجنيف في القرم ويتفقان على العمل من اجل مؤتمر الامن الاوروبي
	٢٩ ايلول ـ ١١ تشرين الاول	وفد تجاري صيني الى فرنسا . اول بعثة رسمية من الصين الشعبية الى الغرب منذ الثورة الثقافية .
	٢٥ تشرين الاول	التصويت على الصين في الامم المتحدة .
	١٧ ـ ٢٠ كانون الاول	المانيا الشرقية والمانيا الغربية توقعان اتفاقية حول المرور بين برلين الغربية والمانيا الغربية .
١٩٧٢	٢١ ـ ٢٨ شباط	زيارة نيكسون للصين .
	نيسان	الاتفاق على معاهدة الحرب البيولوجية .
	٨ ايار	لغم الموانيء في فيتنام الشمالية .
	١٧ ايار	البوندستاغ في المانيا الغربية يقر معاهدات سنة ١٩٧٠ مع بولندا والاتحاد السوفياتي .
	٢٦ ايار	اتفاقية سالت / ١
	٢٢ ـ ٢٩ ايار	زيارة نيكسون للاتحاد السوفياتي
	١٥ ايلول	توقيع اتفاقية تجارية بين الاتحاد السوفياتي واسبانيا ، اول اتفاق رسمي بينهما منذ ٣٥ سنة .

البيان	الشهر	السنة
السيد تاناكا رئيس وزراء اليابان يزور الصين .	٢٥ ـ ٢٩ ايلول	
توقيع المعاهدة الاساسية بين المانيا الشرقية والغربية .	٢١ كانون الاول	
اخر جولة من القصف الشامل لفيتنام الشمالية .	١٨ ـ ٢٩ ايلول	
افتتاح المحادثات التمهيدية لمؤتمر الامن الاوروبي في هلسنكي .	١٥ كانون الثاني	١٩٧٣
توقيع اتفاقية الهدنة في باريس بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية حول فيتنام الجنوبية .	٢٧ كانون الثاني	
المملكة المتحدة وفرنسا تقيمان علاقات دبلوماسية مع المانيا الديمقراطية	٩ شباط	
برجنيف في واشنطن . صدور اعلان مشترك حول تفادي حرب نووية .	٢٢ حزيران	
تجربة قنبله هيدروجينية صينية ذات قوة ٢ ـ ٣ ميجاطن في لوب نور . وهي التجربة الخامسة عشرة منذ سنة ١٩٦٤ .	٢٧ حزيران	
دخول دولتي شطري المانيا في الامم المتحدة	١٨ ايلول	
حرب يوم الغفران	تشرين الاول	
الولايات المتحدة تعلن حالة الطوارىء النووية من الدرجة / ٣	٢٥ تشرين الاول	
بدء محادثات التخفيضات المشتركة والمتوازنة للقوات في فينا	٣٠ تشرين الاول	
معاهدة بين المانيا الغربية وتشيكوسلوفاكيا تطبع العلاقة وتلغي اتفاقية ميونخ لسنة ١٩٣٨ .	١١ كانون الاول	

البيان	الشهر	السنة
المانيا الغربية تقيم علاقات دبلوماسية مع بلغاريا والمجر .	١٢ ـ ٢٠ كانون الاول	
انقلاب عسكري في البرتغال . الاطاحة بالرئيس كايتانو	٢٥ نيسان	١٩٧٤
اعلان الهند عن أول تجربه نووية تحت الارض .	١٨ أيار	
نيكسون في موسكو	٢٨ ـ ٣٠ حزيران	
الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يتفقان على الاكتفاء بموقع واحد للصواريخ المضادة للصواريخ في كل منهما وعلى تحديد التجارب النووية تحت الارض .	١٠ ـ ٣ تموز	
الاتحاد السوفياتي والصومال يوقعان على معاهدة صداقة وتعاون .	١١ تموز	
استقالة نيكسون . نائب الرئيس فورد يقسم اليمين بصفته الرئيس الثامن والثلاثون للولايات المتحدة .	٩ آب	
القوات التركية تغزو قبرص . اليونان تنسحب من الاجهزة العسكرية لحلف شمال الاطلسي .	١٤ آب	
الولايات المتحدة والمانيا الديمقراطية تقيمان علاقات دبلوماسية .	٤ ايلول	
فورد وبريجنيف يوقعان معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (سالت) . اتفاق مؤقت في فلاديفستك .	٢٣ تشرين الثاني	

السنة	الشهر	البيان
١٩٧٥	١٤ كانون الثاني	الاتحاد السوفياتي يرفض اتفاقية التجارة والاقراض مع الولايات المتحدة بسبب « تعديل جاكسون » .
	٢٢ كانون الثاني	فورد يوقع اتفاقية جنيف التي تحظر صناعة الاسلحة البيولوجية وتخزينها واستخدامها .
	٥ شباط	الكونغرس الاميريكي يصوت على قطع المساعدة العسكرية عن تركيا .
	١٧ نيسان	سقوط فنوم بنه بيد الخمير الحمر .
	٣٠ نيسان	سقوط سايجون بيد الفيتكونغ والفيتناميين الشماليين .
	٢٨ تموز	عقد قمة لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبي في هلسنكي .
	٢٣ آب	حل الادارة غير الشيوعية في لاووس . وتسلم الباثيت لاو مقاليد الحكم .
	٢٠ تشرين الاول	الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يتفقان على صفقة حبوب لخمس سنوات .
	٢٣ تشرين الاول	ورود تقارير عن قوات نظامية كوبية ومستشارين كوبيين في انغولا .
	١٩ كانون الاول	مجلس الشيوخ الامريكي يصوت على قطع المساعدة العسكرية للقوات الانغولية التي يدعمها الغرب .
١٩٧٦	١٥ شباط	وكالة المخابرات المركزية تعيد النظر في تقديراتها للانفاق الدفاعي في الاتحاد السوفياتي ، ونسبة المصروفات الدفاعية للدخل القومي (١١٪ - ١٣٪) هي ضعف التقديرات السابقة .

السنة	الشهر	البيان
	٢٥ نيسان	فيتنام الشمالية والجنوبية تصوتان على الوحدة .
	١٨ آب	مقتل ضابطين امريكيين على يد الكوريين الشماليين في المنطقة المنزوعة السلاح من كوريا .
	٩ أيلول	موت ماوتسي تونغ وتولي هواكوفنغ الرئاسة في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٧٦ .
	٨ تشرين الاول	الاتحاد السوفياتي وانغولا يوقعان معاهدة صداقة وتعاون .
	٢ تشرين الثاني	انتخاب جيمي كارتر الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة .
١٩٧٧	١١ كانون الثاني	وكالة المخابرات المركزية تقول أن مصروفات الدفاع السوفياتية سنة ١٩٧٦ كانت ١٢٠ مليار دولار مقابل ٩٠ مليار انفقتها الولايات المتحدة .
	٢٣ كانون الثاني	غويانا تقدم طلباً من أجل الانضمام الرسمي لمجلس التعاون الاقتصادي المشترك (الكوميكون) .
	١٠ شباط	الاتحاد السوفياتي يلقي القبض على يورى اورلوف زعيم مجموعة هلسنكي للمراقبة كارتر يكتب رسالة لاندريه زخاروف .
	٣١ آذار	الاتحاد السوفياتي وموزمبيق يوقعان معاهدة صداقة .
	١٠ آيار	قمة حلف الاطلسي في لندن . كارتر يتعهد بتقوية الحلف .
	١٧ أيار	موافقة وزراء حلف الاطلسي في بروكسل على زيادة سنوية حقيقية مقدارها ٣٪ في الانفاقات الدفاعية .

البيان	الشهر	السنة
الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يوقعان على حظر « حرب الطقس »	١٨ أيار	
حل منظمة حلف (معاهدة) جنوب شرق اسيا (السياتو)	٣٠ حزيران	
البانيا تبدأ في اخراج المستشارين الصينيين	٢٥ تموز	
مؤتمر بلغراد من خمس وثلاثين دولة لمراجعة اتفاقية هلسنكي .	٢٥ تشرين الاول	
الصومال تلغي معاهدة الصداقة التي عقدت سنة ١٩٧٤ مع الاتحاد السوفياتي وتخرج الروس والكوبيين منها ، وتمنع الاتحاد السوفياتي من استخدام المرافق والتسهيلات البحرية فيها .	١٣ تشرين الثاني	
المجلس الاقتصادي الاوروبي يوقع اتفاقية تجارية لخمس سنوات مع الصين ويمنحها مكانة الامة « الاكثر تفضيلا » .	٣ نيسان	١٩٧٨
الاتحاد السوفياتي يوقع معاهدة تلاتيلولكو (Tiatelolco) لسنة ١٩٦٨ لحظر الاسلحة النووية في امريكا اللاتينية .	٢٤ نيسان	
انقلاب عسكري مؤيد للسوفيات في افغانستان .	٢٧ نيسان	
ثوار كاتانغا يغزون مقاطعة شابا في زائير ويستولون على كولويزى .	١١ أيار	
نقل قوات بلجيكية وفرنسية بالجو الى كولويزى .	١٨ ايار	
الاتحاد السوفياتي وتركيا يوقعان معاهدة صداقة وتعاون .	٢٣ حزيران	

البيان	الشهر	السنة
فيتنام تصبح عضواً كامل العضوية في مجلس التعاون الاقتصادي المشترك (الكوميكون)	٢٩ حزيران	
الولايات المتحده تمنح المجر مكانة « الدولة الاكثر تفضيلا »	٥ تموز	
الصين تستدعي الفنيين وتقطع المعونة عن البانيا	١١ تموز	
اليابان والصين توقعان معاهدة صداقة وتعاون .	١٢ آب	
بيجن والسادات وكارتر يتوصلون في كامب ديفيد الى « اطار للسلام في الشرق الاوسط »	٥ ـ ١٧ أيلول	
الولايات المتحدة تنهي حظر الاسلحة عن تركيا .	٢٦ أيلول	١٩٧٨
الاتحاد السوفياتي يوافق على تزويد ليبيا بمجمع لتوليد الطاقة النووية .	٣ تشرين الاول	
فيتنام والاتحاد السوفياتي يوقعان على معاهدة صداقة وتعاون .	٣ تشرين الثاني	
اثيوبيا والاتحاد السوفياتي توقعان على معاهدة صداقة وتعاون .	٢٠ تشرين الثاني	
افغانستان والاتحاد السوفياتي يوقعان معاهدة صداقة .	٦ كانون الاول	
فيتنام تغزو كمبوتشيا .	٢٧ كانون الاول	
الولايات المتحدة والصين تتبادلان الاعتراف رسمياً .	١ كانون الثاني	١٩٧٩
البابا يوحنا بولس الثاني يزور موطنه بولندا	١ ـ ١٠ كانون الثاني	
الشاه رضا بهلوي يغادر ايران ويذهب الى المنفى .	١٦ كانون الثاني	

السنة	الشهر	البيان
	نهاية كانون الثاني الى اوائل شباط	نائب رئيس الوزراء دينغ كيسياوبنغ في الولايات المتحدة .
	١ شباط	آية الله الخميني يعود الى ايران .
	١٧ شباط	الصين تهاجم فيتنام انتقاماً من هجمات فيتنامية على الصين وغزو فيتنام لكمبوتشيا .
	٣١ آب	الولايات المتحدة تحتج على وجود « لواء سوفياتي مقاتل » في كوبا
	١٦ تشرين الاول	الرئيس هواكوفنغ يبدأ رحلة الى اربع عواصم في اوروبا .
	١٧ تشرين الاول	١٨٠٠ من مشاة البحرية الامريكية يقومون بتمرينات اقتحام في كوبا .
	نهاية تشرين الاول	اليمن الجنوبية توقع معاهدة صداقة مدتها عشرون سنة مع الاتحاد السوفياتي
	٤ تشرين الثاني	الطلبة الايرانيون يقبضون على الرهائن في السفارة الامريكية في طهران .
	١٢ كانون الاول	حلف شمال الاطلسي يوافق على زيادة القوة النووية في اوروبا .
	٢٤ كانون الاول	الموجة الاولى من حوالي ١٠٠ الف جندي سوفياتي تبدأ في الوصول الى افغانستان .
١٩٨٠	٢٧ ـ ٢٩ شباط	منظمة المؤتمر الاسلامي تجتمع في اسلام أباد في باكستان . خمس وثلاثون دولة تندد « بالعدوان العسكري » السوفياتي ضد افغانستان .

البيان	الشهر	السنة
الجمعية العامة للامم المتحدة تصوت باكثرية ١٠٤ أصوات مقابل ١٨ صوتاً (وامتناع ٣٠ دولة أو تغيبها عن التصويت) على التنديد بغزو السوفيات لافغانستان .	١٤ شباط	
مصر واسرائيل تتبادلان العلاقات الدبلوماسية الرسمية .	٢٦ شباط	
السادات يمنح شاه ايران حق اللجوء السياسي الدائم في مصر .	٢٤ آذار	

الهوامش والحواشي
الملاحظات والمراجع مرقمة لكل فصل
حسبما وردت في الكتاب

Chapter 1

1- Karl Marx and Friedrich Engels, «Manifesto of the Communist Party», edited by H.J. Laski (Allen And Unwin, 1948).
2- E.H. Carr, «The Bolshevik Revolution» (Penguin, 1966) vol 3, p. 123
3- Alan Bullock, «Hilter», (Pelican, 1962) p. 762.
4- Edmund Ions, «The Politics of John F. Kennedy» (Routledge, 1967) p. 50.
5- Richard M. Nixon, «United States Foreign Policy for the 1970s: Shaping a Durable Peace» (Report to Congress, May 1973) U.S. Government, p. 17.

Chapter 2

1- Milovan Djilas, «Conversations with Stalin» (Pelican, 1969) pp. 67- 8.
2- Harry S. Truman, «Memoirs» (Doubleday, New York, 1955) vol 1, pp. 77- 82.
3- Alfred Grosser, «Germany in our Time» (Pall Mall Press, 1971) p. 30.
4- Truman letter to Secretary of State Byrnes, 5 January 1946, quoted in Roger Morgan, «The Unsettled Peace» (B.B.C. Publications, 1974) p. 67.

Chapter 3

1- Djilas, op. cit., p. 68
2- Robert E. Sherwood, «Roosevelt and Hopkins» (Harper and Bros., 1950) pp. 893- 4.
3- Ian Grey, «The First Fifty Years: Soviet Russia 1917- 67» (Hodder and Stoughton, 1967) p. 409.
4- Truman letter to Byrnes, 5 January 1946 Morgan op. cit., p. 67.
5- Walter Bedell Smith, «My Three Years in Moscow» (Lippincott, Philadelphia, 1950) p. 53.
6- Truman, op. cit., vol. 2, p. 106.
7- Churchill telegram to Truman, 12 May 1945, in Morgan, op. cit., pp. 61- 2.
8- Churchill, Fulton speech, 5 March 1946, ibid., pp. 67- 8.
9- Brian Crozier, «The Future of Communist Power» (Eyre and Spottiswoode, 1970) p. 66.
10- ibid., p. 36.
11- Simon Serfaty, «France, de Gaulle and Europe» (Johns Hopkins U.P., 1968) p. 35.

Chapter 4

1- Keesing's Research Report No. 8 «Germany and Eastern Europe Since 1945» (Scribner's, New York, 1973) pp. 3- 4.
2- Aiden Crawley, «The Rise of West Germany 1945- 72» (Collins, 1973) pp. 43- 4.
3- Lucius D. Clay, «Decision in Germany» (Heinemann, 1950) pp. 120.
4- ibid., p. 320
5- Keesing's , op. cit., p. 12
6- Terence Prittie, «(Weid enfeld and Nicolson, 1976)p. 75.
7- Clay, op. cit., p. 158
8- Alfred Grosser, «Germany in Our Time» (Pall Mall Press, 1971) p. 65.
9- Walt. Rostow, «The United States and the World Arena» (Harper, New York, 1960) pp. 208- 10.

10- Philip Windsor, «City on Leave: History of Berlin 1945- 1962» (Chatto and Windus, 1963) p. 98.

11- Bedell Smith, op. cit., p. 241.

12- Clay, op. cit., p. 367.

13- Hannes Adomeit, «Soviet Risk-Taking and Crisis Behaviour», Adelphi Papers No. 101 (I.I.S.S. 1973) p. 9

14- Acheson, in Morgan, op. cit., p. 72.

Chapter 5

1- G.F. Hudson, «The Hard and Bitter Peace» (Pall Mall Press, 1966) p. 78.

2- L.M. Chassin, «The Communist Conquest of China» (Weidenfeld and Nicolson, 1966) «passim».

3- Mme. Chiang Kai-shek, «Letters and Speeches of Madame Chiang ai-shek» (Taipei Press, Taiwan, 1966) p. 144.

4- R. North, «Chinese Communism» (Weidenfeld and Nicolson, 1966) p. 95.

5- See J. Melby, «The Mandate of Heaven (Chatto and Windus, 1969) passim».

6- C.J. Bown, «Revolution in China» 1911-49 (Heinemann Educational Books, 1974) Broadsheet 16, p. 4.

7- ibid.

Chapter 6

1- Harry S. Truman, Department of State Bulletin XXIII, No. 574, July 1950.

2- S.E. Morison and H.S. Commager, «The Growth of the American Republic» (O.U.P. 6th ed., 1969) vol. 2, p. 667.

3- Department of State Bulletin XXIII.

4- David Horowitz, «From Yalta to Vietnam» (Pelican, 1969) p. 129.

5- Edmund Traverso, «Korea and the Limits of Limited War»

(Addison-Wesley, Reading, Mass., 1970) p. 27.
6- ibid., p. 30
7- ibid., p. 29
8- Horowitz, op. cit., p. 131, Toronto «Globe and Mail», 22 February 1961.
9- Felix Greene, «Curtain of Ignorance» (Cape, 1968) p. 88.
10- Traverso, op. cit., 35.
11- ibid (24 March 1951) p. 43
12- Hudson , op. cit., p. 92
13- Traverso, op. cit., p. 56.
14- David Rees, «Korea: The Limited War» (St. Martin's Press, New York, 1964) p. 41.
15- Dwight D. Eisenhower, «Mandate for Change 1953- 56» (Heinemann, 1933) p. 180.

See also:
H. Halperin, «Limited War in the Nuclear Age» (John Wiley, New York, 1963).
Edgar O'Ballance, «Korea 1950- 53» (Faber and Faber, 1963).

Chapter 7

1- Milton Osborne, «Region of Revolt» (Pelican, 1971) p. 115.
2- Bernard Fall, «Vietnam Witness» (Pall Mall Press, 1966) p. 70.
3- Eisenhower, op. cit., p. 372.
4- Jean Lacouture, «Ho Chi Minh» (Allen Lane, 1968).
5- Eisenhower, op. cit., p. 333.
See also:
Robert Taber, «The War of the Flea» (Paladin Books, 1970).

Chapter 8

1- John Foster Dulles, «Policy for Security and Peace», Foreign Affairs XXXII, April 1954, p. 358.
2- Andre Fontaine, «History of the Cold War: Korea to the Pre-

sent» (Secker and Warburg, 1970) p. 131.
3- ibid., p. 220
4- ibid., p. 227.

See also:
Robert Hunter, Security in Europe (Elek Books, 1972).

Chapter 9

1- Roscoe Drummond and Gaston Coblenz, «Duel at the Brink» (Weidenfeld and Nicolson, 1961) p. 89.
2- Adam B. Ulam, «Expansion and Coexistence: The History of Soviet Foreign Policy from 1917- 1967» (Secker and Warburg, 1968) p. 504.
3- Wolfgang Heidelmeyer and Guenther Hindrichs, «Documents on Berlin 1943- 63» (R. Oldenbourg Verlag, Munich, 1963) p. 177.
4- From the D.D.R. newspaper «Tagesspiegel, «11 November 1958, quoted in Fontaine, op. cit., pp. 313- 14.
5- Heidelmeyer, op. cit., pp. 180- 96.
6- Louis J. Halle, «The Cold War as History» (Chatto and Windus, 1967) p. 361.
7- Fontaine, op. cit., p. 326.
8- Ulam, op. cit., p. 631.
9- Windsor, op. cit., p. 223.
10- ibid., p. 237.
11- Halle, op. cit., p. 397.

Chapter 10

1- Robert Scheer and Maurice Zeitlin, «Cuba: an American Tragedy» (Penguim Special, 1964) p. 31.
2- ibid., p. 202
3- ibid., p. 218

4- Henry Pachter, «CollisionCourse: the Cuban Missile Crisis and Coexistence» Pall Mall Press, 1963) p. 57.
See also:
Robert Kennedy, «The Thirteen Days» (Norton, 1969). Elie Abel, «The Missiles of October» (Mac Gibbon and Kee, 1966).
Robert Beggs, «The Cuban Missile Crisis» (Longman, 1971).

Chapter 11

1- Robert Jungt, «Brighter Than a Thousand Suns» (Pelican, 1964) p. 266.
2- «The Times, » 1 February 1950.
3- Department of State Bulletin XXX, No. 761, p. 108.
4- Daily «Telegraph», 24 August 1973.
5- Elizabeth Barber, «The Cold War» (Wayland, 1972).
6- Chinese Government Statement (F.L.P., Peking) 15 September 1964.

See also:
Herman Kahn, «Thinking About the Unthinkable» (Weidenfeld and Nicolson, 1962).
Ronald Clarke, «The Science of War and Peace» (Cape, 1971).
Norman Moss, «Men Who Play God» (Penguin, 1970).

Chapter 12

1- Theodor Draper, «Abuse of Power» (Pelican, 1969) p. 36.
2- ibid., p. 117
3- See David Halberstam. «The Best and the Brightest» (Barrie and Jenkins, 1972).
4- ibid.
5- ibid.
6- «New York Times», 30 April 1965.
7- Felix Greene, Vietnam, Vietnam (Cape, 1967) p. 146.

8- Draper, op. cit., p. 142.
9- ibid., p. 123.
10- «New York Times», 5 July 1966.
11- Richard M. Nixon, «The Emerging Structure of World Peace» (Report to Congress 1972) U.S. Government, p. 32.
12- ibid., p. 39
13- Nixon, Report to Congress 1973, op. cit., p. 20
14- «The Strategic Survey», 1972 (I.I.S.S., 1973) and «The Times», 25 April 1975.
15- Nixon, Report to Congress 1973, p. 21.
16- «The Sunday Times», 13 April 1975.
17- ibid.
18- The «Guardian», 13 January 1975.
19« Senator J. William Fulbright, «The Arrogance of Power» (Cape, 1967) p. 3.
20- Quoted in «Newsweek» (U.S.A.), 12 May 1975.
21- The «Guardian», 6 May 1975.
22- U.S. Television Broadcast, 3 April 1975.
23- «Newsweek», 12 May 1975.
24- «New York Times», 7 April 1975.
25- «The «Guardian», 24 April 1975.
26- «The Times», 10 May 1975.
27- The «Guardian», 24 April 1975.
28- The «Guardian», 9 May 1975.
29- Except by accident as when, on 8 May 1972, five North Vietnamese ports were mined from the air and some Soviet ships were damaged.
30- The «Guardian», 18 April 1975.
31- The «Guardian», 13 May 1975.

See also:

Robert Thompson, «No Exit from Vietnam» (Chatto and Windus, 1968).

William J. Lederer, «The Anguished American» (Golianz, 1969)

Malcolm Browne, «The New Face of War» (Cassell, 1965).

Chapter 13

1- State Department Information Paper No. 28, Formosa, 23 December 1949.
2- Department of State Bulletin, vol. 22, 16 January 1950.
3- Traverso, op. cit., p. 27.
4- Department of State Bulletin, vol. 24, 28 May 1951.
5- Eisenhower, op. cit., p. 471.
6- ibid., p. 476.
7- ibid., p. 477.
8- ibid., p. 482.
9- «People's Daily», Peking, 8 May 1961.
10- «New York Times», 2 August 1963.
11- Franz Schurmann and Orville Schell (eds.), «Communist China: China Readings» vol. 3 (Penguin, 1968) p. 497.
12- Edgar Snow, «The Long Revolution» (Hutchinson, 1973) p. 216.
13- Gregory Clark, «In Fear of China» (Barrie and Rockliffe, The Cresset Press, 1968) p. 171.
14- A. Huck, «The Security of China»(Chatto and Windus, 1970) p. 51.
15- Nixon, Report to Congress 1973, op. cit., p. 7.
16- Kansas Press Conference, 7 July 1971, quoted in The «Observer», 16 July 1971.
17- Nixon, Report to Congress 1973, op. cit., p. 7.
18- ibid., p. 7.
19- Nixon, Report to Congress 1972, op. cit., p. 17.
20- «Peking Review», 13 May 1973.
21- The «Guardian», 28 October 1974.
22- «Peking Review», 25 February 1972.
23- The «Guardian», 1 September 1973.
24- Chiao Kuan-hua at the U.N., 15 November 1971.

Chapter 14

1- Jack A. Smith. «Unite The Many, Defeat The Few», The

«Guardian» (A.U.S. Communist publication, S.A.C.U., London) p. 89.
2- Stuart Schram, «The Political Thought of Mao Tse Tung» (Pelican, 1969) p. 189.
3- Vladimir Dedijer, «Tito Speaks» (Weidenfeld and Nicolson, 1953) p. 331.
4- Mao, 1 July 1949.
5- Smith, op. cit., p. 89.
6- Fontaine, op. cit., p. 133.
7- John Gittings, «Survey of the Sino-Soviet Dispute» (O.U.P., 1968) p. 62.
8- «People's Daily» editorial of 1971, quoted in Smith, op. cit., p. 22.
9- Gittings, op. cit., p. 62.
10- ibid., p. 73.
11- Mao Tse-tung, «Imperialism and all Reactionaries are Paper Tigers» (F.L.P., Peking, 1958).
12- Edward Crankshaw, «Moscow Versus Peking: The New Cold War» (Penguin, 1963) p. 80.
13- David Floyd, «Mao Versus Khrushchev» (Pall Mall Press, 1964) p. 262.
14- Gittings, op. cit., p. 346.
15- Greene, op. cit., p. 280.
16- A Chinese Government statement in the Peking Review, 2 February 1963.
17- ibid., 6 September 1963.
18- «The Times», 10 May 1974.
19- Theodore C. Sorensen, «Kennedy» (Hodder and Stoughton, 1965) p. 665.
20- The Observer, 14 July 1965.
21- «C.C.P. Polemic» (F.L.P., Peking) July 1964.
22- «Pravda», 10 November 1966.
23- «Peking Review», 4 February 1966.
24- Gittings, op. cit., p. 20
25- Sino-Soviet Survey No. 8 (S.A.C.U.) 1969.
26- Gittings, op. cit., p. 160
27- «Sekai Shuho» (a Takyo newspaper) 11 August 1965.

28- Sino-Soviet Survey op. cit., p. 71.
29- «Strategic Survey», 1970 (I.I.S.S., 1971) p. 71.
30- «The Military Balance», 1970- 1» (I.I.S.S., 1970) p. 101.
31- «Strategic Survey, 1973» (I.I.S.S., 1974) p. 67.
32- «China Reconstructs», Peking, April 1970.
33- Nixon, Report to Congress 1972, op. cit., p. 51.
34- «The Sunday Times», 27 January 1974.
35- The «Guardian», 14 January 1974.
36- ibid., 9 January 1974.
37- «People's Daily», Peking, 36 October 1973.
38- «Peking Review», Peking, 4 May 1973.
39- «China Reconstructs», Peking, January 1974.
40- «Peking Review», 15 June 1973.

See also:

Harold C. Hinton, «China's Turbulent Quest» (Macmillan, 1970).

Chapter 15

1- Sir William Hayter, «Russia and the World» (Secker and Warburg, 1970) p. 2.
2- Harry Schwartz, «Eastern Europe in the Soviet Shadow» (Abelard-Schuman, New York, 1973) p. 75.
3- Hayter, op. cit., p. 38.
4- ibid., pp. 38- 9.
5- ibid., pp. 40- 1.
6- ibid., p. 66.
7- Crozier , op. cit., p. 93.

See also:

Paul Lendvai, «Eagles in Cobwebs: Nationalism and Communism in the Balkans» (Macdonald, 1970).

Kurt Weisskopf, «The Agony of Czechoslovakia» 36- 68 (Elek Books, 1968).

Chapter 16

1- The «Guardian», 19 January 1970.
2- Prittie, op. cit., p. 257.
3- ibid., pp. 251- 2.
4- «Strategic Survey 1971» (I.I.S.S., 1972) p. 18.
5- The «Economist», 8 September 1973.
6- ibid.

Chapter 17

1- Peter Lyons, «Neutralism» (Leicester Univ. Press, 1963) p. 107.
2- Sir William Hayter, «The Kremlin and The Embassy» (Hodder and Stoughton, 1966) p. 146. (Sir William was the British Ambassador in Moscow in 1956).
3- Fontaine, op. cit., p. 255.
4- D.F. Fleming, «The Cold War and its Origins, 1917- 60», vol. 2 (Doubleday, New York, 1961) p. 889.
5- Fontaine, op. cit., p. 262.
6- «The Economist», 20 March 1976, p. 54. According to information released by a C.I.A. official at a news briefing on 11 March 1976, Israel had 10- 20 nuclear weapons.

See also:

J.D.B. Miller, «The Politics of the Third World» (O.U.P., 1966).

Andrew Boyd. «United Nations, Piety, Myth, and Truth» «(Pelican, 1964)».

Hugh Thomas, «The Suez Affair» (Pelican, 1970).

Terence Robertson, Crisis. «The Inside Story of the Suez Conspiracy», 1965.

Walter Laqueur, «The Road to War: The Origins and aftermath of the Arab-Israeli Conflict, 1967- 8» (Pelican, 1969).

John Bulloch, «The Making of a War: The Middle East from 1967- 73» (Longman, 1974).

Chapter 18.

1- «The Times», 11 October 1974.
2- ibid., 10 May 1974.
3- «The Military Balance 1974- 5» (I.I.S.S., 1974) p. 75.
4- «The Times», 12 January 1974.
5- Nixon, Report to Congress 1973, p. 68.
6- ibid., p. 68.
7- ibid., p. 78.
8- ibid., p. 65.
9- President Ford to U.N.O. General Assembly, 18 September 1974.
10- «The Times» 25 November 1974.
11- The «Guardian», 4 December 1974.

Chapter 19

1- «The Military Balance 1973- 4» (I.I.S.S., 1973) p. 79
2- The «Observer», 29 December 1974.
3- The «Guardian», 17 December 1974.
4- «The Sunday Times», 24 June 1974.
5- «Focus on U.S. Foreign Policy», «Horizon Magazine», 1974, U.S. Embassy Information Service.
6- Nixon, Report to Congress 1973, p. 17.
7- ibid., p. 16.
8- «Peking Review», 15 June 1973.
9- The «Guardian», 12 January 1975.

See also:
Alastair Buchan, «The End Of The Postwar Era: a New Balance of World Power» (Weidenfeld and Nicolson, 1974).

Chapter 20

1- «Time», 14 May 1979.
2- The «Economist», 8 September 1979.

3- «Time», 28 April 1980.
4- Oil figures from «Time», 7 May 1979.
5- «Time», 29 January 1979.
6- The Military Balance 1979-80, International Institute of Strategic Studies, 1979.
7- Coral Bell, «The Diplomacy of Detente: The Kissinger Era» (Martin Robertson, 1977) p. 76.

See also:

J.M. Collins and A.H. Cordesman, «Imbalance of Power: Shifting U.S.- Soviet Military Strengths» (Macdonald and Janes, 1978).

Sir Terence Garvey, «Bones of Contention: An Enquiry into East-West Relations» (Routledge, 1978).

Sir Peter Hill-Norton, «No Soft Options: The Politico-Military Realities of NATO» (C. Hurst, 1978).

G. Kirk and N.H. Wessell, «The Soviet Threat: Myths and Realities» (New York: Praeger Special Studies, 1979).

«Strategic Survey, 1979» (International Institute of Strategic Studies, 1980).

فهرست بالخرائط

الفهرست

التوزيع في جميع أنحاء الوطن العربي

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص . ب ١١٣/٦٣١١ بيروت ـ لبنان

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
٢٣٩ / ٥ / ١٩٨٤



دار الشروق للنشر والتوزيع
شارع الملك حسين ـ بناية الشركة المتحدة للتأمين
تلفون : ٢٤٣٢١ ـ ص . ب : ٩٢٦٤٦٣ ـ عمان ـ الاردن

